دراسات فى تاريخ مصر والشرق
الأدنى القديم

(٢)

فى

تاريخ الشرق الأدنى القديم

مصر - سورية القديمة

دكتور

محمد على سعد الله

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم المساعد

جامعة الزقازيق

٢٠٠١

مركز الاسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
تليفون ٤٨٤٦٥٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

«وما أُوتيتُم من العلم إلاّ قليلا»

صدق الله العظيم

إهداء

إلى روح أستاذى الدكتور عبد المنعم ابو بكر

إلى روح أستاذى الدكتور رشيد الناضورى

إلى روح أستاذى الدكتور محمد جمال الدين مختار

أهدى إليهم هذا الكتاب

تقديم

يسرنى أن أقدم لأبنائى الطلاب كتابى : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٢ (مصر – سورية القديمة) راجياً من المولى عز وجل أن يجدوا فيه بعض النفع والفائدة، ومن ثم فان هذا الجزء الثانى – يتناول تاريخ مصرنا الغالية منذ قيام الدولة الحديثة وحتى نهاية العصور الفرعونية، تلك الفترة الهامة من تاريخ مصر القديمة، حينما بدأت انتفاضتها خلال عصر الفترة المتوسطة الثانية أو ما يسمى بعصر الاضطراب الثانى طاردة الهكسوس من أرض مصر ومتعقبة اياهم داخل أرض فلسطين وسورية، وبسقوط حصن «شاروهين» آخر معاقل الهكسوس فى أيدى الجيش المصرى يكون الملك «أحمس الأول» قد أنجز مهمة التحرير وتأمين حدود مصر باقتدار، وخرج من المحنة بوضع استراتيجية جديدة أساسها ضرورة حماية حدود مصر بخط دفاعى جديد يبدأ من سورية وفلسطين كخط دفاع أول من ناحية الشمال الشرقى، غير غافلة عن نطاق الامان عند حدودها الجنوبية، بينما لا يقل نطاق الحماية من حولها عن منطقة الشرق الأدنى القديم بأكملها.

ومن خلال السرد الوصفى – بعيداً عن الصعوبة تيسيرا على الطلاب – سار الحديث من فراعنة الدولة الحديثة الذين كتبوا صفحات مضيئة من المجد والانجازات سواء فى المجال العسكرى، من خلال فراعنة عظام أمثال تحوتمس الثالث وامنحوتب الثانى، وسيتى الأول، رعمسيس الثانى حيث سعوا لتوسيع حدود مصر وتكوين أول امبراطورية فى الشرق الأدنى القديم، وفى مختلف المجالات الحضارية الأخرى سطرت مصر ريادة وتفوق فى شتى المجالات بما يفيد الإنسانية جمعاء.

ثم تعاقبت مجموعة من المصاعب والتحديات فى العصر المتأخر الأخير، اخطار عديدة من الخارج من الآشوريين والفرس والأغريق وغيرهم من المتطلعين لحمل راية التفوق والزعامة، لكن الخطر الداهم كان من داخل مصر حينما تناست دروس الماضى وعبر التاريخ.

وهى دروس فى حاجة لحيز مستقل عن هذه الدراسة.

كذلك قمت بإضافة جزء عن تاريخ سورية تضمن الفصل الأول العصور الحجرية فيما قبل التاريخ فى تلك المرحلة المبكرة من عمر البشرية ونشاط الاسلاف القدامى وما تركوه من مخلفات بسيطة لكنها فى غاية الأهمية عن تجارب الانسان حتى توصل إلى الزراعة والاستقرار وما تبع ذلك من استخدام المعادن وتطوير الخبرات والتجارب.

وفى الفصل الثاني، ذكرت أهم العناصر السامية ذات التأثير فى تاريخ سورية القديم.

ولقد قمت في نهاية الباب الأول بوضع قائمة للمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى هذا الباب مع بعض المؤلفات المتخصصة في مجال التخصص حتى تكون عونا لأبنائي الطلاب لمزيد من الدراسة، وفى الباب الثانى قمت بوضع المراجع فى نهاية كل فصل.

أرجو أن تكون فى هذه الدراسة بعض النفع والفائدة.

وعلى الله قصد السبيل

الاسكندرية فى ١٩٩٨/١/١م — د. محمد سعد الله

الموافق ٢ من رمضان سنة ١٤١٨هـ

الباب الأول

الفصل الأول
نظام وراثة العرش
فى
مصر الفرعونية

شغلت المرأة فى مصر القديمة بصفة عامة مكانة لم تصل إليها المرأة فى أى مجتمع معاصر لها وإن اختلفت هذه المكانة من عصر إلى آخر، كذلك يمكن القول أن الملكات المصريات بصفة خاصة كان لهن أهمية منذ بدء الأسرات حيث دلت بعض آثار الأسرة الأولى على أن معظم ملوكها قد لجأوا للتقرب إلى الدلتا ومعبوداتها وخاصة الآلهة «نيت» التى جاء أسمها فى اسماء ثلاث ملكات من الأسرة الأولى، أولهن هى الأميرة الشرعية للدلتا «نيت حتب»[1] (نيت راضية) التى أطلق عليها لقب «سمات نبوى» أى التى ألفت بين السيدين حورس وست، هذا بالاضافة إلى «جرنيت»[2] ، وكذا الملكة «مريت نيت» [3] كما نجد فى الأسرة الثانية أن بعض الآثار تسجل مكانة الملكة «نى ماعت حب» N(Y) m3ct - Hp [4] التى وصفت فى عهد «خع سخموى» بأنها

---

(١) الملكة «نيت حتب»

صاحبة المقبرة الكبيرة فى نقادة سجلت آثارها وآثار الملكين «نعرمر» و «عحا» مما يشير إلى أنها كانت زوجة للأول وأم للثانى ، أنظر :

Emery, W. B., Archaic Egypt, London, 1967, p. 49.

(٢) الملكة «جرنيت» :

زوجة للملك جر «ثانى ملك فى الأسرة الأولى»، ورث العرش عن أبيه مينا من زوجته الثانوية «حبت» وليس من الملكة «نيت حتب»، انظر : محمد بيومى مهران . دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ١، مصر ، الاسكندرية، ١٩٨٢، ص ٢٧٢.

وكذا :

Emery , E. B., Great Tombs of the First Dynasty, Part II, London, 1945, pp. 3-4.

(٣) الملكة «مريت نيت» :

من أهم ملكات الأسرة الأولى ، إلا أن وضعها فى ترتيبها الزمنى محل جدل فهى مثل الملوك لها مقبرتان أحدهما فى أبيدوس والأخرى فى سقارة، يرجع أنها أم لـ «دن» (وديمو)، ولم يثبت إذا كانت زوجة «جر» أو زوجة لـ «جت» (أوادجى) أنظر :

Kaplen , H., "Problem of the Dynastic Position of Meryet- Nit", Jens, Vol. 38, 1979, p. 23'

Von Beckerath, J., "Merit-Neith", LA IV, Sp., 93.

(٤) L.D. II, pp. 16-17.

الملك أو أم الأمير أو أم أبناء الملك وعبرت النصوص عن سمو مكانتها في عهده بأن كل مطلب تطلقه به نفذ من أجلها[1]. ثم لقبت في عهد «نثرخت» (زوسر من ملوك الأسرة الثالثة) بلقب أم الملك وهي - طبقا لختم اناء من ابيدوس - كانت تحمل لقب «الأم الملكية» وقد عبدت في العصور التالية بصفتها جدة ملوك الأسرة الثالثة[2] . ووجود اسم كل من «نثرخت» «خع سخموي» يدفعنا إلى ترجيح أن هذه الملكة كانت أما للأول وزوجة الثاني[2]. بالاضافة إلى كونها وصية على الأول خلال طفولته ووجد لها جعران كتب عليه أم الأولاد الملكيين «ني ماعت حب»[3].

وهذا وقد جرت الأمور في مصر أن يتولى الحكم الملوك على الرغم من الاعتقاد بأن خط العرش إنما ينتقل عن طريق المرأة، ذلك لأنهم ما كانوا يتقبلون جلوسها على العرش قبولا حسنا، ومع ذلك فقد وصلت المرأة المصرية إلى العرش- في بعض الأحيان - وها هي ذي الملكة «خنت كاواسي»[4] آخر

1-Gauthier, H., L.R. I, p. 51.

(٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، جـ١، القاهرة، ١٩٨٠ ص ٣٠٠.

(3) Buttles, J., The Queens of Egypt, London, 1908, p. 10.

(4) Pertrie W., The Royal Tombs of the First Dynasty II EE F. 21, 1901, pl. XXIV, No. 210.

(٥) «خنت كاواس»

تنتمي إلى الفرع الرئيسي للأسرة الرابعة ومن الجائز أنها كانت أبنة «منكاورع» وحتى يصبح «أوسركاف» ذا شرعية وليقوى مركزه عند إنشائه للأسرة الخامسة الجديدة تزوج منها

ومنذ الوقت الذي تحقق فيه أن ذلك القبر الذي أطلق عليه «الهرم غير الكامل » في الجيزه لهذه السيدة، أصبح محققا أنها كانت حلقة الوصل بين الأسرتين الرابعة والخامسة، وقد شرح اللقب الرئيسي للملكة بحيث أصبح معناه أنها كانت تسمى «ملك مصر العليا والسفلى» كذلك «أم ملك مصر العليا والسفلى» وهناك قراءة أخرى مقترحة «أم ملكي مصر العليا والسفلى » ربما تكون أقرب إلى الصواب.

أنظر

عبد الحميد زايد مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٢٠-٢٢١

ملوك الأسرة الرابعة(١) والملكة «نيتوكريس»(٢) آخر ملوك الأسرة السادسة(٣)، والملكة «سوبك نفرو»(٤) آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة(٥)

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة إلى أن الإنسان المصرى القديم لم يستخدم كلمة «ملكة» وإنما عبر عنها بكلمة مركبة تعنى :

= وكذا :

Hassan, S., Excavations at Giza, Vol. IV, 1943, p. 38'

Gauthier, H., L.R., I. p. 199.

(١) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٥، الحضارة المصرية، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٤٥.

(2) Gauthier, H., L.R., I, p. 177,

(٣) الملكة نيتوكريس :

لم يرد فى بردية تورين أسماء ملوك الأسرة السادسة فيما عدا «نيتوكريس» وقد كتبت فى البردية Nito Kerty وقد جاءت إما ثان أو ثالث ملك بعد «بيبى الثانى»، للأسف لا توجد وثيقة معاصرة تؤكد حكمها، وقد ذكرت مانيتون عنها أنها أنبل وأحب نساء عهدها، وذكر «هيردوت» قصة انتحارها بعد انتقامها من قتلة أخيها الملك «مرن رع الثانى» غير أننا لا نعرف من أين استقى معلوماته والشئ المؤكد أن البلاد تعرضت لاضطرابات بعد الحكم الطويل لبيبى الثانى، انظر

Hawkes, J., The First Great Civilization , London, 1973, p. 297'

(4) Vercoutter, J., The Near Fast : The Early Civilization, London, 1967, p. 323.

(٥) الملكة سوبك نفرو :

كتب اسمها بعدة مترادفات (سبك نفرو رع) والاسم الاخير هو الاكثر شيوعا، ويذهب بعض الباحين اعتمادا على ظهور اسم «سبك نفرو» على أحد العناصر المعمارية إلى جوار اسم «امنمحات الثالث» إلى أن الاخير ربما كان أباها وأنها قد اشتركت معه فى الحكم، وفى الوقت الذى توجد فيه أدلة على اشتراك كل من امنمحات الثالث والرابع فى الحكم، لا يوجد اشارة تدل على اشتراكها فى الحكم مع امنمحات الرابع، وهناك احتمال مقبول عن نزاع فى الاسرة خرجت منه «سبك نفرو منتصرة، انظر :

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ١، مصر، ص ٦٢٢- ٦٢٣، بينما يرى البعض أن امنمحات الرابع لم يترك وريثا وأن أخته «سبك نفرو» قد تولت عرش البلاد ، انظر : عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٤٠٣.

وكذا . أ. أرمان ، هـ. رانكة . مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٧٩.

زوجة الملك «حمت نسو» hmt nsw (١) وهناك أيضا عبارة أخرى «زوجة الملك العظمى» «حمت نسوورت» hmt nsw wrt (٢)

هذا فضلا عن عدة ألقاب أخرى منها: سيدة كل السيدات (٣) hmwt hmwt nb(w)t سيدة السيدات (٤) hmwt hmwt «سيدة زوجات الملك» (٥) hmwt nt hmwt nsw «الاخت الملكية والزوجة الملكية» (٦). snt nsw hmt nsw «الزوجة الملكية الأولى» (٧)

وفى عصر العمارنة كان يطلق على الملكة أيضا hmt nsw tpyt

---

(1) Wb. III, 77.

أقدم معرفة لهذا اللقب ترجع إلى الملكة «مريت أت س» زوجة الملك «سنفرو» وكذلك «خع مرر نبتى» أم الملك خفرع ، انظر :

Gauthier, H., L. R., I, P. 69'

Urk, I, 155.

(2) Wb. III, 78, 7.

لقب حمت نسو ورت بمعنى زوجة الملك العظمى :

ظهر هذا اللقب منذ عهد الأسرة السادسة وكانت أول ملكة إتخذته هي الملكة «أمتس» زوجة الملك «بيبى الأول» أنظر :

Buttles, J., Op. Cit., p. 18'

Gauthier, H., L.R. I., p. 161.

نفس اللقب كان يطلق فى العصر البطلمى على الآلهة ايزيس وغيرها من الآلهات، أنظر :

Wb. III, 78, 8.

(3) Wb. III, 76, 23.

كما استخدم ايضا لقب للاميرات :

Wb. III, 76, 23.

(٤) واستخدام كلقب للالهة حتحور وايزيس في العصر البطلمي.

Wb. III, 76, 24.

(5) Wb. III, 78, 1.

(6) Wb. III, 78, 9.

(7) Wb. III, 78, 12.

فى العصر المتأخر والعصر البطلمى كان يطلق نفس اللقب (الزوجة الملكية الأولى) ويعنى به كزوجة لأوزير فقط.

hmt ntr wrt, hmt nsw wrt «كبير حريم الملك» ، «وكبير حريم الاله» (١) .

وكما استلزمت عقيدة تأليه الملك أن يحمل العديد من الألقاب الرسمية، والنعوت ذات المغزى الدينى والسياسي والاجتماعى لتوضيح تلك العقيدة، فإن هناك أيضا القاب ونعوت استخدمتها الملكات تسبق أسم الملكة أو الأميرة(٢) .

على أن هذه الألقاب والنعوت العديدة(٣) كانت غير مرتبة تبعا لأهميتها وكانت تختلف فى ترتيبها من ملكة لأخرى - عكس ألقاب الملوك المرتبة منذ بداية عصر الأسرات.

---

(1) Wb. III, 78, 10-12.

(2) Gitton, M., "Variation sur le theme des Titulatures de Reines", BIFAO, 78, 1978, p. 89.

(٣) وفيما يذكر من الألقاب منها ألقاب ترجع إلى عصر الدولة القديمة مثل «التى ترى حور وست» يعنى هذا الفرعون قد يجمع تحت سلطته المجد وميراث الآلهة معا، وقد يعنى هذا أنه كان مسموح للملكة فقط التطلع والتأمل فى الملك الاله، وهى ميزة فريدة إنفردت بها حيث كانت تلقب بـ:

المحبوبة جدا، الممدوحة جدا، الابنة الملكية (من صلبه)، زوجة الملك ، كل أوامرها نفذت (كل مطلب نطقت به نفذ لأجلها).

انظر :

Gauthier, H., "La Titulature des Reines des Dynasties Memphites:, ASAE, 24, 1924, p. 198'

Murry, M. A., Index of Names and Titles of the old Kingdom, London, 1908, p. XX.

ابتداء من نهاية الدولة الوسطى فقد تكونت ثلاثة ألقاب رئيسية : الاميرة الوراثية ، عظيمة المديح، عظيمة الحسن، مع نعوت أخرى اضافية مثل : أميرة كل النساء،، أميرة البلاد كلها ، عن هذه النعوت وأمثلة للكات انظر : Gitton, M., op. cit., p. 389.

دور الملكات فى تولى العرش :

وعلى أية حال فإن الدور السياسى الهام الذى قامت به الملكات إنما كان دورهن فى نظرية تولى العرش فى مصر القديمة، ولبيان هذا الدور يجب على الباحث أن يبدأ فى إلقاء بعض الضوء على نظام الملكية الالهية وأثره فى ربط المجتمع المصرى القديم بالفكر الدينى وما يصحبه من القيم والتقاليد الدينية المختلفة.

وعلى الرغم من عدم توفر الأدلة الموضحة للأصول المبكرة لعقيدة الملكية الالهية فى مصر القديمة وإختلاف آراء علماء علم المصريات عن نشأتها ومدى تأثرها بالاضول الافريقية فإنه يمكن القول أن هذا النظام قد نشأ وتطور بصورة تدريجية منذ تحقق التعاون بين أفراد القرية المصرية الأولى وأصبحت الحاجة ماسة إلى وجود ملك يحقق مطالب المجتمع وينقذه من كافة المحن الاقتصادية ويحقق له الانتصارات الحربية وغيرها من المظاهر الاساسية لتوفير الاستقرار والخير والامان.

ونظرا لأن الانسان المصرى القدم كان يعتقد أن الكون لا يتجزأ فلقد نمى الاعتقاد لديه بوجود ارتباط بين مليكهم وبين القوى الالهية الموجودة فى عالمه وأنه أحق أنسان فى المجتمع يستطيع القيام بدور الوساطة لديها[١] .

غير أنه يصعب التفرقة بين الديانة المصرية القديمة وبين فكرة الانسان المصرى القديم عن الملك الاله[٢] ، وهو ما عكسته الاساطير من أن مصر حكمتها الالهة منذ العصور الموغلة فى القدم فلم تكن مصر مجرد نتاج من صنع الانسان فحسب مثل غيرها من التنظيمات السياسية التى تنظم المجتمعات فى البلاد الأخرى بل لقد خلقتها الالهة ومنحتها الحياة عندما خلق

---

(١) رشيد الناضورى : التطور التاريخى للفكر الدينى ، بيروت ، ١٩٦٩، ص ٤٦- ٤٧.

(2) Brioton, E., et Vandier, J., L'Egypte, Paris, 1938, p. 89.

العالم لأول مرة، وقد استمرت باعتبارها جزءا من نظام عالم حيث إتخذ شخص فريد فى شخص الملك مسئولية رعاياه[١] وكانت الصفة الالهية للملك المصرى القديم واضحة فى كافة النصوص، ففى الاساطير نجد أن آلهة التاسوع (تاسوع اون) حكموا الواحد تلو الاخر على الارض فى مصر القديمة، والاخير من هؤلاء الملوك الاله اوزير جعل من الاله حور وريثا له ومن ثم فإن الملك يجعل من نفسه وريثا لحور يحكم بأسمه ويتجسد شخصيته، ذلك لأن المعبود الملك «حور» إنما قد ورث حكم مصر عن أبيه أوزير ثم ورثه لملوك الأسرات من بعده[٢] ، وهو ما عكسته بعض القوائم الملكية مثل بردية «تورين» وكذلك المؤرخ المصرى القديم «مانيتون»[٣] .

ونما اعتقاد لدى الجميع أن الدم الملكى يختلف إختلافا جذريا عن دماء الناس العاديين وأن الحق الملكى فى الحكم قائم على طبيعته الالهية المميزة عن البشر والتى كانت تنتقل مع الدم الملكى من ملك لآخر[٤] وفى عصر الأسرات الاوئل فإن أهم ما يؤكد الطبيعة الالهية للملك كونه سليل حور، والملك يأخذ هذا الاسم عندما يرقى إلى العرش بمهمة حور وطالما أنه من دم الهى فإنه يصبح الصورة الحية لحور[٥] .

وعلى أية حال، فإن الدم الملكى إنما ينتقل بواسطة المرأة[٦] ، حيث تعد

(1) Frankfort, H., Ancient Egyptian Religion, New York, 1961, p. 30'

Wilkenson, G., Manners and Customs of the Ancient Egyptians, London, 1978, p. 11.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٥١، وكتابه : الحضارة المصرية ص ١٠٩.

وكذا : Drioton , E., et Vandier, J., op. cit., p. 89.

(3) Vercoutter, J., op. cit., p. 196.

(4) Frankfor, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948, p. 36.

(5) Drioton, E., et Vandier, J., op. cit, 89.

(6) Kamil, J., The Ancient Egyptians , How they lived and worked, Canda, 1976, p. 97.

الزوجة الرئيسية للملك هى «زوجة الاله» وإن كانت من نسل ملكي سابق لكن قد جئ بها من صلب جسد الهي، وهذا لا ينفي حق الملوك في الزواج من أكثر من واحدة إلا أن الزوجة الملكية الرئيسية إنما كانت أنقى الزوجات دما، لأنها ولدت من صلب جسد الهي وتحمل - تبعا لذلك - شيئا من الكيان المقدس[١].

كان هذا من ضمن الاساسيات التي ساهمت في قوة نظام الام الملكية mwt nsw[٢].

والذي يرجع فيه إلى الام في النسب والوراثة[٣]، وبالتالي شرعية الحكم التى تجعل حق تولى العرش، محصورا على من تكون أمه وابوه من نسل ملكي.

---

(1) Wilson, J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951, p.96.

وكذا :

محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٢، مصر ، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ١٢.

(٢) لقب mwt nsw Wilson, J., op cit., p. 96 .

كان من أهم الالقاب التى حملتها الملكات خلال عصر الدولة القديمة لقب أم الملك وأول لقب كامل ظهر للأم الملكية هو «أم ملك مصر العليا والسفلي» mwt nsw bits مع كل من الأم الملكية · نى معات حب، مرسى عنخ، وخنت كاوس انظر :

Scipel, W., "Königsmutter", LÄ III, Sp. 538'

Nur El Din, M. A., Some Remarks on the Title Mwt-nsw, p. 1 ff.

(مقالة لم تنشر بعد).

مزيد من التفاصيل والفرق بينه وبين لقب «الام الملكية العظمى » أنظر : Ibid., pp. 3-6.

(٣) يتفق بعض علماء المصريات أن الرجل ورث كلا من الممتلكات والمركز من خلال حقوق أمه أو زوجته، أنظر :

Buttles, J., op. cit., pp. 1, 2.

وهذا ما يذهب إليه الدكتور سليم حسن من أن قانون الوراثة بين أفراد الشعب إنما كان يجرى على نظام الامومة.

سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١، القاهرة، ١٩٤٠، ص ٢٨٥.

وهناك أمثلة عديدة لمدى الاهمية الكبرى للأم الملكية نستدل عليها من الآثار والنصوص المصرية فى قوائم الملوك، ففى حجر بالرمو- كمثال - عادة ما يظهر خلف اسم الملك المعنى اسم أمه : «الملك جر» وأمه الملكة «خنت حب Hnit-Hp» [١] . كذلك فإن قائمة سقارة قد بدأت بالملك «عدج- أيب» وأغفلت اسم خليفته «سمرخت» مما يوحى بنزاع بين أفراد الأسرة المالكة على عرش مصر [٢] . وخصومه فى نهاية أيام الأسرة الأولى نم عنها أن رجال «سمرخت» قد أزالوا بإذنه أسماء سلفه من آثاره، وأثار أمه الملكة «مريت نيت» [٣] . وربما لأن أمه كانت أكثر شرعية من أم «عدج- ايب» [٤] .

وفى نهاية الأسرة الثانية وبداية الأسرة الثالثة فإن الملكة «نى ماعت حب» التى لقبت بلقب «أم الملك» كانت حلقة الوصل بين الأسرتين وعن طريقها جاءت شرعية الحكم [٥] . وأيضا فى الاسرة الرابعة فإن الملكة «خنت كاوس» قد حملت لقب «أم ملك الصعيد والدلتا» بجانب ألقابها الأخرى كملكة للوجهين [٦]

---

(1) LA III, Sp. 538'

Buttles, J., op. cit., p. 2; وكذا

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ، مصر ، ص ٤٥.

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٨٣ وكذا

Edwards I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt CAH, Vol. I, Part 2, Cambridge , 1971, p. 29.

(٣) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٢٧٢.

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٠٠.

(٦) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٢٨

وكذا :

Junker, H., Die Grabungen Der Universitat Kairo Auf Pyramiden Feld Von Giza, MDAIK, III, 1932, pp. 129-130.

ويمكن القول أن المكانة التي شغلتها الأم الملكية ظلت في الدولة الوسطى كما كانت في الدولة القديمة حيث كانت البنوة تنسب غالبا إلى الأم[١]. ومن ثم استمرت أيضا في الدولة الحديثة - وهو ما سنتناوله بالتفصيل- حيث شغلت الملوك النصب للتعبير عن مدى احترامهن وتبجيلهن[٢] ، بل والسماح لهن بأن يصورن داخل حجرة دفن الملك نفسه[٣]، وفي الأسرة الثامنة عشرة كانت الأم الملكية تسبق زوجة الملك في تسلسل الألقاب[٤] .

ومن هنا يمكننا تفسير بعض الزيجات الملكية عن طريق التسلسل الأموي وإنتقال التاج عن طريق خط الانثى، ولعل هذا هو الذي جعل من الأهمية أن تكون أم الملك من نسل ملكي فهي إما أن تكون ابنة اله أو زوج أو أم اله أو قد تكون الثلاثة معا [٥] .

وفي حقيقة الأمر أنه لا يتساوى في الأسرة المالكة من كان من أب وأم ملكيين مع غيره المنتمي من ناحية الأب أو الأم فقط[٦] ، وبالتالي فإن الزوجة

---

(١) عن مقبرة «خنت كاوس» بالقرب من مقبرة أبيها «منكاورع» أنظر
Edwards, I, E.S. The Pyramids of egypt, London, 1947, p. 241.
وكذا :
عن هيكلها وتماثيلها الالهية داخل معبد هرم أبنها الثالث «نفروكارع» أنظر :
LA III, Sp. 538.
(2) Robins, G., "The Relationships Specified by Egyptian Kingship terms of the Middle and New Kingdoms", Cd E, Tome 54, 1979, p.198.
(3) Urk IV, 26, ff.
Urk IV, 14 ff.
(٤) حيث سمح تحوتمس الثالث لامه أن تصور داخل حجرة الدفن بمقبرته بوادى الملوك.
Urk IV, 144.
(٥) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر ، جـ٢، ص ١١.
(6) Meapero, G., New light on Ancient Egypt, Translated : Lee, E., London, 1909, p. 81.

الملكية أو الرئيسية التى تمثل أنقى الفروع والتى كانت السبب فيما عرف بالزواج المقدس والذى كان يعقد بين الأخ وأخته وخاصة إذا كانا هما نفسهما ثمرة لمثل ذلك الزواج[1] .

هذه الخصوصية فى العادات المصرية القديمة والممثلة فى زواج الأخ بأخته تستدعى من الباحث إلقاء بعض الضوء عليها لما تمثل من نتيجة هامة فى تاريخ مصر القديمة وتعاقب الحكم فى البيت المالك وارتباطها بنظرية الوراثة بمصر الفرعونية.

(1) Ibid., p. 82.

زواج الأخ والأخت في مصر القديمة :

انقسم علماء علم المصريات إلى فريقين بالنسبة إلى زواج الأخ والأخت بين العامة[1] وإن أتفقوا على وجوده بين العائلة الملكية في مصر القديمة لأسباب عدة منها :

أن الابن الاكبر والأبنة الكبرى للفرعون يمثلان معا الوريثين الملكين الشرعيين، ومن ثم فقد كان زواج الأخ الأكبر من أخته حتي يبقى إلى الأبد حقهم المقدس في الحكم[2] . لأن مثل هذا الزواج سيحافظ على نقاء الدم في الخط الملكي ، وبمعنى آخر فإنه سيضمن للأسرة المالكة أهدفها في المحافظة

---

(١) الفريق المؤيد لوجود مثل هذا الزواج بين العامة ومنهم :

«بادج .Budge, E. A. W» للمحافظة على الملكية داخل الأسرة ، أنظر :

Budge , E.A.W. , The Dwellers on the Nile, London, 1926, p. 23.

كذا :

أ. ارمان وهـ، رانكة : المرجع السابق، ص ١٦٢- ١٦٣.

ك. سيلى .Seele , K » الذى يرى أن زواج الاخ بأخته كان شيئا عاديا عند المصرى القديم، أنظر :

Sterindroff, G. & Selle, K., When Egypt Rulled the East, London, 1942, p. 37.

الفريق المعارض لوجود مثل هذا الزواج وهو ما يميل إليه الباحث، منهم :

«تشرنى .Cerny, J» و «هامبورت Hombort» و «برونTican» وقد فحص «تشرنىCerny» ٤٩٠ حالة زواج تمثل الفترة من نهاية الأسرة السادسة حتى الاسرة ١٨ وإنتهى إلى نتيجة مؤكدة في عدم وجود أى رابطة للدم من نفس الابوين أو اتفاق كلا من اسم الأب والأم وبالتالى ليست هناك أدلة تثبت مثل هذا النوع من الزواج ، انظر :

rny, J., "Consanguineous Marriage in Pharaonic Egypt", JEA, Vol. 40, 1954, p. 23 ff.

هذا ويرى أستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى الأمير أنه تم العثور على حالات لتعدد الزوجات ولكن لم يعثر على ما يؤكد وجود زواج بين الاخ وأخته بين العامة، أنظر :

Amir, M., "Monodomy, Polygamy, Endogamy and Consaguinity in Ancient Egyptian Marriage" BIFAO, 62, 1964, pp. 103-107.

(2) Lambeg, C.C., & Sabloff , J., Ancient Civilization, 1979, p 138.

على امتيازها باعتبارها عائلة إلهية مقدسة ويبتعد بحكامها المقدسين عن هؤلاء الطامعين والمتطلعين إلى حياتهم المقدسة[١] ، ويؤكد صفاء الألوهية، فضلا عن تقليل عدد المتطلعين إلى العرش[٢] .

ويرى «نيبوى Newby» أن الملك يتزوج من أخته لكى يمنع الأشخاص الآخرين من الزواج منها وبالتالى يستطيع الحصول على الشرعية التى تستطيع أن تمنحه إياها، وأن مثل هذا الزواج إنما يدعم من شرعية اعتلائه العرش بسبب ذلك الاعتقاد الراسخ بأن الملكية عادة تنحدر من الأم إلى الابنة[٣] .

هذا فضلا عن أن كثيرا من الكتاب القدامى ومنهم «ديودور Didorus» إنما يرون أن عادة زواج الأخ والأخت فى مصر القديمة كان لها أصلها الدينى[٤] .

حيث وجد هذا الزواج بين الالهة كنتيجة لنمط اسطورة الخلق[٥] ، التى

---

(1) Middleton, R., "Brother , Sister and Father Daughter Marriage in Ancient Egypt", ASR., Vol. 27, 1962, p. 603.

2) Wilson, J., The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1962, pp.196-196

وكذا :

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، جـ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٤٧ .

(3) Newby, P. H., Warrior Pharaohs, London, 1980, pp. 41-42.

(4) Middlton, R., op. cit., p. 609'

Wılknson, J., Op. cit., p. 113.

(٥) أسطورة الخلق :

هناك ثلاثة مدارس فى مصر القديمة، تحدثت عن النشأة الأولى للخليقة وهى مدرسة عين شمس، مدرسة الاشمونين أو الثمانية، والثالثة هي مدرسة منف، فى الأولى فإن الاله الخالق «أتوم» ذرا من نفسه عنصرين الأول ذكر هو «شو» اله الهواء والأخرى أنثى تكفلت بالرطوبة والندى وهى

فيها الاله الخالق ينجب زوجا من الذرية وهما بدورهما ينجبان زوجا من الذرية وهكذا فى الخلق[1] حتى رزق «جب» و «نوت» بمواليد أربعة: ذكران هما أوزير وست، وأنثتان هما : ايزة (ايزيس) وثبت (نفتيس)، تزوجا واضعين نموذج يقتدى لاتباعهم الملوك، أو بعبارة أخرى فأن زواج الملوك من أخواتهن كان مصدقا عليه بواسطة الآلهة[2] .

والأمثلة عديدة على زواج الملوك من أخواتهن الشقيقات وغير

= «تفنوت» ثم تزاوجا رأنجبا بدورهما «جب» اله الارض، و«نوت» اله السماء، وذهبوا إلى أن جب ونوت رزقا بمواليد أربعة أوزير وست، نفتيس وقد عرف هؤلاء الالهة باسم تاسوع عين شمس وأما المدرسة الثانية فهى مدرسة الاشمونين (الثمانية) وتتفق مع مدرسة عين شمس فى أن العالم كان محيطا مائيا اسمه «نون» ولكنها تختلف عنها فى أن اله الشمس هنا لم يخلق نفسه بل إنحدر من ثامون مكون من أربعة أزواج على هيئة ضفادع وحيات خلقت بيضه وضعتها فوق مرتفع علي سطح نون هرموبوليس ومنها خرجت الشمس، وأما الهة الاشمونين فكانوا أربعة ذكور وأربعة أناث وكل منهم تمثل مظهرا من المظاهر التى كانت تسود الكون فى البداية.
وأما المدرسة الثالثة فهى مدرسة منف وهي أكثر المدارس عمقا وأكثرها حبكة وإن الهها بتاح هو الرب الخلاق القديم وأنه كان روحا للكيان المائى العظيم بكل ما أحتواه من ذكر وأنثى، عن هذه المدارس أنظر :
محمد بيومى مهران · دراسات فى تاريخ الشرق الأدني القديم، جـ٤، اخناتون، الاسكندرية ١٩٧٩، ص ٣٠٩- ٣١٠.

(1) Robins, G., "A Critical Examination of the Theory that the right to the Throne of Ancient Egypt Passed through the female line in the 18th. dyansty", GM. 62, 1983, p. 71.

(2) Budge, E.A.W., op. cit., p. 23;
Seele, K., & Stendroff, G., op. cit., p. 37.

الشقيقات[١] ، وخاصة فى عصر الدولة الحديثة[٢] ، غير أن قيمة هذا الزواج المقدس إنما تزداد أهميتها إذا كان الوالدان على نفس الوتيرة[٣] ، ومن ثم فإن الابن الأكبر من الزوجة الملكية الرئيسية يكون مهيئا للوراثة ويحق له أن يخلف أباه فى الحكم، وهناك حالات مؤيدة لذلك سواء فى الأسرة الثانية عشرة أو فى عصر الدولة الحديثة [٤] .

والقاعدة الثابتة فيمن يعتلى عرش مصر أن تسرى فى عروق أمه وأبيه الدماء الملكية النقية، أما إذا كان أبنا لزوجة ثانوية- في حالة عدم وجود وريث

---

(١) كلمة Sn بمعنى أخ ومؤنثها Snt بمعنى أخت من المصطلحات غير المباشرة ولا تشير إلى القرابة الحقيقة أو إلى الأخوة الاشقاء وغير الاشقاء، وعندما تعنى، أخ، أخت أو «زوج» ، «زوجة» فإن هذا المصطلح يستخدم بمفرده دائما .

ومن المحتمل أن معانى المصطلح الأخرى يمكن أن تكون أكثر تحديدا إذا ما أضيف لها مصطلحات أخرى فنجد أن :

أخ الأب sn It ، أخت الاب snt It ، أخ الام snt nt mwt ، وأحيانا نجد :

أخو أم الام sn n nwt nt mwt ، أخت أم الام snt nt mwt

وقد وجدت العبارة التالية فى مقبرة «باحرى» بالكاب :

ابن/ أبنة الاخت لام الام s3/ s3 t n (t) snt nt mwt nt mwt

وأخيرا هناك أمثلة لـ : ابنة الاخ ، الاخت s3 nt sn / snt

Robins, G., "The Relationship specified by Egyptian Kingship Terms of the Middle and New Kingdoms" CdE, Tome 54, No. 108, 1949; p. 203; Budge, E.A.W., op. cit., pp. 23-24.

الاخت بمعنى الحبيبة أو الرفيقة وليس الاخوة الفعلية كما فى أغانى الحب انظر :

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية القديمة، جـ٤: الاسكندرية ، ١٩٥٩، ص ٣٨٩-٣٩١.

(2) Midelleton, R., op. cit., p. 604;
Weigall, A. , A. History of the Pharaohs, London, 1927, pp. 215,
Breasted, J. H., A. History of Egypt,London,1906, pp.259; 266-267

(3) Maspero, G., op. cit., p. 82.

(4) Robins, G., op. cit., p. 73;
Frankfort, H.op. cit., p. 101.

شرعى من الزوجة الرئيسية - فإنه من الواجب عليه أن يلجأ إلى الزواج من أميرة من الفرع الملكى الخالص تكون أكبر الاميرات الباقيات على قيد الحياة من بنات البيت المالك(١) ، وإذا لم توجد تقوم مقامها أرملة الملك وبذلك يقوى مركزه ويصبح أهلا لتولي العرش، وفى هذه الحالة لا تقوم أسرة جديدة(٢) ، وتبعا للتقاليد المصرية فإن الأبناء ثمرة هذا الزواج، هم أصحاب الحق الشرعى فى العرش، كذلك فى حالة وفاة هذه الوريثة فإن حقه ينتهى فجأة لصالح أى من الأبناء الباقين على قيد الحياة للوريث المتوفي من الخط الملكى(٣) .

وكما حافظت مصر القديمة على التقاليد الموروثة ومن ضمنها الحقوق البارزة للمرأة فى الوراثة وأكدت دورها كسيدة للمنزل كذلك كانت الزوجة الملكية الرئيسية هى الحارسة على حق الوراثة الملكى وإنتقال حق الحكم إلى أولادها(٤).

---

(١) لقب s3t nsw عادة ما يترجم بالأبنة الملكية، جمع يونكر Junker" عددا من الامثلة من الدولة القديمة تبين أن "s3t nsw" تشير إلى بنات الملك الكبار، أنظر :

Junker , H., Giza II, Wien and Leipzig, 1934, pp. 32-37.

ومن الاهمية التحقق من أنه لم يعط كلقب شرفى لحريم لسن ذات مولد ملكى ، أنظر :

Robins, G., op. cit., p. 67.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٥١.

وكذا :

Newberry, P.E., "King Ay, The Successor of Tutankh-Amun", JEA, Vol., 18, 1932, p. 50;

Pirenne, J., La Religion et la Marale dans L'Egypte Antique, Suisse, 1962, p. 120;

Middleton, R., op. cit., p. 609;

Maspero, G., op. cit., p. 82-83.

(3) Steindorff, G., and Seele, K., op. cit., pp. 34-36.

(4) Moret, A., The Nile and Egyptian Civilization, London, 1927, p.306.

وبمعنى آخر فإن حق العرش يتم من خلال الخط الأنثوى على الرغم من أن منصب الملك يمارس بواسطة الرجل (الملك) الذى تزوج بالوريثة، أى أن كل ملك عليه أن يتزوج بامرأة ذات مولد ملكى ويجب أن تكون من خط أنثوى ملكى من نسل مباشر(١) ، أو كما يرى أستاذى الدكتور محمد بيومى مهران أن الملكة ملكة بحق المولد وأن الملك ملك بحق الزواج(٢) .

كما يرجع بعض علماء المصريات فكرة وجود أسرات جديدة وتقسيم عهود الحكم فى التاريخ المصرى القديم إلى تطور أو إنقلاب فى نظم الحكم- مثلما حدث فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة وبدء الأسرة التاسعة عشرة. أو إلى وجود أميرة فى آخر الأسرة تتزوج من رجل من غير أبناء العائلة المالكة ومن نسلها تتكون أسرة جديدة ويكون هذا الزواج حلقة الاتصال بين الأسرتين، وهو ما حدث فى إنتقال الحكم من الأسرة الثالثة إلى الرابعة(٣) .

ولعله من الأهمية بمكان الاشارة إلى أنه قد حدثت تحايلات عدة طوال عصور التاريخ المصرى القديم للاستيلاء على الحكم بغير حق شرعي بدأ منذ عهد الأسرة الخامسة حيث لجأ الملوك الذين لم يكن لهم حق شرعى مطلق فى تولى العرش بمساعدة من كهنة رع – الذى تعاظم نفوذهم منذ النصف الثانى من حكم الأسرة الرابعة – فى الاستحواذ على النفوذ السياسى وإستحواذ «رع» لمكانة الاله «حور» ومن ثم فقد أصبح الاله «رع» هو اله الدولة وأصبح الملوك أبناء «رع» من صلبه تبعا لتلك القصة التى نسجها كهنته والتى وصلتنا

---

(1) Robins, G., op. cit., p. 67.

(٢) محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم، مصر، جـ١، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٣) عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٦٩٦-٦٩٩.

وكذا :

عبد العزيز صالح : حضارة مصر وآثارها ، ص ٣٢١.

مكتوبة على بردية عرفت بأسم «بردية وستكار»[١] ، أو قصة خوفو والسحرة الهدف منها إضفاء الشرعية بجعل القوة الالهية تتدخل لتبرر لهم الاستيلاء على العرش سواء بأعتبارهم أصحاب حق الاختيار الالهى[٢] ، كما فعل تحوتمس الثالث الذى عرف كوريث بوحى من الاله آمون فى الكرنك[٣] ، وتحوتمس الرابع الذى فضله الاله آمون ليتولى العرش[٤] ، أو الى قصص الولادة الالهية التى تكررت مع حتشبسوت التى قدمها أبوها إلى الهة مصر كخليفة له[٥] ، وامنحتب الثالث الذى تغلب على أجنبية أمه مدعيا أن الاله آمون قد أنجبه منها بنفسها[٦] .

وهو ما يراه الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح دليلا على أن اعتقاد

---

(١) تحتوى «بردية وستكار Papyrus Westcar» على قصة خرافية جاء فيها أن «خوفو» خاطب يوما أبناءه عن أعمال السحرة الماهرين وطلب من نجله «حور- ددف» أن يحضر له ساحرا ماهرا من بلدة «دد- سنقرو» يدعى «ددي» وحينما حضر الساحر ووقف بحضرة الفرعون وقام بأعمال سحرية أخذت بعقول الحاضرين وعندما أوشك على الانتهاء أظهر خوفه للفرعون عن عدم رغبته فى إفشاء سر كبير غير أنه أضطر أمام رغبة الملك أن يفصح عنه ويخبره بتلك الولادة الالهية الأولى من نوعها فى التاريخ المصرى، وذلك أن زوجة أحد كهنة رع «رددت» ستحمل منه وستلد بمساعدة الالهة ثلاثة أطفال سيحكمون مصر الواحد تلو الأخر، مما أغضب خوفو ولكن الساحر طمأنه بأن العرش سوف ينتقل إلى أبنه وحفيده ثم ينتقل إلى أحد أبناء الاله «رع» الذين ظهرت عليهم علامات الملك وأن المعبودات سمتهم بأسمائهم وهم : و«سركاف» و «ساحورع» و «نفراير كارع (كاكاى)» وعلى الرغم من أن أسلوب القصة يدل على أنها كتبت فى عصر الدولة القديمة إلا أن أول نموذج وصل إلينا كان منقوشا على جدران معبد «أمنمحات الثالث» «وتكررت بعد ذلك مرات عديدة طوال التاريخ المصرى. أنظر ·

أ. أرمان : ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، مراجعة محمد أنور شكرى، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٦٤.

وكذا Vandier,J.La Religion egyptienne,Paris,1949,p. 14.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٢.

(3) Urk. IV, 156-162.

(٤) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، القاهرة ١٩٦٧، ص ٢٠٨.

(5) Urk IV, 255-58.

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٨.

وكذا : Wening, S., op. cit., p. 31.

الفراعنة أن الأمر الواقع في ارتقاء العرش والهيمنة على السلطة لا يكفى وأنه لابد من تأييده بسند من الدين يرضى الكهنة والخاصة والعامة[١] .

لقب الزوجة الالهية فى عصر الدولة الحديثة :

ولقد استطاع الكهنة ، فى الاسرة الثامنة عشرة، وخاصة كهنة الاله آمون وهم أصحاب النفوذ الأقوى بالنسبة لسائر كهنة الالهة اقامة علاقات وثيقة من ناحية الممتلكات والثروة أخذت تنمو وتزداد مع كل حاكم جديد[٢] – وإن لم يقتصر الامر علي رد فعل من جانب بعض الملوك الهروب من هذه السيطرة وكبح جماح أطماع الكهنة – ولقد كان للاله آمون أهمية كبيرة فى صنع قرارات الدولة وكان الدور الذى لعبه فى أساس حياة الملك نفسه دورا حيويا، لذا كان الملك يوصف بأنه خليفته حتى فى الأمور الزوجية[٣] .

وفى هذا الاطار رأينا تلك الوظيفة التى أصبحت تسند إلى الملكات وهى زوجة الاله " hmt ntr" أو زوجة الاله آمون hmt ntr nt Imn

ومن ثم فقد أصبحن بجانب حقوقهن الوراثية ينلن مركزا دينيا ممتاز يتصل بـ «آمون رع» اله الدولة الحديثة [٤] ، وهى بتلك الوظيفة أصبحـ يشغلن المركز التالى للملك بالنسبة لهيئة معبد آمون الاله الرسمى للدولة ليس بوصفهن ملكات فقط ولكن لأن الملكة حاملة لقب الزوجة الالهية– مثلها مثل الملك– كانت تمثل حلقة اتصال وثيقة بين الدين والدولة[٥] . ولعل الهدف الرئيسي منها أن يصبح الملوك من أبنائهن حكاما شرعيين من ورثة آمون اله طيبة وصاحب مصر، وسلطان الامبراطورية جمعاء[٦] .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(2) Moret, A., op. cit., p. 306.

(3) Newby, P. H., op. cit., p. 41.

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٠.

(5) Sander-Hansen, C.E., Das Gottesweib des Amun, Kobenhavn. 1940, p. 51.

(٦) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٥٠.

ومن ثم فقد اقترن بلقب الزوجة الالهية "hmt ntr" فى الغالب لقبان هما :

يد الاله «جرث نثر» drt ntr عابدة الاله «دوات نثر» dw3t ntr

فضلا عن التسمية التى تتحد مع الاله «حنمت نتر» hnmt ntr

أما بالنسبة للقب يد الاله جرث نثر فهو اشارة مباشرة لدور اساسى للالهة فى نشأة الخليفة(١) .

أما بالنسبة للقب عابدة الاله «دوات نثر» فكما يرى بلاكمان أن اللقب يشير إلى الدور الذى كان يؤديه الكهنة فى اون (هليوبوليس) لعبادة اله الشمس فى الصباح الباكر(٢) .

أما بالنسبة للقب الزوجة الالهية «حمت نثر» Hmt ntr فهناك بعض اشارات غير كافية عن وجود هذا اللقب قبل عصر الدولة الحديثة ولكن فيما يبدو أنه ليس من المؤكد أن وجود عبادة أو اله ارتبط بها اللقب(٣) ، ويمكن

---

(١) لقب «جرت نثر» اشارة لدور أتوم حينما ذرأ من نفسه- بامتزاجه أو باستمنائه عنصرين الاول ذكر غدا يعرف «شو» والآخر أنثى عرفت بأسم «تفنوت» أنظر :

Lefebvr, G., Historie des Grands Pretres d'Amon of Karnak Jusqu'al VVI Dynastie, Paris, 1929, p. 37.

وكذا : الالهات حتحور ، وأيزيس ، موت، أنظر :

Blackman, A.H., "On the Position of Women in the Ancient Egyptian Hierarchy", JEA, Vol., 7, 1921, p. 13.

وفى الدولة الوسطى حملت اللقب «أى مريت نب اس Ii -mrt-nb-s أهم ملكات الدولة الحديثة اللاتى حملته إلى جانب لقب الزوجة الالهية : الملكة أحمس نفرتارى، الاميرنفرو رع أبنة حتشبسوت، الملكة حتشبسوت الثانية، الاميرة ميرت آمون وغيرهن، انظر :

LA II, So, 792.

(3) Blackman, A.M., op. cit., p. 11.

عن معنى كلمة «دوات»بمعنى «الصباح» يتعبد أنظر :

Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, Oxford, 1927, p. 565.

القول أن الملكة «احمس نفرتارى» هى التى بدأت سلسلة الزوجات الالهيات ملكيات كن أو أميرات[1] ، فى بداية الاسرة الثامنة عشرة [2] .

وخلال الدولة الحديثة فإن زوجات الاله سمين بالكامل زوجات الاله آمون "hmt ntr nt Imn" مع التحديد فى الاحيان :

= حملت اللقب sn-snb أبنة حتشبسوت . وزوجة تحوتمس الثالث «ايبو أم را ع» أنظر :
CG. 34047. والاميرة «حوى Hwy» منتصف الاسرة الثامنة عشر : أنظر :
PM. 1, 2, 789.

لقب عابدة الاله يحل محل زوجة الاله فى النصوص الهيراطيقية ابتداء من منتصف الاسرة الثامنة عشرة ، واستخدم بديلا للقب الزوجة الالهية خلال عصر الانتقال الثالث والعصر المتأخر ، أما فى العصر البطلمى فقد استخدم لقب «عابدة الاله» للاشارة إلى الكاهنة الخاصة بطيبة ، انظر :

Gitton, M., and Leclant, J., "Gottesgemahlin", LA, II, sp. 793.

(١) ظهر لقب الزوجة الالهية hmt ntr على أحد الاختام التى ترجع للأسرة الأولى وحملته الزوجة الالهية «شدت» أنظر:

Petrie, F., A History of Egypt, London, 1927, II, p. 80.

كما ظهرت على تمثال خشبى لسيدة ربما تكون الملكة «نفرو» الملك أنتف الثانى من الاسرة الحادية عشر، أنظر :

Newberry, P. E., " Extracts from my note-books", PSBA, XXIII, 1901, pp. 221-222;

Gauthier, H., L.R., p. 250.

وفى الدولة الوسطى حيث حملته كل من : «أى مرت نب اس» Ii- mrt - nb. s «نفرو» Nfrw أنظر :

Gitton , M., and Leclant , J., op. cit., sp. 793.

(٢) راجع قائمة الزوجات الالهيات قبل الاسرة الثامنة عشر حتى نيتوكريس الثانية ابنة احمس الثانى، انظر : Ibid., 802-805.

وقارن : Sander - Hansen, op. cit., pp. 5-10.

حيث يرى أن اللقب حملته الملكة «ايع حتب» الاولى وإن لم يسجل لها إلا فى عهد تحوتمس الأول.

في الكرنك Ipt iswt[١] . وفى اقطاعات آمون m pr Imn[٢]

وبذلك يمكن القول أن الدور الذى تقوم به الزوجة الالهية على الأرض مساو للدور الذى كانت تقوم به الالهة «موت» الزوجة الالهية للآلة آمون[٣] ، وهو نفس الدور الذى كانت تقوم به الالهة «حتحور» زوجة الاله «رع» فى اون «وعندما اندمج «آمون» مع «رع» فإن الالهة «موت» قامت بنفس دور الالهة «حتحور»[٤].

وبالاضافة إلى الدور الأساسى للزوجة الالهية فى تأكيد حق أبنائها فى الجلوس على العرش، فقد كان لها أيضا وظيفة إدارة شئون الحزيم داخل المعبد[٥] ، والاشراف عليهم ثناء الاحتفالات حيث شاركت بنفسها بالغناء وإمساك الشخشيخة وذلك من أجل اسعاد الاله[٦] ، بالاضافة إلى قيامها بالاشراف الروحى على معابد آمون وأتباعه[٧] .

وبصفة عامة فإن دورها فى أداء الطقوس الدينية كان شيئاً رمزيا – مثله مثل دور الملك فى العبادة[٨] – وربما كان هذا الدور الدينى فى البداية

---

(1) Gitton, M., and Leclant, J., op. cit., sp. 795.

(٢) أحمس نفرتارى .. LD III, 4 c.

(3) Lefebvre, G., op. cit., p. 35;
Cerny, J., Ancient Egyptian Religion, London, 1951, p. 132.

(4) Blakman, A. M., op. cit., p. 14.

(٥) سليم حسن : مصر القديمة، جـ١، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٥٠٦.

(6) Lefebvre, G., op. cit., pp. 33-36.

(7) Sander-Hansen, O.E., op. cit., pp. 24-25.

(٨) من المعروف أن العبادات كانت تقام فى أى معبد باسم الملك، وفى واقع الامر فإن عمل الملك كان مقصورا على تعيين كبار رجال الدين وكبار الكهنة فى العبادات الكبرى، وأما تعيين الكهان من ذوى المناصب الدنيا فقد كان يترك للوزير فى غالب الأمر، هذا فضلا عن سلطة الملك ترقية من يعجب بنشاطه وكفاءته من الكهان، انظر :
محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٤، الاسكندرية ١٩٧٩، ص ٧٧-٧٨.

باعتبارها ملكة، ولهذا كان من الطبيعى أن يكون للزوجة الالهية من يقوم بالطقوس الدينية بدلا منها، تماما مثل الملك الذى ينيب عنه الكهنة فى شئون العبادة(١) .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة إلى أن هذا اللقب قد أصبح له فيما بعد أهمية سياسية خطيرة وللتدليل على ذلك فإن هناك مثالا يرجع إلى عصر الأسرة السادسة والعشرين حيث صرح «بسماتيك الأول» فى العام التاسع من حكمه أنه سيقدم أبنته «نيتوكريس» الثانية إلى الاله آمون ، والتى تم تبنيها بواسطة كلا من «شبن اوبت» الثانية و «امنرديس» الثانية كزوجة الهية لآمون لقبت بأسم «نب نفرو موت» تحت اسم «شبن اوبت» الثالثة.

والنقطة الهامة فى ذلك أن بسماتيك لم يطرد «امنرديس الثانية» ولكنه جعلها تتبنى أبنته كزوجة الهية بطريقة قانونية، وفى هذا دليل على نهاية النفوذ السياسى والفعلى لملكة «نباتا» النوبية واشارة واضحة إلى أهمية اللقب وحاملته من الناحية السياسية(٢).

---

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، جـ١، ص ٣٠٠.

(2) Kitchen, K.A., The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, pp. 403-4;

Cerny, J., op. cit., pp. 132-133.

الفصل الثانى

مصر منذ قيام الدولة الحديثة
وحتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة

الفصل الثاني

الفترة الواقعة بين نهاية الأسرة الثانية عشرة حوالى ١٧٨٥ ق.م. وبداية الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٥٧٠ ق.م.، من أشد الفترات فى التاريخ المصرى القديم اضطرابا وغموضا، ففى القسم الأول من هذه الفترة حكمت الأسرة الثالثة عشرة وحدها مصر، وتذكر القوائم الملكية حوالى واحد وخمسين ملكا لهذه الأسرة، ولكنها لا تتفق فيما بينها على ترتيب تعاقبهم على عرش مصر، ويعتقد العلماء أن ملوك الأسرة الثالثة عشرة ينتمون إلى أصول طيبية، كما يعتقد العلماء أنه فى نهاية الأسرة اصبحت السلطة الفعلية فى ايدى الوزراء وليست بأيدى الملوك، كما يبدو أن العاصمة ظلت فى «ايثت تاوى» كما هو الحال فى الأسرة السابقة، وحسب رواية «مانيتون» فلقد نجح بعض أصحاب النفوذ فى الأقليم السادس من اقاليم الدلتا فى المكان المعروف حاليا باسم «سخا» على مقربة من كفر الشيخ الحالية فى تأسيس الأسرة الرابعة عشرة التى عاصرت الأسرة الثالثة عشرة، وفى نفس التوقيت نجح الهكسوس فى تشكيل أسرتين منهم هما الأسرة الخامسة عشرة ، تلتها الأسرة السادسة عشرة، وجعلا عاصمتهم أواريس فى الشمال الشرقى.

(اواريس «افاريس» اسمها المصرى «حت وعرت» اتجه رأى بعض العلماء إلى موقع تاتنس وتعرف حاليا باسم «صان الحجر» شمال شرق الدلتا على مبعدة ٢٠ كم إلى الجنوب من مدينة المنزلة الحالية، ويرى «جاردنر» أن حت وعرت وبررعمسيس وتانيس ثلاث مقاطعات متوازنة لنفس المدينة، وتبعا للحفائر الحديثة يرى كثير من العلماء أن افاريس تقع إلى الشرق من الصالحية بحوالى ٢٥ كم شرقى الختاعنة – قنتير الحالية.

وكما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح الملامح الرئيسية لعهود الأسرات الهكسوسية التى شملت الأسرات الخامسة عشرة والسادسة عشرة وجزء من السابعة عشرة، وشغلت مائة عام وثمانية أو ما هو أقل من ذلك

بكثير ، وجمعوا بين أسمائهم الأجنبية مثل خيان وإبيى وبين أسماء مصرية، وأنهم تشبهوا بالفراعنة المصريين فى القابهم وملابسهم وهيئات تماثلهم وادعوا التقرب من الأرباب المصريين، وحاولوا أن يتمصروا.

وكما يرى كثير من الباحثين ومنهم «جون فوركيته وسيد برج» أن بدء تسللهم كان فى منتصف الأسرة الثانية عشرة ثم ازداد عددهم مع نهاية الأسرة الثانية عشرة ومنتصف الأسرة الثالثة عشرة فى عهود كل من «نفرحوتب الأول» و «ساحتحور» و «سوبك حوتب الرابع»، واستمر ذلك فى فترات حكم الملوك : سوبك حوتب الخامس «ونفرحوتب الثالث» ويع ايب رع - ايبى، وقد جرت هذه الأحداث فى الفترة من ١٧٢٠ ق. م إلى ١٧٠٠ ق.م. استنادا اللوح الأثرى المعروف «لوح الـ ٤٠٠ عام » الذى اقيم احتفالا بذكرى تأسيس معبد الإله «ست» فى افاريس الذى رأى فيه الهكسوس أن هذا الإله المحلى هو صورة من الهم الآسيوى المقدس «بعل» أو «ريشوب» والمعروف أن هذا اللوح قد اقيم فى عهد رمسيس الثانى، وإن هذا اللوح نسخة منقولة عن لوح اقدم يعود إلى عهد الفرعون حور محب (الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٣٢٠ ق.م.)، وهذا يعنى أن المعبد الأصلى قد تأسس حوالى ١٧٢٠ ق.م.

استيلاء الهكسوس علي مصر :

جاء استيلاء الهكسوس على الحكم فى شمال البلاد بالتدريج وعلى مراحل، واستغرق هذا الصراع حوالى ست واربعون عاما : ويزيد (كما يرى فوركيته» حتى نجحوا فى توطيد نفوذهم حتى منف .

«... أخيرا جعلوا واحدا منهم ملك اسمه «ساليتس» قلدوه فى منف أخذ جزية من مصر العليا ومصر السفلى وجعل حاميات فى معظم الاماكن، وأمن (الحدود) الشرقية التى كانت مهددة من الأشوريين اعاد تشييد مدينة قديمة اطلق عليها أواريس (جعل منها العاصمة بعد تحصينها) ....»

وفى الوقت الذى كان فيه ملوك الهكسوس يبذلون غاية جهدهم لفرض سلطانهم على مصر كلها دون جدوى، كان نفوذ أمراء طيبة يمتد ليشمل الأقاليم الثمانية الأولى من مصر العليا والتى تمتد من إليفانتين جنوبا وحتى ابيدوس شمالا، هناك أسرات محلية أخرى تسيطر على بعض اجزاء من أقاليم مصر العليا والسفلى، وأما النوبة فقد كونت دولة مستقلة عاصمتها «بوهن» بينما سيطر الهكسوس على الدلتا متخذين من «افاريس» عاصمة لهم، وفى الوقت الذى حافظ فيه أمراء طيبة الاوائل على هويتهم ومواردهم الاقتصادية، ويعدون العدة لدحر المعتدى وتخليص أرض الكنانة مما أصابوا، وليس مصادفة أن يستعيد الأسلاف الثلاثة «لتاعا الأول» أسماء أقدم أمراء طيبة «انتف» وهم الملوك الثلاثة قبل الملوك المناتحة، وظلت ذكراهم باقية بسبب ما أدوه لمصر، فيشعرون أنهم خلفاء لجيل يستعيد أمجاد أسلافهم فى الدولة الوسطى، والحقيقة أنهم نجحوا فى اذكاء الشعور الوطنى فى نفوس أهل طيبة حتى أدى هذا إلي ضرورة قيام حرب التحرير ضد الهكسوس ووضع الأسس التى قام عليها ملكهم على كل مصر، فى مثل هذه الظروف الدقيقة، تزوجت» تتى شرى» بزوجها الملك «تاعا الأول» فأدت دورها فى حياة زوجها، ولقد أنجبت من «تاعا الأول» ابنها «تاعا الثانى» وابنتها «ايعح حوتب»، ولقد ترملت وهى فى ريعان شبابها غير أنها نجحت في تمكين ابنها «تاعا الثانى» من اعتلاء العرش تحت اسم «سقنن رع» والملقب فيما بعد بالشجاع مع أخته «ايعح حوتب» كزوجة وكملكة لتأكيد حقه الشرعى فى ارتقاء العرش ومواصلة الكفاح ضد الهكسوس .

ورغم أن الدور الذى لعبته ليس واضحا على وجه التحديد فإنه لا مجال للشك فى أنه كان لها دور فى النضال المبكر، وأنها قدمت فيما بعد لابنها وأحفادها كل خبرتها ونصيحتها وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار مركز المرأة وتأثيرها فى مصر القديمة.

وقد عكست النصوص والآثار مكانتها سواء فى حياتها أو بعد مماتها حيث أعطيت قطعة من الأرض فى شمال الدلتا بعد طرد الهكسوس كمكافأة على النصر، وهناك لوحة من الحجر الجيرى موجودة الآن فى متحف لندن وفيها نرى الملك «أحمس الأول» مرتديا التاج الأبيض فى مواجهة الاله مونتو وهو يشرف على ترميم محراب له وخلفه تقف الأم الملكية «تتى شرى» لتمثل الأسرة فى تلك المناسبة الدينية الهامة.

ونستنتج من ذلك أن الملكة «تتى شرى» كانت على قيد الحياة حتى شاهدت تتويج الملك «أحمس» واشتركت فى إعادة تجديد معبد الاله «مونتو» فى طيبة.

هذا ولقد نالت «تتى شرى» درجة كبيرة من التكريم بعد وفاتها حيث كان حفيدها «أحمس» مجاملا لذكراها، فهناك لوحة تعرف باسم «لوحة ابيدوس»، التى عثر عليها «وليم فلندرزبترى» فى ابيدوس، يوصف فيها أحمس وكأنما يجلس إلى زوجته «أحمس نفرتارى» يفكران فيما يستطيعان عمله من أجل اسلافهما، فقالت أخته (بمعنى زوجته هنا)» لما تتذكر هذه الأمور ماذا فى قلبك؟ وأجابها الملك نفسه قائلا : لقد تذكرت أم أمى وأم أبى، الزوجة الملكية العظمى، وأم الملك «تتى شرى» المتوفاة، (على الرغم) أن لها غرفة دفن وضريحا فوق أرض مقاطعتى طيبة وابيدوس، ولكن أقول ذلك لأن جلالتى انتوى أن يضع لها هدفا ومحرابا فى الارض المقدسة بالقرب من أثر جلالتى كهبة تذكارية من جلالتى.

ويمضى النص فى سرد قيام الملك بالفعل ببناء ذلك الهرم والمعبد تحيطه بحيرة وأشجار، وقوائم القرابين ومنحة بالأراضى وامداده بالكهنة لاداء الطقوس الدينية ليؤدوا واجباتهم نحوها، ولقد عثر على معبدها، ولا شك أن هذه اللوحة كانت قد أقيمت فيه.

بالإضافة إلى سلسلة نسب الملكة «تتى شرى» جدة أحمس الأول كذلك لا يوجد وقت محدد لمعرفة المدة التى عاشتها جدة الملك «أحمس» وتاريخ وفاتها، ولكن يرجح وفاتها قبل اقامة اللوحة، وانها قد دفنت فى طيبة حسب ما هو واضح من النص، عن عمر يبلغ حوالى سبعون عاما خلال العقد الأول من حكم حفيدها الملك «أحمس الأول».

وبالرغم من عدم العثور على قبر «تتى شرى» إلا أنه قد عثر على بعض محتوياته وضمنها تمثالان، لتشابههما الشديد من حيث الحجم وتمثل الملكة جالسة على العرش ونفس الملابس وطريقة لباس الرأس يبدو أنهما صمما معا، أحدهما محفوظ بالمتحف البريطانى والاخر فى متحف اللوفر، وقد نقش على الجانب الأيسر من التمثال دعاء «إلى الاله» أوزير لطلب القربان، أما على الجانب الأيمن فقد كان عليه دعاء إلى «آمون» لروح الأم الملكية «تتى شرى» والتمثال ذو قيمة من الناحية الفنية لما يعكسه من ملامح تدل على شخصيتها المؤثرة ونفوذها الهام اثناء حياتها وكما مثلت بعد وفاتها.

الملكة ايعح حوتب :

هذا ولقد خلفت الملك «ايعح حوتب» أمها فى ظروف شديدة القسوة واستطاعت بما تتمتع به من شخصية قوية ان تعلب دوراً سياسياً هاماً، وباعتبارها ابنة «سنخت ان رع» (تاعا الأول) والملكة تتى شرى فإنها حملت لقب : الابنة الملكية العظمى وأخت الحاكم وزوجة ملكية عظمى لـ «سقنن رع تاعا الثانى، الذى بدأ حرب التحرير ورفع راية الجهاد ضد المغتصبين الاجانب.

ومما اسفرت عنه تلك الجولة الأولى هى استشهاد «سقنن رع» فى ميدان القتال ومضحيا بحياته فداء لمصر، وتدل مومياؤه علي أنه لم يمت ميته طبيعية، ومن أثار مقتله طعنات ثلاث فى فكه الأيسر ثم عاجله المعتدى

بطعنتين أخريتين أصابت احداهما ما فوق حاجبه الأيسر والأخرى عظام رأسه.

وبعد استشهاده جهز للدفن سريعا وأودع قبره فى جبانة طيبة، أما عن أولاد الملكة «ايعح حوتب» وزوجها سقنن رع، منهم الأمير «أحمس الأكبر» الذى مات صغيرا أثناء حكم أبيه، الأمير «بِيْنبو» ومات أيضا صغيرا فى نفس فترة أخيه الأمير «أحمس» ثم أميرة تسمى «أحمس» ثم الملوك : كامس، أحمس والملكة «أحمس نفرتارى» ولقد كان لها دورها السياسى الهام وخاصة في تلك الأوقات العصبية خلال حرب الهكسوس والتي سقط فيها رجال العائلة الملكية فى المعركة، فلقد دفعت بأبنها «كامس» إلى ساحة الوعى بعد استشهاد أبيه، وحين ودع هذ الدينا، ودفعت بابنها الثانى «أحمس» لينجز المهمة ويؤدى واجبة، ويبدوان الأمور فى طيبة قد تعرضت لبعض الاضطرابات الخطيرة بعد وفاة «كامس» مباشرة وتولى «أحمس» زمام البلاد فأستطاعت بما لها من حكمة أن تلعب دوراً كان له الأثر فى استقرار الأمور فى طيبة.

وعودة إلى دور «كامس» فى تحرير مصر من المحتل الهكسوسى، فبدأ بالقضاء على الموالين للهكسوس من المصريين والنوبيين، وذلك بتدمير مدنهم وسكناتهم فى المنطقة ما بين الأشمونين وأطفيح، كما نجح فى القضاء على التعاون بين العدو الهكسوسى وملك كوش النوبى بمراقبة الطرق فى الواحات لمنع أى اتصال بين الجانبين، كذلك راقب الامدادات التموينية عبر النيل كنوع من الحصار الاقتصادى.

ونص لوحتى «كامس» بالكرنك، ولوح «كارنارفون» (الذى عثر عليه بين وحدات الاحجار كأساس لتمثال رمسيس الثانى بجانب الصرح الثانى بالكرنك)، تشير إلى استمرار المعارك ضد الهكسوس حيث عقد الملك «كامس» لقاء مع كبار مستشارية قائلا لهم : «كيف امارس سلطتى، وهناك ملك يحكم فى آورايس فى الشمال، وآخر نوبى فى كوش، بينما أنا هنا عاجز عن

التصرف، إنى لا استطيع بلوغ منف»

وتجاهل «كامس» نصيحة قواده وبعض مستشارية بعدم اللجوء للحرب مفضلين السلم شأنهم شأن المتخاذلين فى كل زمن»، وسوف يواصل «كامس» الجهاد ضد المحتل : « .... أنا سوف أدمر العدو وسوف اقطع كل اشجاره واسحق عجلاته، وسوف ادفع نسائه إلى الأسر....»

. وزحف «كامس» بقواته حتى استولى على مدنية «نفروسى» (وسط مصر العليا ويعتقد أنها شمال الإشمونين)، كما استولى على بعض المدن الآخرى القريبة من النهر أثناء حملته النيلية فى طريقة إلى الشمال نحو «آواريس»، كما نجحت قواته فى أسر رسول الملك الهكسوس إلى حاكم كوش.

« .... أسرت رسول العدو (الملك الهكسوس) فى جنوب الواحات أثناء صعود حاملها إلى كوش، وفيها يقول «عا اوسر رع – أبيبى» إلم ترى ما فعلته مصر معى حيث حاكمها «كامس» هاجمنى فى ممتلكاتى بالرغم أنى لم اناصبه العداء، حيث فعل معى مثل ما فعله معك (ربما إشارة إلى جهود حكام مصر فى الفترات السابقة لتأمين بلاد النوبة) احضر فوراً إلى عاصمتى فى الشمال ولا تخف حيث أنه (مشغول) معى (بالاضافة) لعدم وجود أحد يستطيع أن يعارضك هنا فى مصر (بجانب) أنى لن أدعه يرحل قبل وصولك، وسوف نقتسم مصر بيننا ...»

ومن المرجح أن «كامس» أرسل أكثر من حملة لتأمين الواحات، وكذلك قطع كل طريق بين حدود مصر الجنوبية والشمال ومنع تبادل أى رسائل بين العدو وايضا منع وصول أى امدادات إلى الهكسوس عن طريق الجنوب وبذلك فشلت محاولة تحريض الجنوب ضد الشمال.

لم يسعف الوقت الملك «كامس» لتحقيق انتصار نهائى على المحتمل الهكسوس ومات فى ظروف غامضة، ولا نعرف كيف مات هذا الملك العظيم، والمدة التى حكم مصر خلالها، مقبرته تعرضت للنهب مثل غيرها من المقابر

فى عهد رمسيس التاسع، وفى عام ١٨٥٧ م عثر علي مومياؤه فى حالة سيئة للغاية تحولت إلى تراب قبل فحصها بمعرفة المختصين، ولهذا لم نتمكن من معرفة عمره عند الوفاة، لكن من المؤكد أن مصر كانت تمر وقتها بفترة حرجة لتحرير ترابها الوطنى من المحتل الهكسوسي، وخلفه بعد وفاته أخوه الملك «أحمس الأول».

الملك أحمس الأول : (١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م.)

توفى «كامس» بعد حكم قصير، فتولى بعده الملك «أحمس الأول» وهو فى الغالب أخيه، وقد اعتبره المؤرخ المصرى القديم «مانيتون» أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكان حكمه فى أول الأمر مقصورا علي الوجه القبلى بإقليم طيبة، ويبدو أنه مارس نفس السياسة التى سار عليها اجداده من الأسرة السابعة عشرة نحو تحصين طيبة واستمالة الإقاليم القريبة منها، وتأمين الحدود الجنوبية، وأحكام السيطرة على طرق الواحات، ثم بدأ فى استكمال الجهاد لطرد الهكسوس من أرض الكنانة، ثم استكمل مسيرة الجهاد والتحرير بمهاجمة عاصمة الهكسوس «آواريس» فى الشمال الشرقى، وبعد حصار دام حوالى الثلاث سنوات سقطت العاصمة فى ايدى المصريين مما يشير على شدة تحصينها وعزيمة أحمس وجنوده فى تحقيق النصر وطرد الهكسوس من آخر معاقلهم فى مصر.

ثم جاءت الأنباء أنهم ذهبوا إلى حصن لهم فى منطقة «شار وهين» تل فرعة الحالية»، ليستكملوا فيه عدتهم وعتادهم، ومعاودة الهجوم على مصر آملين فى احتلالها من جديد، غير أن «أحمس الأول» فطن إلى ذلك فخرج على رأس جيشه للقضاء على هذا العدو اللعين الذى تحصن فى هذا الموقع، لكن أرادة أحمس وجنوده حققت النصر بعد حصار دام ثلاث سنوات، واستمر فى تشتيتهم داخل سوريا ولم نسمع عنهم مرة أخرى فى التاريخ القديم بعد تلك الضربة القاصمة.

ومن المهم القول أن التاريخ لم يحفظ لنا الكثير من المعلومات عن المراحل التى عاصرت طرد الهكسوس، وكل ما اهتدينا اليه فى هذا الصدد تلك النقوش التى فى صدر قبر ضابط مصرى من جهة الكاب كان تابعا لملوك طيبة واشترك فى مهاجمة الهكسوس واسمه «أحمس بن إبانا»، ونصوص أخرى لضابط آخر. يدعى «أحمس بن نخبت» تحوى بعض تفاصيل الجهاد ضد الهكسوس، حيث يتحدث القائد الأول «أحمس بن إبانا» بأنه بدأ شبابه جنديا صغيرا ولكنه أظهر كفايته في المعارك التى خاضها، وظل محافظا على تلك الشجاعة حتى ترقيته إلى رتبة القائد البحرى، وذكر أنه اشترك مع الملك «أحمس» فى محاصرة عاصمة الهكسوس حيث دارت موقعة بحرية بين القوات المصرية وقوات العدو بالقرب من قناة جنوبى العاصمة آواريس تسمى «بزدكر» حيث كان النصر حليفه هو والملك «أحمس» وكوفىء «بن إبانا» بنشان الشجاعة الذهبى، ثم تكرر الهجوم فى نفس المكان للإستيلاء علي العاصمة، التى لم توضح النصوص كيفية الاستيلاء عليها وهل تم أسر حاميتها، أو سمح لهم بالانسحاب منها، وخاصة أن المؤرخ اليهودى «يوسفيوس» قد ذكر أن الملك «أحمس» سمح لهم بالإنسحاب منها بعد التسليم، وأنهم خرجوا منها وكان عددهم ٢٤٠ ألف شخص، وهو عدد فيه مبالغة، لكنه يوضح كبر عددهم فى آواريس المعقل الأخير فى مصر.

ثم يصف «أحمس بن إبانا» حصار «شاروهين» والاستيلاء عليها «(تم حصار شاروهين لمدة ٣ سنوات ثم استولى جلالته عليها ...») ولذلك كوفى بمنحه قطعة من الأرض فى الكاب (بين آسنا وادفو)، وعدد من الأسرى.

كذلك تشير نصوص القائد المصرى «أحمس بن نخبت» إلى مصاحبته للفرعون «أحمس» فى حملته إلى «جاهى» لمتابعة فلول الهكسوس الموجودة هناك، وتأكيد ظهور قوة مصر العسكرية فى تلك الانحاء، بعد ذلك وجه «أحمس الأول» جهوده نحو النوبة لتأكيد سيادة مصر علي الاجزاء الجنوبية

من حدودها، لتبدأ البلاد مع عهده عهدا جديدا من التحرر، جعل المؤرخون يبدأون به الأسرة الثامنة عشر أو ما سمى بعصر الامبراطورية أو عصر الدولة الحديثة الذى شمل الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين.

ولعل من المناسب هنا الحديث عن الدور الهام الذى لعبته السيدات فى تلك الفترة الحرجة لتحرير مصر، بداية من دور الجدة للأسرة «تتى شرى» التى كانت على قيد الحياة حتى شاهدت تتويج الملك «أحمس الأول»، وكما نالت درجة كبيرة من التكريم بعد وفاتها، هذا ولقد خلفت الملكة «ايعح حوتب» امها فى ظروف شديدة القسوة واستطاعت بما تتمتع به من شخصية قوية أن تلعب دوراً سياسيا هاما، حيث دفعت بابنها «كامس» إلى ساحة الوعى بعد استشهاد أبيه، ثم دفعت بابنها الثانى «أحمس» لينجز المهمة ويؤدى واجبه، وهناك لوحة هامة عثر عليها بالكرنك محفوظة حاليا بالمتحف المصرى تعرف باسم «لوحة الكرنك» وما قامت به والدته الملكة ايعح حوتب من جليل الاعمال.

أما ثالثة السيدات العظيمات فى الأسرة فهى الملكة «أحمس نفرتارى» وقد يعنى الاسم أن الاله القمرى يولد احلى النساء الجميلات، أو تعنى أحلاهم أو حلوتهم.

ويتفق الكثير من علماء المصريات على أن الملكة «أحمس نفرتارى » كانت أخت وزوجة الملك «أحمس الأول ١٥٧٠ – ١٥٤٦ ق.م. مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، الذى حرص على الوراثة الشرعية للسلالة الملكية، حيث تزوج منها تاكيدا لحقه فى وراثة العرش خلفا لوالديهما، واستمسك بما استمسكت به الملكيات القديمة المستقرة من مركزية، وادعاء الحق الإلهى، والقول بالوراثة المقدسة، والبنوة للالهة الكبار.

وقد عاصرت الملكة «احمس نفرتاري» الكفاح ضد الهكسوس – مثل الملكة ايعح حوتب – وكان لشخصيتها النشطة كرفيق مناسب لزوجها دورهام

فى عملية اعادة البناء الكبير فى تلك الفترة التى اعقبت النصر على الهكسوس، وتدل آثارها التى امكن العثور عليها على ارتباطها وقربها من نظام الحكم، ففى جزيرة «ساى» بالنوبة وجد اسمها واسم زوجها على تمثال صغير ، كذلك في نصر المعصرة فى المؤرخ بالعام الثانى والعشرين من حكم الملك أحمس وجدت القابها بجانب القابه بصورة تدل على مكانتها ودورها السياسى ، بالاضافة إلى آثار عدة فى عدة اماكن أخرى في مصر وبلاد النوبة.

ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٥٦٧ - ١٣٠٤ ق.م.)

١- الملك أحمس الأول (نب بحتى رع) ١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م.

٢- الملك أمنحتب الأول (جسر كارع) ١٥٤٦ - ١٥٢٦ ق.م.

٣- الملك تحوتمس الأول (عاخبر كارع) ١٥٢٦ - ١٥٠٨ ق.م.

٤- الملك تحوتمس الثانى (عاخبر ن رع) ١٥٠٨ - ١٤٩٠ ق.م.

٥- الملك حتشبسوت (ماعت كارع) ١٤٨٩ - ١٤٦٩ ق.م.

٦- الملك تحوتمس الثالث (من خبرو رع) ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م.

٧- الملك أمنحوتب الثانى (عاخبرو رع) ١٤٣٦ - ١٤١١ ق.م.

٨- الملك تحوتمس الرابع (من خبرو رع) ١٤١١ - ١٣٩٧ ق.م.

٩- الملك أمنحوتب الثالث (نب ماعت رع) ١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م.

١٠- الملك أمنحوتب الرابع (آخناتون) نفرخبرو رع) ١٣٧٠ - ١٣٥٣ ق.م.

١١- الملك سمنخ كارع (عنخ خبرو رع) ١٣٥٥ - ١٣٥٢ ق.م.

١٢- الملك توت عنخ آمون (نب خبرو رع) ١٣٥٢ - ١٣٤٣ ق.م.

١٣- الملك آى (خبر خبرو رع) ١٣٤٣ - ١٣٣٩ ق.م.

١٤- الملك حور محب (جسر خبرو رع) ١٣٣٩ - ١٣٠٤ ق.م.

النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة :

الفرعون أحمس الأول :

سبق الحديث عن الدور العظيم الذى لعبة «أحمس الأول » لطرد الهكسوس، ولذلك وضعه المؤرخ المصرى «مانيتون» علي رأس أسرة جديدة بعد تحرير البلاد، وكانت مهمة أحمس الأول فى تنظيم الحكومة المصرية وادارة البلاد الداخلية فى غاية الأهمية، فكان اختياره لنوع الحكومة المناسبة لعصره نتيجة مباشرة لخبرته السياسية والحربية وظهور تيار فكرى يمجد العسكرية، لذلك أندفع القطر المصرى فى التيار العسكرى، وأصبح سراة القوم الذين عاشوا بعد طرد الهكسوس وأمراء الامبراطورية المصرية يطمعون فى الخدمة العسكرية تحت لواء الملك بغية الحصول على المنح والالقاب التى تشرفهم وتعلى مراكزهم بين قومهم كما أشارت اليه مقابرهم، كذلك بدأت مصر فى الاهتمام بالجيش المصرى الذى أصبح جيشا نظاميا وزاد الأهتمام بفرقة الفرسان وبصناعة العجلات، وصار لفرعون مصر اصطبلات تحوى الالاف من أجود الخيول الأسيوية.

ومن الراجح أن أحمس الأول قد أبقى الموالين له من حكام الأقاليم الذين ساندوه فى حروب التحرير ، بينما نحى الضعاف منهم.

ولا يخفى أن نجاح الأسرة الطيبية فى الاستيلاء على الملك وتحرير مصر، قد رفع كثيرا من منزلة آمون إله طيبة فى البلاد حتى أصبح آمون إله المملكة المصرية الرسمى، وقد كان فى عهد الدولة الوسطى قد شبه بالمعبود الشمسى ولقب آمون رع، أى آمون الشمسى، أما بعد طرد الهكسوس فقد علت منزلته رفعة وسموا بدرجة منقطعة النظير، وزاد الاهتمام بمعابده وعمائره فى كل مكان وبطيبة بصفة خاصة.

ومع أن «أحمس الأول» حكم حوالى أربع وعشرين عاما فقد توفى غالبا

شابا، وبقيت أمه على قيد الحياة إلى السنة العاشرة من حكم ابنه وولى عهده «أمنحتب الأول»

أمنحتب الأول : (١٥٤٦ - ١٥٢٦ ق.م.)

تولى الحكم وعمره حوالى سبع سنوات بعد وفاة والده، لذلك وكما يرى وينلوك Winlock أن الأمة الملكة «أحمس نفرتارى» قامت بدور الوصاية على ابنها، لانجاز واجبات الحكم حتى يبلغ أشده، وذلك استنادا لنقش وجد فى المعصرة يصفها بانها «الأم الملكية، حاكم، وابنه لـ «رع»» كما تمتعت الأم «أحمس نفرتارى» مع أبنها الملك «أمنحتب الأول» بتبجيل خاص وعبادة لهم باعتبارهما من الآلهة العظام فى مصر عامة، وبين الطبقات الشعبية فى طيبة على وجه الخصوص، حيث قام «امنحوتب الأول» بتغيير يعد الأول من نوعه حيث فصل المقبرة التى نقرها فى الصخر عن المعبد الجنازى، وأوجد مجموعة خاصة من العمال تخصصت فى نحت القبور وعاشت فى قرية دير المدينة وارتبطت بهذا العمل واطلق عليهم خدم مكان الحقيقة (خدم الجبانة).

وفى مجال السياسة الخارجية خرج على رأس قواته إلى آسيا، والبعض يرى أنها نوع من السلام المسلح، كما جاء ذكر دولة «ميتانى» ضمن اعداء مصر فى تلك الفترة، كما سجلت النصوص قيامه بحملة على ليبيا بعد حملته على آسيا.

الملك «تحوتمس الأول» (١٥٢٦ - ١٥٠٨ ق.م.)

بعد وفاة «أمنحوتب الأول» تولى «تحوتمس الأول» الذى لم تتأكد سلسلة نسبة، حيث يرى فيه البعض أن كان أخا غير شقيق لـ «أمنحوتب الأول» والبعض يرى فيه ابن لامنحوتب عن زوجة ثانوية تدعى «سنسنب» جاء ذكرها فى مرسوم تولية العرش الذى عثر عليه فى النوبة، وأغفل فيه ذكر اسم ابيه.

وعلى أى حال فليس لدينا أى دليل على أنه ينتمى إلى فرع ملكى وحتى لو كان من أصل ملكى فإنه ينتمى إلى فرع غير شرعى، ولا يمكن بالتالى

اختياره كملك إلا إذا تزوج من أميرة تجرى فى عروقها الدماء الملكية للمحافظة على مبادئ توارث العرش، لذلك لجأ إلى الزواج من الأميرة الوريثة – وهى التى ستصبح أم الملكة حتشبسوت – لاضفاء الشرعية علي اعتلائه العرش والملكة «أحمس» رأها البعض ابنة للملك «أمنحوتب الأول»، بينما تشير الألقاب التى حصلت عليها أنها كانت إبنة للملك «أحمس الأول» وبالتالى أخت لأمنحوتب الأول «وهو ما أيده معظم المشتغلين بعلم المصريات، حيث لا توجد أدلة تؤكد أنها كانت ابنة «أمنحتب»، فى الوقت الذى عرفت الملكة «أحمس» زوج –« تحوتمس الأول » بأنها أم الملكة حتشبسوت، ووضعت فى معبد الدير البحرى كأخت ملكية وزوجة ملكة، وأم ملكية، عين «تحوتمس» حاكما على بلاد النوبة حمل لقب «حاكم البلاد الجنوبية وابن الملك على كوش»، مع العلم أنه لم يكن دائما من ابناء الملك، والمعروف أن المنطقة ما بين الجندل الثانى والرابع هى المسماة بكوش، ولكن هذا اللقب يدل على اهتمام فراعنة مصر بالجنوب وضرورة تمصيره وحمايته من غارات البدو للجهات الجبلية المجاورة على مدن وادى النيل، وقد قاد «تحوتمس» حملة علي بلاد النوبة وصل فيها إلى «تومبوس» واقام فيها قلعة ولوحا حجريا ذكر فيه انتصاراته ووصوله إلى تلك الأنحاء.

وبعد انتصاره فى بلاد النوبة، وجه جهوده نحو آسيا لتأكيد النفوذ المصرى على هذه الانحاء وايضا ربما للقضاء علي ثورة نشبت فيها بتحريض من دولة ميتانى، ومن النقوش التى تركها «أحمس بن إبانا » و «أحمس بن نخبت» عرفنا أن تحوتمس الأول «كان قائدا عسكريا فذاً، يجيد التعامل مع قواده وتشجيعهم،

« ... كنت قائدا لفيلقى وكان جلالته يراقب أعمالى الحربية حينما أسرت عجلة حربية بمن فيها واحضرتها لجلالته فكافأنى على ذلك بالذهب...»

وبعد هذا النصر شيد «تحوتمس الأول» أثرا حجريا على منحنى الفرات

الكبير، ذلك النهر الذى وصفه الجنود المصريون باسم «النهر ذو المياه المعكوسة» لأن المياه تأتي من الشمال وتصب في الجنوب عكس نهر النيل.

الملك «تحوتمس الثانى » (١٥٠٨ - ١٤٩٠ ق.م.)

من ابناء «تحوتمس الأول» من زوجة غير رئيسية تدعى «موت نفرت»، وتبعا لنظام وراثة العرش في مصر القديمة فإن أيا من أبناء الملكة «احمس» كان يمكن أن يخلف أباه على العرش، وتبعا للواقع فلم يبق منهم إلا الأميرة الوريثة «حتشبسوت»، ويبدو أن تحوتمس الأول وخاصة بعد موت أمها الملكة الرئيسية «احمس» قد اضطر – ازاء الرأى الذى يرى أن وراثة العرش تنحصر فى ذرية أحمس» إلى اعلان حتشبسوت الوريثة الوحيدة للملك وزوجها إلى ابنه تحوتمس الثانى ليدعم بها شرعيته فى اعتلاء عرش البلاد، ليجنب البلاد الاضطرابات والانقسام عندما يخلو العرش بوفاته، وفعلا تم ذلك فى سلام، حسب نص المهندس «انينى» الذى عاصر وفاة تحوتمس الأول واعتلاء تحوتمس الثانى حيث يصف ذلك بقوله :

« .... (ظهر) الصقر الذى فى العش كملك على الوجه القبلى والوجه البحرى، عاخبران رع (تحوتمس الثانى واصبح ملكا على الأرض السوداء وراح يحكم الارض الحمراء فامتلك الارض مظفراً ...»

وعلى الرغم من احتفاظ «حتشبسوت» بالالقاب التى تشير اليها كزوجة ملكية فإنها نجحت فى أن تؤكد شخصيتها فى عهد زوجها «تحوتمس الثانى» وعلى حسابه وأن تمهد لخلافتها اياه، وخاصة أنها كانت تقاربه فى السن، وربما كان كل منهما فى الحادية والعشرين، قوية الشخصية مما مكنها من تحقيق طموحها ساعدها على ذلك أن تحوتمس الثانى لم ينجب مثل والده وريث ذكر، ومن المرجح أنه انجب منها ابنة وحيدة تسمى نفرو رع»، (انظر كتابنا الجزء الثانى)، فى الوقت الذى له ابن هو تحوتمس (تحوتمس الثالث

فيما بعد) من زوجة ثانوية حملت لقب الأم الملكية هى «ايزيس»، ويبدو أنه عينه كوريث ليخلفه على عرشه، وهو ما ذكرته قصة سجلها «تحوتمس الثالث» بعد ذلك بمعبد الكرنك مدللا على أن اختياره قد تم بواسطة إله الدولة الإله آمون، الذى يبدو أن اباه قد دبرها مع كهنته، وذكرت أنه حدث خلال عيد دينى كبير فى الكرنك آن انتحى «تحوتمس» الصغير جانبا من البهو الشمالى للمعبد ليشهد منه موكب آمون، وكان حين ذاك قد انتظم فى التربية الدينية بالمعبد وعندما مر الموكب والفرعون فى مقدمته تعمد (تمثال آمون) أن يتجه بموكبه إلى البهو الشمالي ويطوف به وقد تبعه الكهنة ورجال الدولة دون أن يعلموا حقيقة هدفه، حتى بلغ موضوع «تحوتمس» الصغير وتوقف عنده، فخر الأمير ساجداً واعتبرها الكهنة حينذاك آية وفسروها برغبة آمون فى اختيار الطفل لعرش آبائه وبوحى الإله انهضوا الامير وقدموه فى الموضع المخصص للحاكم وبعدها انكشفت له افاق ربه وطار إلى سمائه وتلقى منه ألقابه.

ويتضح من النص أن اختيار «تحوتمس الثالث» قد تم تبعا لإرادة «آمون» فى وجود ابيه «تحوتمس الثانى» الذى لم يذكر اسمه فى النص، وهو ما يؤكده نص آخر للملك «تحوتمس الثالث» على الصرح السابع بالكرنك حيث يصرح الملك:

« ... بأن (والدى) آمون رع حرختى (قد منحنى) أن أكون (خلال عرش حور وعيننى) أمامه فى المعبد حكم الأرضين وعرش جب ومكانة (خبرى) إلى جانب، بجوار والدى الآله الطيب ملك الوجهين، عاخبران رع «تحوتمس الثانى» له الحياة إلى الابد...»

ويبدو من النص أن «تحوتمس الثانى ربما لتجنيب طموح زوجته حتشبسوت ولكى يأمن بقاء الأسرة فإنه لجأ إلى ذلك الاختيار الالهى لابنه لكى يمهد له الطريق إلى العرش، وهو حدث عند وفاته واعتلاء ابنه «تحوتمس الثالث» العرش، بينما مقاليد الأمور في أيدى الملكة «حتشبسوت». وهو ما

يؤكده نص «انيننى» مع تصوير واقعى للحالة السياسية بعد اعتلاء تحوتمس الثالث مباشرة للعرش حيث يصف ذلك :

«... حينما صعد (تحوتمس الثانى) إلى السماء واتحد مع الالهة حل محله ابنه (تحوتمس الثالث) كملك للأرض وحاكما على عرش من انجبه (بينما كانت) أخته (أخت تحوتمس الثانى) الزوجة الالهية حتشبسوت تتولى (أمور) الأرض طبقا لإرادتها....»

ويبدو أنه لكى يتدعم حق «تحوتمس الثالث» في العرش فقد تزوج من ابنة حتشبسوت الأسيرة «نفرو رع»، وعند وفاتها تزوج من «مريت رع حتشبسوت» الثانية ، وذلك – كما يرى تانر وهيز– ليدعم شرعيته في إعتلاء عرش مصر.

حتشبسوت (١٤٨٩ - ١٤٦٩ ق.م.)

قامت «حتشبسوت» بإدارة شؤون مصر بعد وفاة «تحوتمس الثانى»، ومن الناحية الرسمية لم تكن أكثر من أرملة ملكية تحمل الألقاب المعتادة التى سبق أن حملتها والتى تشير إليها باعتبارها أميرة ملكية، وزوجة ملكية عظمى، وزوجة إلهية، ثم سرعان ما أظهرت «حتشبسوت» نواياها الحقيقية يعاونها مجموعة من الموظفين المخلصين قلدتهم أعلى مناصب الدولة، واعلنت نفسها ملكا على مصر، وقد اختلفت آراء العلماء بشأن السنة التى تولت فيها حتشبسوت الحكم كملك علي مصر (انظر كتابنا الجزء الثانى)، وخلعت على نفسها الألقاب الخمسة كاملة مثل أى ملك.

اللقب الحورى

اللقب النبتى

اللقب النسوبيتى

لقب حور نب (حور الذهبى)

لقب سارع

وهذه الألقاب لم تحصل عليها سيدة من قبلها، بالاضافة إلى النعوت الأخرى المعتادة مثل : هازمة كل البلاد، غنيمة آمون (صنيعة آمون)، نعت واحد احجمت «حتشبسوت» من وصف نفسها به وهو «الثور القوى» باعتبارها امرأة حتى لو كانت ملكا، على الرغم أنها منذ ذلك الحين ظهرت وهى ترتدى ملابس الرجال واللحية المستعارة لتساير التقاليد التى كانت تأبى أن تجد على العرش حاكما فى زى النساء.

وهناك ما يشير إلى أنه رغم اعلان «حتشبسوت» ملكا، فإن تحوتمس الثالث ظل له الحكم الاسمى ولم تقم «حتشبسوت» بإقصائه عن العرش، وهناك ما يشير إلى أنها كانت تضع ألقاب واسماء «تحوتمس الثالث» إلى

جانب القابها واسمائها، كما في الدير البحري وبني حسن وجبل السلسلة وفي قطعة وجدت على الهرم المنحنى يؤرخ بالعام العشرين، ولعلها بذلك أرادت أن تنال رضا كهان «آمون» الذين كانوا فيما يبدو إلى جانب «تحوتمس الثالث» .

ويمكن القول أن قرار «حتشبسوت» في امتلاكها مقاليد الأمور والامساك بزمامها قد آثار العديد من الآراء، فالبعض يرى أنها خالفت التقاليد التي تجعل اختيار الفرعون من بين الرجال، وانها اغتصبت السلطة وعطلت كثيرا حكم «تحوتمس الثالث» وبالتالي إنجازاته.

والبعض يرى أن «حتشبسوت» كان لديها من المبررات القوية ما يؤيد سلوكها هذا الاتجاه، فهي صاحبة الحق في الوراثة الملكية بالإضافة إلى أن «تحوتمس الثالث» الذي كان لا يزال طفلا عند وفاة والده لم يكن من دم ملكي خالص، لذا حاولت أن تقلل من التتابع غير الشرعي والذي تمثل في تعاقب الملوك التحامسة الثلاثة، وأن تحل محله على أساس ديني، مستغلة من نظرية الوارثة القديمة من الشمس لتوضيح أنه في غياب الوريث الرجل تصبح البنت الوريثة هي التي يجب أن تتولى الحكم، فزعمت لنفسها مولداً إلهيا من الإله «آمون» نفسه وسجلته على معبد الدير البحري، حيث صور فنانوها مجلسا ينعقد من أرباب الوادي برياسة «آمون» للتشاور فيمن يخلفوه ليجلس علي عرش الكنانة، وإذا برب الحكمة «تحوت» يتقدم إلى آمون ليذكره «باحمس» الجميلة زوج «تحوتمس الأول» يعتلي العرش، وأنه قضى أن يكون المولود أنثى، وتحققت المعجزة بأن مضى آمون إلى قصر الملكة في غيبة زوجها، بعد أن تقمص صورته وتزيابزيه، ثم دلف إلى مخدع الملكة ، ولم تكد ترنو اليه بناظريها حتى رأت فيه زوجها، فجلس منها مجلس الرجل من المرأة، ولما قضى منها وطره، اخبرها عما يكون، ففرحت بذلك واستبشرت بما أودع في رحمها، وقبل أن يهم آمون بمغادرة مخدعها أنبأها بأنها ستضع أنثى وسوف يكون اسمها «حتشبسوت خنمت آمون» بمعنى «زروة النبيلات صفية آمون».

وإذا ما حاول القارئ أن يعقد مقارنة بين حتشبسوت وتحوتمس الثالث، فإن «حتشبسوت» يمكن أن تقول عنها أنها أنثى ناضجة يعاونها مجموعة من كبار الموظفين، كما أنها الوريثة الشرعية للعرش ذات الدماء الملكية، بالاضافة إلى أنها نسجت قصة الولادة الإلهية، بينما تحوتمس الثالث وتبعا للعادة، فإن الرجل عادة ما يتولى الحكم إلا أنه كان لا يزال طفل صغير، دماء نصف ملكية من جهة ابيه، نجح في تدعيم مركزه بواسطة كهنة أمون، قيامه ايضا بعمل قصة اختياره بواسطة وحي الآله امون، ويمكن القول أن الكفتان راجحتان، وفي البداية كان هناك اسم الملك، ثم اسم الملك واسمها، ثم انفرادها بالسلطة، وايضا انفراده بالعرش بعدها.

استطاعت «حتشبسوت» بمالها من شخصية قوية، أن تستمر كحاكمة وملك طيلة عشرون عاما وتسعة شهور، حيث تميز نشاطها الداخلى بالانشاءات الهامة والتى كان أعظمها معبدها الجنازى الذى اشتهر بأسم معبد الدير البحرى والذى كرس لآمون وكذا حتحور وأنوبيس، فضلا عن الطقوس الجنزية للملكة «حتشبسوت» وابيها تحوتمس الأول.

وقد بدأت بناؤه فى العام التاسع من الحكم شمال معبد «منتوحوتب الأول» وهو من أجمل المعابد فضلا عن قيمته الفنية والتاريخية، وقد شيد على ثلاث مسطحات كبيرة يعلو أحدها الآخر ويليه، واستبعد منه الهرم فجاء أمثل طراز، على هيئة شرفات من الحجر الجيرى الأبيض الناصع فى وسطها طريق صاعد يؤدى إلى قدس الأقداس، وأمام شرفتين منها بهو أعمدة مغطاة، وكان يحيط بالشرفات نفسها أفنية محاطة بالأعمدة، ويمثل الجبل خلف المعبد حاجزا طبيعيا ضخما، وإلى الشمال من الفناء الاوسط ترى بهو أعمدة شيد كذلك من الحجر الجيرى، والنقوش المنحوته خلف الأعمدة المستديرة أو المربعة ذات أهمية فريدة، ففى الرواق السفلى منظر رائع للسفن التى تحمل مسلتين كبيرتين من الجرانيت الاحمر من أسوان إلي الكرنك،

ويظن أنهما المسلتان اللتان كلفت الملكة المهندس «سننموت» أن يقيمها خارج الجدار الشرقى واللتان لم تبق منهما إلا اجزاء، وليس لنا أن نخلط بينهما وبين المسلتين اللتين وضعتهما بين الصرحين الرابع والخامس بمعبد الكرنك فى السنة السادسة عشرة من حكمها.

أما الرواق التالى إلى أعلى ففيه منظر بعثتها الشهيرة إلى بلاد «بونت» فى السنة التاسعة، تلك الرحلة التى نفذتها «حتشبسوت» طبقا لوحى آلهى، وتمت فى خمس سفن كبيرة بقيادة أحد موظفيها المدعو «نحسى» والتى تعطى نتائجها دلالة هامة من الناحية الاقتصادية والثقافية والسياسية.

أما عن المسلتين العظيمتين التى اقامتها فى الكرنك فلقد حوى حديثها على هذين المسلتين حقائق هامة منها أنها اصبحت صاحبة الامر والنهى فى البلاد، ويبدو أن النقوش الموجودة عليهما قد تمت بعد أن اعلنت نفسها فرعون، واوضحت فى نقوشها أنها قد اقامتها من اجل ابيها آمون، وابيها «تحوتمس الأول».

« .... الحورس وسرت كاو، محبوبة الأرضين، حورس الذهبى، المقدس [–]، ملك مصر العليا والسفلى، التى عملت (المسلتين) مثل آثارها لأجل ابيها آمون سيد طيبة، انشأت من أجله مسلتين عظيميتن (بالصرح الخامس بالكرنك)....»

كذلك يذكر لحتشبسوت ميلها إلى اتباع سياسة سلمية ترمى إلى التوغل التجارى والثقافى لمنفعة مصر وجيرانها.

وكذا بتحقيق اصلاحات داخلية بدلا من الانتصارات العسكرية الخارجية، وذلك عكس سياسة «تحوتمس الثالث» الذى كان يرى اتباع سياسة حربية خارجية من أجل انشاء امبراطورية مصرية عن طريق التوسع وراء حدود مصر الجغرافية، وضمان السيطرة على التجارة الخارجية عن طريق الجيش والاسطول المصرى وبذلك يظل لمصر نفوذها الدائم.

وقد خلفت «حتشبسوت» الكثير من الآثار. فلقد أقامت معبدا في الصخر في بني حسن للالهة «باخت» التي تمثل احد مظاهر الالهة باست وكانت تمثل برأس القطة، وقد شبهها اليونان بسبب غير معروف - بالهتهم «ارتميدس» ومن ثم فقد سمي المعبد بكهف «ارتميدس» والمعروف الآن بأسطبل عنتر، هذا فضلا عن قيامها ببناء معابد لها في النوبة في فارس، وفي قصر ابريم، بينما ينتمي المعبد الجنوبي في بوهن في شكله الاساسي إلى حتشبسوت وزوجها «تحوتمس الثاني»، كما أن لها عدة آثار في كوم أمبو، ووادى مغارة بسيناء، والقوصية ومدينة هابو، وابيدوس والكاب، وغيرها.

وقد حفرت «حتشبسوت» لنفسها مقبرة في وادى الملوك على اعتبار أنها ملك، وقد كشف عنها «هو ارد كارتر» عام ١٩٠٣، وكان للملكة مقبرة أخرى في اقصى الغرب في واد بعيد منعزل وضع فيها تابوت، غير أن المقبرة لم تستخدم أبدا، حيث دفنت في المقبرة الأولى، ولسنا ندرى على وجه اليقين كيفية موتها، وإن كان البعض يرى أنها كانت وفاة طبيعية، ويرى كثير من العلماء أن التشويه والمحو الذى اصاب اثارها. كان بسبب تجاهلها لفترة حكم تحوتمس الثاني، وتحوتمس الثالث، وربما كان هذا السبب الذى اضطرت القوائم الملكية إلى تجاهلها.

تحوتمس الثالث ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م.

تجاهل فترة حكم حتشبسوت، وعكس كل التوقعات اثبت «تحوتمس الثالث» على أثر وفاة «حتشبسوت» وانفراده بالعرش المصرى، أنه رجل دولة من الطراز الأول، سواء من الناحية الأدارية وتسيير أمور الدولة الداخلية، أو من الناحية الخارجية والقدرة العسكرية.

حيث واجه فى بداية عهده تحدى خطير استهدف تقويض النفوذ المصرى، حيث ثارت الدويلات الآسيوية، بتحريض من دولة ميتانى، التى ذكرتها النصوص بلادهم باسم «تاومتن»، واسم «خاسوت متن» وهم ينحدرون من عنصر هندو أوربى اشتهروا باسم «الميتانيين» ويكونون طبقة من النبلاء المحاربين، واتحدوا مع الحوريين من بنى عمومتهم والذين وفدوا على المنطقة قبلهم واتسعت دولتهم فيما جاورها من أرض العراق والشام، وضغطت ميتانى لفترة ما على نشاط جيرانها الاشوريين والخاتيين، وحاولت أن يكون لها ضلع فى زعامة عصر الدولة الحديثة، حين امتد نفوذها فيما بين الشلال الرابع جنوبا وبين ضفاف نهر الفرات شمالا، حيث بدأ الميتانيين تنفيذ أطماعهم بطريق غير مباشر فألبوا بعض أمراء سوريا وفلسطين على مصر منذ أواخر عهد الملكة «حتشبسوت» وخلال بداية حكم «تحوتمس الثالث»، وبلغ عدد الأمراء الثائرين على النفوذ المصرى حوالى ٣٣٠ أمير بزعامة أمير قادش المتحالف مع ميتانى، وهناك من العلماء من يرى أنه كان من أصل ميتانى، وتحصن الأمراء الثائرين فى حصن مجدو (تل المتسلم الحالية)، ولما وصلت هذه الأنباء إلى تحوتمس جمع جيشه وسار على رأسه، متجها نحو بلاد الشام مبتدئا من مدينة «ثارو» قرب مدينة القنطرة، ومنها إلى مدينة غزة فى فلسطين وهى على بعد مائة وستين ميلا من ثارو، أى بعد مسيرة تسعة أيام، وهو زمن قياسى فى تلك الفترة، وبعد احتفال قصير بعيد تتويجه، عول على الزحف شمالا فى صباح اليوم التالى للاحتفال، متوغلا داخل فلسطين

متجها إلى «يحم»، وتبعد هذه المدينة عن غزة بنحو ثمانين ميلا أو تسعين، وهى على المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال الكرمل، والمعروف أن جبل الكرمل أول حاجز منيع ضد القوات المصرية الزاحفة على أسيا، أيضا فإن تمركز القوات الثائرة فى حصن مدينة مجدو يزيد الأمر صعوبة على القوات المصرية، وهناك فى مدينة «يحم» عقد تحوتمس الثالث مجلسا عسكريا من كبار ضباطه وتداولوا فى الأمر، فى أحسن الطرق الممكن اتباعها لعبور جبال الكرمل والوصول إلى «مجدو»، وكان أمامهم ثلاثة طرق، أولها يبتدئ من يوحم ويتجه إلى مدينة عارونا (ممر عارونا) مخترقا الجبل وواصلا إلى أبواب مجدو، والثانى على بعد خمسة أميال من الجنوب الشرقى لمجدو، والثالث ينتهى من الشمال الغربى لمجدو، فاختار تحوتمس الطريق الأول لقصره بالرغم من صعوبته، وتعهد تحوتمس أن يكون فى مقدمة جنوده، ولكنه نزل على نصيحة قواده بانتظار مؤخرة الجيش حتى تلتحم مع المقدمة، وفى فجر ١٥ مايو أمر تحوتمس الثالث جيشه بالزحف والهجوم على العدو – وهناك تضارب بين العلماء فى ميعاد الهجوم وتوقيته – وتشير النقوش على جدران «صالة الحوليات» فى معبد الكرنك أنه قد بدأ هجومه على الجيش الآسيوى فى اليوم الحادى والعشرين من شمو الموافق عيد القمر فى العام ٢٣ من حكم تحوتمس الثالث الذى قام بهجوم خاطف على العدو محققا المفاجأة المطلوبة، مقسما جيشه إلى قلب وميمنه وميسرة، ونجحت تلك الخطة واضطرت العدو إلى الفرار والعودة إلى أسوار المدينة المغلقة، ولولا انشغال الجيش المصرى بجمع الغنائم التى تركها الامراء والعدو فى ميدان المعركة لكانت النهاية مؤكدة، لكن هذا التباطأ قد ساهم فى هروب هؤلاء الامراء وتحصنهم داخل أسوار المدينة التى قام تحوتمس الثالث بحصارها لمدة سبع شهور، وفى النهاية طلبوا من تحوتمس الثالث العفو والصلح، فوافق بعد أن قدموا له الهدايا والخيول، والموافقة أن يرسلوا ابناءهم ليتعلموا فى مصر ويشبوا على حب الحضارة والتقاليد المصرية ويدعم النفوذ المصرى فى تلك الأنحاء.

يبدو أن الغنائم التى استولى عليها المصريون فى حومة الوغى كثيرة فقد كانت صغيرة جداً بالنسبة لما وقع فى يد فرعون اثر سقوط مجدو وتسليمها لجيشه، حيث استولوا على عدد كبير من العجلات الحربية والخيول والأغنام. وكميات كبيرة من الذهب والفضة لا يمكن تقديرها بالضبط لأن الكاتب المصرى أضافها إلى كميات الذهب والفضة التى استولى عليها المصريون فى المدن الأخرى الأسيوية.

ثم زحف تحوتمس الثالث إلى لبنان واستولى على ثلاث مدن فيها وشيد قلعة عظيمة ووطد النظام الادارى فى شمال فلسطين بتعيين الموالين للنفوذ المصرى فيها، ثم عاد سالما ظافرا إلى طيبة مهديا إلى آمون هذا الانتصار العظيم.

تتابعت حملات الفرعون المحارب العظيم «تحوتمس الثالث» إلى بلاد رتنو لتأكيد النفوذ المصرى فى تلك الأنحاء واستعراض القوة العسكرية المصرية، والقضاء على كل من تسول له نفسه الخروج على الطاعة، وكمثال الحملة السابعة فى العام الحادى والثلاثين من حكمة حينما قضى على ثورة ملك «تونب»، وفى الحملة الثامنة التى توافق العام الثالث والثلاثين عن حكمه استولى على مدينة «قرقميش» وهزم الملك الميتانى، الذى فر من ميدان المعركة ناجيا بنفسه، وسجل «تحوتمس» انتصاره فى هذه الحملة على نصب تذكارى أقامة على شاطئ الفرات.

واستمرت حملاته حتى بلغت ست عشرة حملة حتى العام الثانى والاربعين من حكمه.

ووصلت أخبار حملاته كل مكان، فدان له الأمراء والحكام فى كل مكان، وتسجل النصوص قيام آشور بأرسال الهدايا الجزيلة من الأحجار الكريمة والخيل فاعتبرها المصريون وقتئذ جزية اشارة إلى ولاء آشور لمصر.

وقبل أن يتم تحوتمس الثالث السنة الرابعة والخمسين جالسا على عرش مصر توفى فأسدل الستار أمامه على هذه الدنيا التى قام فيها بأعمال باهرة، وتولى بعده ابنه «أمنحوتب الثانى» ١٤٣٦ – ١٤١١ ق.م.، وشهد بداية تولية الحكم ثورة شاملة لبلاد النهرين ومتيانى وفينيقية، لكن امنحوتب الثانى واجه ذلك الخطر بيسالة ونخوة ورثهما عن والده، فقاد جيوشه بنفسه، وانتهت المعركة بهزيمة أعدائه هزيمة تامة، ويقال أن نشاط هذا الفرعون ويقظته أثر كبيرا فى أعدائه فقد جاء فى الآثار أن جلالته لما أسرع إلى أخضاع أعدائه الثائرين هابه سكان المناطق الأخرى فلم يتجاسر أحدهم على شق عصا الطاعة عليه.

وعلى عكس توازن نصوص ابيه وتواضعه مع أعدائه مالت النصوص إلى المبالغة ومن ذلك توجيه همته إلى اظهار حدود مملكته وتوسيعها جنوبا ولذلك لما وصل إلى طيبة أرسل إلى النوبة بعثة عسكرية معها أحد الأمراء السوريين كان قد أسره فصلب على نبته (نباتا) عظة لمن يتجاسر من النوبيين على معارضة مصر.

ولما توفى «امنحوتب الثانى» » ولى بعده «تحوتمس الرابع» عرش مصر.

وردت بخصوص هذا الملك قصة تداولتها الألسن بعد وفاته بعدة قرون تتلخص فى أنه لم يكن منتظرا أنه يرث الملك عن والده فخرج يوما ما قبل وفاة والده بمدة للصيد بجوار أهرام الجيزة واستراح فى ظل أبى الهول، فرأى هذا المعبود فى المنام طالب منه نقل الرمال المحيطة به من قديم الزمان ووعده إن فعل ذلك أن يساعده على ولاية الملك، فلما انتبه تحوتمس الرابع من نومه أقسم أنه سيفعل ما طلبه المعبود وقد نفذه فعلا بعد توليه، وذكر هذه القصة علي حجر جرانيتى مقام أمام تمثال «أبو الهول» فى لوح يسمى لوحة الحلم ...

وقد تشير هذه القصة إى شكوك فى وراثة العرش بالنسبة لهذا الفرعون، الذى لجأ فى سياسته الخارجية كما يرى أستاذى الدكتور عبد العزيز صالح إلى وسيلتين، فاتبع سياسة القوة فى بداية عهده، حيث وجد نص من عهده يصفه بأنه قاد جنوده وحقق انتصار كبير على نهارينا التعسة. .

وبعد أن ثبت أركان حكمه واستقر السلام فى دولته، اتجه إلى تحقيق الشق الثانى من سياسته الخارجية وذلك لضمان السلم فى الشرق القريب بسبب ادراك كل من مصر وميتانى بأهمية استقرار الاحوال السياسية بينهما وأثره على تجارتهما البرية فى أسواق الشرق الأدنى، علاوة على شعور كل من الدولتين وخاصة ميتانى ببوادر الخطر من أطماع دولة خاتى (دولة الحيثيين) فى آسيا الصغرى التى امتدت أطماعها إلى الفرات الاعلى وإلى شمال سوريا، ورأت كل من مصر وميتانى أن توثيق روابط الصداقة والتقارب بينهما يمكن أن يحد من أطماع تلك الثالثة، وأن أفضل تدعيم لتلك الصداقة هو رباط المصاهرة.

كذلك استجابت مصر لمساعى الأسرة الكاسية التى كانت تحكم بابل من حوالى عام ١٥٩٥ ق.م. والتى أرسل ملكها «كاريندا ش» لاقامة علاقات

دبلوماسية مباشرة مع مصر وليدعم تلك العلاقة فإنه أرسل ابنته لتتزوج من الفرعون المصرى، الذى يظن أنه ربما كان «تحوتمس الرابع».

كذلك يعتقد أن عهد «تحوتمس الرابع» قد شهد زواجه من الأميرة الميتانية ابنة «ارتاتاما»، كما يلاحظ انتهاء الحملات العسكرية لتحوتمس الرابع ضد ميتانى فى آسيا نتيجة مباشرة لهذا النوع من الزواج السياسى.

ويرى كثير من علماء المصريات أن الاميرة الميتانية ابنة «ارتاتاما» التى جاءت إلى مصر فى حاشية من النساء الميتانيات قد اطلق عليها الاسم المصرى «موت أم ويا» واصبحت أحدى الزوجات الرئيسيات لـ «تحوتمس الرابع» وأم خليفته الملك «أمنحوتب الثالث».

وفى ضوء الآثار والوثائق المتاحة لدينا حتى الآن لا يمكن التأكد من أصل الملكة «موت أم ويا»، وافتراض كونها من أصل آسيوى وأنها اعتمادا على أن تقاطيع وجه ابنها اثيوبية، أو حتى كونها مصرية باعتبارها ابنة لأمنحوتب الثانى أو أحدى أخواته، وفى هذه الحالة ستكون أخت شقيقة أو غير شقيقة لزوجها «تحوتمس الرابع» ولكن يقف عقبة أمام هذه الافتراضات كلها عدم وجود أدلة تدعمها، كما يقف عقبة أمام كونها مصرية عدم حملها للقب «ابنة ملكية» أو «أخت ملكية» ضمن القابها، وفى نفس الوقت فإننا لا نعرف اسم الاميرة الميتانية ابنة «ارتاتاما» وهل هى نفسها الملكة «موت أم ويا» احدى زوجات تحوتمس الرابع، وأم خليفتة على العرش الملك «أمنحوتب الثالث»، كما أن النقش الموجود بقاعة الولادة بمعبد الأقصر حيث الملكة «موت أم ويا» مع «آمون» لانجاب «امنحوتب الثالث»، تلك القصة للولادة الالهية، والتى قد تعنى أن أم «امنحوتب الثالث» لم تكن من دم ملكى خالص، الأمر الذى جعله يلجأ لتلك القصة ليدعم حقه فى الجلوس على العرش، ويتبعد عن التقاليد التى تجعل وراثة العرش مقصورة على من تكون أمه وأبيه من نسل ملكى، وفي انتظار مزيد من الآدلة حتى نتمكن من تكوين رأى علمى فى هذه المسألة.

النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة :

أمنحوتب الثالث ١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م.

بفضل جهود اسلافه من الملوك المحاربين وآخرهم الفرعون «تحوتمس الرابع» الذين نجحوا في بناء وتدعيم الامبراطورية المصرية سواء حربا أم سلما حتى غدت مصر في عهده «مركز العالم المعروف» ولقد بدأ «امنحوتب الثالث» عهده وخلال العشرة أعوام الأولى من حكم باظهار قوته الرياضية في العديد من العاب الصيد ولم تكن هناك حاجة إلى الاسهام بقيادة حملات عسكرية سوى قيامه بحملة إلى النوبة في العام الخامس من حكمه لاخماد ثورة قامت في بعض اقاليم النوبة خلف الشلال الثاني، وهناك من العلماء من يعتقد أن «أمنحوتب الثالث» لم يخرج أبدا علي رأس أي حملة من حملات الحرب، يدعم هذا لوحة موجودة الآن في المتحف البريطاني للقائد «مرموسى» (نائب الملك في النوبة) وبداية اللوحة مهشم ولكنها تشير إلى حملة قام بها هذا القائد بتكليف من الفرعون للقضاء على ثورة ربما تكون هي نفس حملة السنة الخامسة، وان عدد الأسرى بلغ ١٠٥٢ أسير، أما ذكره عن ظفرة ببعض البلاد الاسيوية فلا يعدو أن يكون تصوير لخضوعها له، واظهار لسلطانه عليها، فالمعروف أن قدمه لم تطأ أرض آسيا طوال حياته، حيث ساد السلام عصره، وتسابق الجميع لخطب وده وانهالت الجزية من كل مكان، ولم يكن في حاجة إلى الجهود الحربية، واستخدمت مصر بدلا منها ما يمكن أن نطلق عليه بالدبلوماسية الدولية التي جاءت من مركز القوة مستخدمة في ذلك وسائل منها : الزواج السياسي ، والهدايا الدبلوماسية، وأحيانا الاثنين معا.

وفي العالم القديم كان الحكام الذين تمتعت بلادهم بالحرية والاستقلال والثروة يطلق على ملوكهم ملوك عظماء، ويليهم الملوك الأقل، وفي حالة أن يكون الملوك بدرجة أقل، فإنهم ملزمين بأن يؤدوا (الجزية) ويقدموا مؤنة، وحقوق تجارية لقوات الملك الأعلى التابعين له، وكان عدد الملوك العظماء قليل

جدا، وفى مقدمة هؤلاء الملوك العظماء يجئ «أمنحوتب الثالث» ثم ملك ميتانى ثم ملك بابل، ثم بدرجة أقل كل من خيتا وآشور، ثم ملوك قبرص وكريت الذين لم يكن لهم تأثير في عالم السياسة.

وبالنسبة لدولة ميتانى (انظر حديثنا عنها خلال فترة حكم تحوتمس الثالث)، وعندما تولى «امنحوتب الثالث» العرش كانت الامور فى غرب آسيا قد استتبت ولم يعد هناك من تحدثه نفسه الخروج على الحكم المصرى أو القيام بتلك الثورات التقليدية عند مجئ ملك جديد فى مصر، وكان الملك الميتاني «شوترانا الثاني» قد جاء إلى عرش الميتان بعد تولى «امنحوتب الثالث» بعام تقريبا وربما قبل ذلك بقليل، وفى تلك الفترة كان النفوذ المصرى فى سورية يبلغ قمته، ففى جعران زواج الفرعون من الملكة «تى» فى بداية حكمه أعلن الفرعون أن حدوده تصل حتى نهرينا (قد يعنى الاسم ما يمتد بين نهر الفرات وبين فرعه نهر الخابور)، كما أن رسائل العمارنة تعطى الدليل علي النفوذ المصرى حيث البلاد الواقعة على الساحل السورى حتى أوجاريت فى الشمال (ميناء رأس الشمرا) تحت السيطرة المصرية، كذلك منطقة دمشق وعمقا، وقادش، وتونيب كلها تابعة لمصر، والعلاقات بين مصر وميتانى علاقة صداقة مدعمة بالزواج السياسى.

القوة الثانية كانت بابل وكانت تسيطر عليها عناصر من أصل كاسى أسست الأسرة الثالثة التى بلغ عدد ملوكها ستة وثلاثون ملكاً، وبداءت تحكم من (١٥٩٥ – وحتى ١١٦٨ ق.م.) وهى عناصر هندو – أوربية أيضا عرفت فى مرتفعات بلاد النهرين باسم الكاسيين أو «الكاشيين» واعتبروا أنفسهم طبقة ارستقراطية حاكمة بين السكان الاصليين وانتفعوا بحضارة بلاد النهرين، وسارت العلاقات الخارجية السلمية للدولة الكاسية فى نطاقها العادى المحدود. وسارت قوافلها التجارية فى مساراتها التقليدية فى بلاد سوريا وفلسطين ومصر، واكتسبت العلاقات المصرية البابلية بطابع الصداقة

الشخصية خلال ق. الرابع عشر ق. م. ، والملك كارانيدش Karaindash ربما كان أول ملك يدخل في علاقات دبلوماسية مع مصر، وليدعم حلفه معها أرسل أبنته إلى الفرعون المصري للزواج ربما «تحوتمس الرابع» وفي عهد الملك الكاسي «السادس عشر بين الملوك الكاسيين» كوريجلزو "Kurigalzu" طالب بعض الكنعانيين الخاضعيين للحكم المصري عوناً من الملك البابلي ضد الحكم المصري ولكنه رفض قائلا :

« ..... إذا كنتم تريدون تكوين حلف ضد أخي ملك مصر وتريدون أن تتحالفوا مع الآخرين فلن انضم إليكم ولن أنهب معكم، لأنه في حلف معي

والقوة التالية هي آشور :

وقد شغلت آشور في عصورها الأولى المنطقة فيما بين نهرى الزاب الأكبر والزاب الأصغر وأطلت على نهر دجلة بضفتيه وينتسب الأشوريين إلى العناصر السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية منذ أواسط الألف الثالث ق.م. وقد تأرجحت سياستهم مع أسرة بابل الأولى بين السلم والمهادنة، وبعد سقوط أسرة بابل الأولى ظل دورها ثانوياً وفي أحداث عصرها وفي عهد تحوتمس الثالث ونتيجة لانتصاراته العظيمة تقربوا من مصر عن طريق الهدايا.

كما سبق القول، وكذلك أرتبطوا بالملك الكاسي في بابل بحلف، وكانت علاقتهم بمصر أيضاً علاقة صداقة خلال حكم أمنحتب الثالث وبالنسبة للحيثيين فمن المرجح أنهم وفدوا إلى هضبة الأناضول في بداية الألف الثاني ق.م. من مواطنهم في أواسط آسيا إلى الشرق من البحر الأسود، وأنهم فرع من فروع الشعوب الهندوأوربية.

وأحتل الحيثيون عند مقدمهم جزء كبيراً من وسط هضبة الأناضول عند منحنى نهر اخاليس وكانت عاصمتهم تسمى «خاتوساس» وموقعها الحالي

المدينة الأثرية المعروفة باسم «بوغازكوى»، ولم يكن للحيثين (خيتا) دور يذكر خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشرة، وخلال عهد أمنحتب الثالث ولم يمثلوا تهديداً لمصر وإنما مثلوا تهديداً حقيقياً لدولة ميتانى وعندما تولى عرش خيتا ملكهم الطموح «شوبيلوليوما» الذى وصلت بلاده إلى أوج قوتها بفضل سياسته وقوته العسكرية، فهاجم بجيوشه أرض الميتان ولكن ملكهم «توشراتا» استعان بصهره الفرعون المصرى أمنحتب الثالث. فاعانه بجيوش ردت الخاتين على أدبارهم .

تلك كانت الظروف الدولية التى وجد فيها «أمنحتب الثالث» نفسه وهى فى مجملها علاقات يسودها الود بالدويلات السورية والفلسطينية وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وقد سار أمنحتب الثالث على سياسة أبيه «تحوتمس الرابع» فى توثيق عرى المودة بينه وبين ملوك وأمراء هذه البلاد عن طريق المصاهرات، ففى السنة العاشرة من حكمه تزوج من جيلوخيبا Giluhepa ابنة الملك الميتانى «شوتران الثانى» "Sutarna II"

«.... العام العاشر من حكم جلالته [.........] ملك مصر العليا والسفلى، نب مارع، المختار من رع، ابن رع أمنحتب، له الحياة، والزوجة الملكية العظيمة تى لها الحياة، العجائب التى أحضرت لجلالته كانت ابنته شوتران ملك نهارين جيلوخيبا، وحاشيتها من الحريم البالغ عددهن ٣١٧ أمراة ....

هذا الحدث الذى سجله «أمنحتب الثالث » لمجئ عروسه الميتانية فى أربع مجموعات من الجعلان، يشير إلى مدى قوة الفرعون كما أن كلمة «التى أحضرت » قد نظر إليها البعض بأنها فى كتابة حوليات الأسرة الثامنة عشرة قد تعنى نوع من الجزية، وبالنسبة لهذه الأميرة الميتاينة قد اختفت داخل البيت الملكى المصرى، ولم تحمل القاب ملكية، كما أنها لم تكن الوحيدة فى حريم الملك المصرى وإنما وجد غيرها أميرات كثيرات داخل البلاط المصرى.

كذلك بالنسبة لبابل فلقد تزوج «امنحتب الثالث» على الأقل أميرتين

احدهما ابنة الملك البابلى «كاردونياش» والثانية بنت أخيها كادشمان خاربى أو (كادشمان انليل) الذى وافق على زواجها إلى الفرعون المصرى ولكنه اشترط وصول الذهب أولا حتى يستطيع أن يستكمل بناء أحد قصوره.

ويبدو أن العلاقات بين مصر وبابل كانت بمثابة علاقات الانوى والأقل قوة لأن الملك البابلى قد أظهر استياءه أكثر من مرة فى رسائله التى تضمنت أحياناً شكواه ومنها أن الفرعون «امنحتب الثالث» لم يرسل للاستفسار عن صحته عندما كان مريضاً ومرة أخرى تأخر رد الفرعون المصرى لمدة ست سنوات.

ولابد من الإشارة إلى أن هذا الزواج السياسى كان من جانب واحد فبالرغم من ترحيب «امنحتب الثالث» بالزواج من الأميرات الأجنبيات الا انه يرفض طلب أى من هؤلاء للاقتران بأميرات مصريات وربما كان هذا مبعثه تقليد وراثة العرش فى مصر إنما كان عن طريق المرأة وكذا فإن دماء الفراعنة ليست مثل غيرها وإنما هى دماء عزيزة مقدسة، وإن بناته اللاتى يجرى فى عروقهن ذلك الدم المقدس أرفع من أن تحتويهن مضاجع هؤلاء الملوك غير المصريين، وفى النصوص المصرية فإن هؤلاء الملوك كان يشار إليهم بتعبير Wr «ور» (بمعنى عظيم) باعتباره أمير أو رئيس ليس أكثر من ذلك.

هذا فضلا عن أن المصريين إنما كانوا يعتقدون إنهم وحدهم المتمدينون وإنهم الشعب الوحيد حقا، الذى يستطيع أن يحمل عن جداره اسم «الناس» بمعنى «متحضر» وأما الأجانب فلا، كان القوم يسمون أنفسهم الناس أو الرجال تمييزا لهم عن جيرانهم من الليبيين والافريقيين والاسيويين.

ونجد مثال واضح ارفض الفرعون أن يزوج احدى الأميرات المصريات لمثل هؤلاء الملوك، وذلك أن ملك بابل «كادشمان انليل» سولت له نفسه أن يطلب الزواج بأميرة مصرية، فكان الجواب من الفرعون المصرى بالرفض

بحجة أنه «لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى واحد وحين يعيد الملك البابلى سؤاله لم يكن نصيبه هذه المدة بأفضل من الأولى، ومن ثم نراه يطلب أن يزوجه الفرعون أية امرأة مصرية، ومن هذا يتضح أن الملك البابلى إنما كان يرضى بأية امرأة مصرية ما دام فرعون لم يشأ أن يزوجه من البيت المالك، ولكن «امنحتب الثالث» رفض هذا الطلب حتى لا يختلط الأمر على أحد وتحسب على أنها ابنه ملك، ولعل سبب رفضه بسبب أن موافقته قد تدل ضمناً على فقدان وجه وهيبة مصر ولكنها أيضا ترفع ذلك الحاكم الأجنبى لمستوى الفرعون.

ويرغم تعالى الفرعون الذى يعكس مركز مصر وقوتها فإن ملوك الشرق القديم ومنهم ملوك بابل – كانوا يدركون أهمية صداقة مصر وقيمتها فهم فى حاجة إلى ذهب مصر وهو ما تعكسه باستمرار رسائل تل العمارنة، كذلك إستمرار الملوك البابليين فى إرسال أولادهم ليكن زوجات للفراعنة المصريين، حيث رأينا خليفة «كادشمان نليل» الملك«بورنابورياش الثانى»Burnaburias II يرسل ابنته إلى «امنحتب الرابع» (اخناتون) لتكون ضمن حريمه.

أيضا تزوج «امنحتب الثالث» من ابنة حاكم «ارزاوا»Arzawa الملقب «تارخان درادو Tarhundaradu" ، ويبدو أن الثانى قد أراد أن يقوى مركزه فى بلاده فدخل فى حلف مع «امنحتب الثالث» الذى كتب إليه باستخفاف طالبا منه ارسال ابنته لتكون زوجة له.

« امنحوتب الرابع - آخناتون » (١٣٧٠ - ١٣٥٣ق.م.)

تولى «امنحوتب الرابع» الحكم فى ظروف كانت فيها مصر فى أمس الحاجة إلى رجل من طراز «تحوتمس الثالث» وليس من طراز «امنحوتب الرابع» (اخناتون) الذى وإن كان يحتل مكانة سامية بين عظماء الرجال على طول عصور التاريخ، إلا أن ظروف الامبراطورية المصرية كانت تتطلب جنديا

يستطيع أن يخرج إلى أطراف دولته لطمأنة الموالين له والحد من أطماع .. خاتى، و «أشور» الذين أغروا ضعاف النفوس من حكام الدويلات بالعمل لصالحهم.

ولقد بدأ الخلل في أواخر عهد «امنحتب الثالث» حيث تشير رسائل «تل العمارنة» عن بداية المتاعب التي ثارت في وجه مصر هناك في نهاية عهده وفي رسالة من حاكم «قطنة» بالقرب من دمشق يستنجد بالملك لأن المناطق الموجودة حول دمشق قد تمردت، ربما بسبب العناصر الأمورية بتحريض من الحيثيين واشتد تدهور النفوذ المصري في عهد ابنه اخناتون الذي انصرف إلى دعوة الوحدانية معتقداً أن دعوته يمكن أن تربط بين مصر وجيرانها واتباعها بروابط أوثق من كل ما جربه اسلافه من روابط القوة والسياسة، ولقد استقبل ملوك الشرق وأمرائه عهد اخناتون بمد يد الصداقة والرغبة في استمرار علاقات الصداقة التي كانت موجودة قبل عهد اخناتون وخاصة بين مصر وميتاني التي أرسل ملكها «توشراتا» لاخناتون طالبا أن تستمر علاقات الصداقة بينهم كما كانت مع ابيه من قبل بل أن يطمح أن تزيد عما كانت عليه من قبل عشرات المرات.

أيضا كانت هناك رسائل ود بين مصر و «شوبيلوليوما» ملك الحيثيين الذي كان وراء ثورات الامارات التابعة لمصر في سورية، وقد حاول أن يعقد صلات الود مع «اخناتون» على الأقل حتى تتبين له سياسته الخارجية بوضوح غير أن العلاقات بين مصر وحاتي سرعان ما تتوقف ربما لأن ملك «حاتي» يحرض أمراء وسط سوريا وشمالها بغرض زعزعة النفوذ المصرى، وتحقيق أغراضه في غربي آسيا، وقد استجاب له «ايتوجاما» أمير قادش الذي بسط نفوذه على سهل سورية الشمالي وهزم الأمراء التابعين لمصر.

وفي أواسط سورية وشرقها، تكشف لنا رسائل تل العمارنة عن نوعية من الأمراء ظلوا موالين لمصر، وآخرين استفادوا من الصراع بين القوى

وظلوا يعملون لحسابهم ومن النوع الأول «ربعدى Rib-A-dda أمير «جبيل» والذى يشرف على منطقة تمتد من الساحل إلى الداخل حول ميناء جبيل ولقد ظل يرسل توسلاته المستمرة والتى بلغ عددها نحو سبعة وستون أو ثمانى وستون رسالة إلى الفرعون «امنحتب الثالث» وابن اخناتون يطلب العون ضد «عبدى شرتا» الذى كان حاكما على أمور ويشرف على جزء كبير من حوض العاصى، واتبع سياسة بسط نفوذه على حساب جيرانه، وفى نفس الوقت التى تفيض رسائله إلى الفرعون نفاقا وتملقا.

وتابع «عبدى شرتا» سياسته فى نفس الوقت التى كانت رسائله إلى الفرعون مليئة بالخضوع والعبودية، حتى لا يتأثر الفرعون بما يسمعه عنه وعندما خلف «عزيرو» أبيه «عبد شرتا»، فإنه اتبع نفس سياسة والده، ارسال الرسائل إلى اخناتون مليئة بعبارات الود والولاء مدعيا أنه يستولى على المدن ليحميها من الحيثيين، وأنه يخرب بعضها حتى لا يستفيدوا منها، وبلغت به صفاقته أنه كان يراسله بأمل أن يرى وجه مولاه البهى وذهب إلى مصر لمقابلة الفرعون وعاد بثقته.

ونتيجة لذلك فلقد تمكن من بسط نفوذه على حساب جيرانه فاحتل عرقه وقطنه ونى (جنوب قرقميش على الفرات) فى الداخل، ثم استولى على الازا «شمال طرابلس» وارداتا (قرب زغرتا) وحرق أو جاريت ودمر سميرا.

وتوالت الرسائل إلى اخناتون شاكية «عزيرو» وسياسته الرامية إلى تفويض نفوذ مصر وممتلكاتها، ومن ضمن هذه الرسائل، رسالة «ربعدى» أمير جبيل أحد المخلصين لمصر الذى أرسل إلى الفرعون يتساءل كيف ينفذ تعليماته ويحمى نفسه ويحمى مدينة الملك (أملاكه) ويتحسر على الماضى حيث كانت مصر ترسل حملاتها لتأديب العصاه والملك نفسه يقود هذه الحملات، ويحذر الملك من هجوم «عازيرو» على أراضيه أكثر من مرة مما أدى إلى أن يهجر المزارعين لأراضيهم، ومحاولة عزيرو الدائمة أن يستميله إليه مثلما فعل

مع غيره، وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن عزيرو من تابعى «شوبيلوليوما» المخلصين وأنه استبدل النفوذ المصرى بالقوة الحيثية التى لم تكن تعرف رحمة ولا هوادة تجاه الموالين لها ومن المعروف أن نظام ادارة الامبراطورية المصرية منذ أيام الفرعون تحوتمس الثالث كان يقوم على تعيين نواب له فى كل منطقة، بالإضافة إلى مفتشين مقيمين فى المدن الهامة للاشراف على الأمراء المحليين وجعل من غزة فى فلسطين المركز الرئيس للادارة بالاضافة إلى انه أخذ أبناء الامراء وحكام البلاد الاسيوية لتنشئتهم تنشئة مصرية مع أبناء كبار رجال الدولة فى مصر وبالتالى ينشئوا على حب مصر وصداقتها بعد أن درسوا معاً وارتبطا برباط المودة والصداقة والوفاء وعلى هذا النحو نمت أواصر الصداقة - مع الخضوع - بين الاسرات الحاكمة فى سوريا وفلسطين وبين الفرعون والادارة المصرية، وكان عليهم أن ينفذوا تعليمات الفرعون فى بلادهم وإن يوفروا المؤن لقواته وإن يخبروا الفرعون بالأحداث الهامة فى أقاليمهم وتحركات القوات المعادية وكان ممنوعاً عليهم الاتصال بالقوى الأجنبية أو حتى استقبال مبعوثيهم.

وفى جنوب سوريا أى بفلسطين الوسطى والجنوبية قام بدور الحيثيين «جماعات الخابيرو» الذين يهمهم القضاء على النفوذ المصرى فى فلسطين وخاصة أن المنطقة لم تكن مستقرة بسبب التنازع بين الأمراء المحليين الذين لم يكن لهم هم سوى الحكم وفى أثناء حكم اخناتون تعرضت المنطقة لاضطرابات من خلال أحد هؤلاء الامراء ويدعى «لابايا Labaya»حاكم «سيشم الذى هاجم مدينة جازر وغيرها من مدن جيرانه وتعاون هو وأولاده مع قبائل الخابيرو وسمح لهم بدخول مدينته وصاروا مصدر ازعاج على غيره من الولاه المتمسكين بالولاء لمصر أمثال «عبدى خيبا» أمير القدس، ولكن «لابايا» يكتب لاخناتون.

ويتنصل «لابايا» من كل ما نسب إليه، لكن الفرعون لم يصدق مزاعمه

ومن ثم فقد أرسل حملة بقيادة «بنخام» لضرب العصاه، ولم يستطيع بنخام أن يقبض على لابايا، الذى اغتيل أثناء فراره وتولى أبنائه من بعده وسارا على نهج أبيهما فى نفاق الفرعون بينما يعملان لصالحهما مما جعل «عبدى خيبا» أمير القدس فى احدى رسائله يكتب إلى اخناتون متسائلا عن السبب فى عدم ارسال القوات لتأديب العصاه فى أملاكه.

وهكذا اضطربت أمور فلسطين أمام عينى فرعون الذى أدرك الخطر المحدق بالامبراطورية واستجاب لنداءات ولاته المخلصين فأرسل إلى فلسطين أكثر من نجدة غير أن هذه النجدات لم تحسم الموقف، فإن الاضطرابات سرعان ما تتجدد مرة أخرى بعد عودة الحامية المصرية ويبدأ الولاة التابعين لمصر بالشكوى من الخابيرى ومن بعضهم البعض وأن كان هذا لا يعنى أن الانهيار كان تاما كما كان فى سوريا الشمالية بل أن نفوذ مصر فى فلسطين إنما ظل باقيا على أيام «اخناتون» فى اجزاء كثيرة من فلسطين.

وفى ظل تلك الظروف السياسية وانشغال «اخناتون» بدعوته معتقدا أن عقيدة التوحيد هى الوسيلة المثلى لتوحيد الامبراطورية المصرية ومع ذلك فان «اخناتون» قد اتخذ على الاقل زوجتين أجنبيتين الأولى هى الاميرة الميتانية «تاد وخيبا» التى أرسلتها «توشراتا» إلى حريم ابيه ثم انضمت إلى حريم «اخناتون» بعد موت امنحتب الثالث ولعل الدليل على زواج اخناتون من «تاد وخيبا» ما يمكن أن نستشفه من مخاطبة «توشراتا» لاخناتون فى رسائل «تل العمارنة» أرقام ٢٧، ٢٨، ٢٩ حيث يطلق على الفرعون «اخناتون» لفظ زوج ابنته. «إلى بنخوريا ملك مصر، أخى زوج ابنتى

الذى (احبه) .....

ثم يتبع ذلك بتحياته إلى تاد وخيبا ابنته (رسالة ٢٧)

وفى رسالة رقم (٢٦) إلى الملكة الأم «تى» فإنه :

«... إلى [تى] ملكة مصر، يقول

[توشراتا] ملك ميتانى، (تحياته)

إليها، وإلى ابنك (اخناتون) آمل أن

يكون بخير مع تاد وخيبا (ابنتى) وابنتك،

آمل أن تكون بخير ......

بل أن «بترى "Petrie, F" يرى أن «امنحتب الثالث» قد أرسل مندوبه إلى الملك الميتانى «توشراتا» لكى يطلب زوجة لابنه وليست له وأن الأخير قد أطلق على نفسه حمى «صهر» امنحتب الرابع» «اخناتون» اشارة إلى هذا الزواج.

وفى السنة الخامسة عشرة من حكم «اخناتون» تم زواج آخر بينه وبينه أميرة بابلية، ولقد تم هذا الزواج بين البيت البابلى والفرعون اخناتون حيث حضرت الأميرة ولم نعد تسمع عنها شئ بعد ذلك، وهو زواج يتضح فيه أيضا الجانب الاقتصادى بجانب الناحية السياسية لأن الهدايا التى كان الملك البابلى يرسلها مع رسوله أو مع العروسة وخاصة العربات والجياد فإنه فى مقابلها كان ينتظر أن يغدق عليه الفرعون الهدايا الكثيرة ولعل أهمها الذهب.

أيضا وجدنا فى حريم اخناتون ابنة الأمير السورى «شاتيجا» "Schatiga" وكذلك ابنة أمير «اميا Ammia " (لبنان حاليا»)، ولعل الدافع إلى هذه الزيجات سياسى ومادى أيضا بالنسبة لحكام المدن السورية الذين اعتادوا منذ عهد والده ان يرسلوا مع الجزية عشرات من الفتيات الجميلات.

وقد عثر فى أوجاريت على آنية من الألباستر ونقوش عليها زوجين، لسيدة من البلاط المصرى، اسمها غير معروف مع «نيقامدو الثانى Niqmaddo ملك أوجاريت الذى كان معاصرا لكل من «امنحتب الثالث» واخناتون، والاحتمال الأرجح انها كانت فى عهد اخناتون.

وكما يرى البعض فى هذه الزوجة بأنها فتاة من طبقة النبلاء من البلاط الملكى المصرى وأن هذا الزواج قد تم لأسباب سياسية فى العام الثانى عشر من حكم اخناتون لكى يدعم العلاقات بين مصر وأوجاريت، والمعروف أنه فى خلال حياة «امنحتب الثالث» فإن أوجاريت كانت مخلصة وقد عثر على أحد جعاريين زواجه من الملكة «تى» المؤرخة بالسنة الأولى من حكمة فى أوجاريت (رأس شمرا)، كما وجد خرطوشين للفرعون وزوجه على قطعة من الشقف، كذلك فى بداية عهد ابنه «اخناتون» وزوجة «نفرتيتى» قد أرسلا هدية دبلوماسية إلى «نيقامد» وزوجته الملكة ، التى ارسلت بدورها إلى الملكة نفرتيتى هدية عبارة عن قدر من الروائح العطرية لكن يقف عقبة أمام قبول هذا الرأي رسالة امنحتب الثالث إلى صهره «كادشمان انليل»

«منذ القدم ابنة ملك مصر لم تعطى إلى أى واحد»، وبالرغم من أن «اخناتون» قد غير كثيرا من أساليب ونظم الحياة المصرية.، إلا أنه لا توجد أدلة مؤكدة تجعلنا نقول أن «اخناتون» قد ترك سياسة أبيه بشأن السماح بالزواج من الأسرة الملكية المصرية، وبالتالى فالامر لا يزال فى حاجة إلى أدلة.

ولعل ما يجعل الباحث أن يتريث فى هذا الأمر - علاوة علي ما سبق - هو ذلك الحادث الغريب فى التاريخ الفرعونى والذى أوردته المصادر الحيثية - ولم نجد له إشارة فى الوثائق المصرية - التى تقدم لنا رسالة هامة مكتوبة باللغة المسمارية عثر عليها فى بوغاز كوى العاصمة الحيثية حررتها احدى ملكات مصر تطلب الزواج فيها من أمير أجنبى وتمنحه عن طريقها شرعية العرش، الأمر الذى جعل الملك الحيثى «مورشيل الثانى» (١٣٦٠ - ١٣٣٠ ق.م.) ابن «شوبيلوليوما» يذكرها فى حولياته.

وتتضح رغبة الملكة الأرملة فى الزواج من الأمير الحيثى، الذى تبعاً لرغبتها سوف يكتسب بهذا الزواج الحقوق الوراثية لتولى عرش الفراعين، كما

يتضح أيضاً دهشة الملك الحيثى لهذا التصرف الغريب الذى لم يحدث من قبل، والمعروف أن هذا الأمير الحيثى قتل فى طريقه لما مصر، وقبل أن تطأ قدماه أرض مصر، فى الأراضى السورية، بواسطة رجال الأمن المصريين الذين وصفوا بأنهم «رجال الأمن المصريين» أو «رجال وخيل مصر» بتعليمات من الأب الالهى «آى »، وربما هو الأرجح، بمعرفة «حور محب» الذى كان يتولى قيادة الجيوش المصرية فى تلك الفترة، وقد أدى هذا إلى أن تتحرك القوات الحيثية إلى سورية وتقبض على القتلة وترسلهم إلى عاصمة الحيثيين حيث حوكموا وعوقبو، تبعا للقانون الدولى، وتنتهى بذلك تلك المحاولة.

هذا وقد اختلفت الآراء بشأن معرفة هذه الملكة الأرملة التى ذكرتها النصوص الحيثية باسم «الدوخا منسو»، التى حاولت القيام بذلك الدور السياسى الحظير، ويعتقد البعض أنها أرملة اخناتون الملكة «نفرتيتى» بينما يرى البعض – وهذا ما أرجحه – أنها «عنخس أن با آمون» أرملة «توت عنخ آمون»، اعتماداً على أن مقارنة اسم الملك المصرى الوارد فى هذا النص وكذا اسم الملك الحيثى ومقارنة عصر كتابة الوثيقة بالتواريخ المعروفة يحتم وضع تاريخ الرسالة عشر سنوات على الأقل بعد موت اخناتون، كما أن صاحبة الرسالة تذكر أنها لم تلد من قبل، فى حين أن «نفرتيتى» انجبت كما أشرنا من قبل، كما أن أية واحدة من بنات «نفرتيتى» كان لها شرعية ولاية العرش شرعية أبيها، كما أنه ليس من المعقول أن تأتى «نفرتيتى» هذا العمل عقب وفاة «سمنخ رع» و «توت عنخ آمون» أقرب إليها فهو زوج ابنتها الذى شاركها اعتكافها حين غضبت وأثرت أن تبتعد عن اخناتون.

على أن هناك وجها آخر للنظر إنما يتشكك فى الرسالة من الأساس ويتساءل هل صحيح أن ما صورته الرسالة التى سجلها «مورسيل الثانى بن شوبيلوليوما» فى حولياته يمثل حقيقة تاريخية، وبخاصة وإنه ليس هنا ما يدعم ما جاء فيها من وجهة نظر المصادر المصرية، بل أن تلك المصادر لم

تشر إلى تلك الرسالة أبداً ثم اننا لا نملك - حتى عن طريق المصادر الحيثية - نص رسالة الملكة المصرية المزعومة هذه.

ويمكن القول أنه فى الاسرة الثامنة عشرة ونتيجة للتفوق المصرى فى ساحات القتال الذى حققه تحوتمس الثالث وخلفائه امنحوتب الثانى، وتحوتمس الرابع، وايضا سياسة الزواج السياسى فإن الفرعون المصرى كان دائما يأمر بارسال أميرات أجنبيات للزواج منهم وكانت مطالبة دائما تنفذ.

كما يلاحظ أكثر من مرة أن الفرعون المصرى لجأ إلى نوع من تجديد الولاء لمصر مستخدما انجاز زواج جديد عند اعتداء الحاكم الأجنبى الجديد لعرشه، والأمثلة عديدة سواء مع بابل أو ميتانى حيث تزوج «امنحوتب الثالث» من ابنة «كادشمان انليل» ملك بابل على الرغم من وجود شقيقة الملك البابلى ضمن حريمه، أى أن الفرعون قد جمع بين الابنة وعمتها، الشئ الذى تكرر مع ميتانى وغيرها.

كذلك نتج عن حالات الزواج السياسى السابقة تقوية الروابط بين الفرعون المصرى ومعاصره الأجنبى، ولكن ليس ما بين دولهم، ومن هنا كانت الضرورة فى حالة وفاة ملك أى من البلدين أن يتم زواج جديد وروابط جديدة، بالإضافة إلى ذلك لجأت مصر إلى نوع من السلام المسلح، والخروج من حين إلى حين إلى أطراف الدولة لطمأنة الموالين وتأمين الجانب الاقتصادى والضرب على الطامعين، وعندما تخلت مصر عن اتباع تلك السياسة فى عهد كل من «امنحوتب الثالث» و«امنحوتب الرابع» فإن مشاعر الحكام لم تعد كافية لتأمين الجانب السياسى والاقتصادى وبالتالى اضطربت علاقات مصر الدولية.

نهاية الأسرة الثامنة عشرة :

بوفاة اخناتون وسمنخ كارع والآخير لازلنا نجهل أحداث عهده، وتبعه فى الحكم «توت عنخ آتون» الذى غير اسمه ليكون «توت غنخ آمون» واعتلى

العرش وهو حديث السن ولكنه لم يعمر طويلاً إذ أنه مات بعد أن حكم نحو ثمانية أعوام وكان حينئذ فى الثامنة عشرة من عمره، ونال شهرة كبيرة بسبب ذلك الاكتشاف المثير لمقبرته عام ١٩٢٢ بواسطة «هوارد كارتر»، تلك المقبرة التى حوت أثاث وكنوز تعد أثمن كنوز المتحف المصرى بالقاهرة حاليا.

تولى العرش بعد «توت عنخ آمون» آى وهو من رجال الجيش وحمل لقب «الأب الإلهى» ويرى «جاردنر» أن هناك قرابة بينه وبين يويا والد الملكة تى، وربما كان صهراً لامنحتب الثالث، ومن المرجح أنه تزوج إحدى أميرات البيت المالك، أو ربما أرملة توت عنخ آمون وذلك ليدعم شرعيته فى إعتلاء العرش الفرعونى، الذى اعتلاه لمدة ثلاث سنوات تقريبا ليخلفه قائد الجيش «حور محب».

حور محب:

تضاءل النفوذ السياسى الخارجى لمصر خلال فترة العمارنة وبرغم المحاولات الجادة التى بذلها «حور محب» من أجل اعادة هيبة مصر ونفوذها فى الخارج وخاض فى سبيل ذلك معركتين على الأقل فى عهد «توت عنخ آمون» وفى عهده، وكان معاصراً للملك الحيثيين «مورسيل (الثالث) الذى مال إلى السلام فوجدها حور محب فرصة طيبة لاصلاح أمور مصر الداخلية ونشر العدل الاجتماعى بين ربوع مصر، لذلك اصدر مجموعة من التشريعات جعلته من اشهر المصلحين الاداريين والمشرعين، وتضمنت تشريعاته أحوال مصر المتردية قبل عهده، والمواد التى وضعها للقضاء على الفساد، وتوضيح الكثير من القواعد التى تهم المجتمع سواء فى علاقتهم بعضهم البعض، أو فى علاقة الفرد بالسلطة والحقوق والواجبات، سواء بالنسبة للفرد أو الدولة.

كذلك كان «حور محب» مهتما بالبناء والتشييد، فأمر بتشييد بهو الاعمدة التى كان اكمالها من نصيب رمسيس الثانى، كما شيد الصرحين التاسع

والعاشر بمعبد الكرنك، ايضا يبدو أن طريق الكباش الممتد من الكرنك إلى الاقصر يرجع تنفيذه إليه، بالاضافة إلى عدة أعمال أخرى فى اماكن متفرقة.

وبوفاة «حور محب» الذى لم يترك وريث له للجلوس على عرش مصر تنتهى الأسرة الثامنة عشرة.

الفصل الثالث

الاقواس التسعة من خلال

مقابر الاسرة الثامنة عشرة فى مصر القديمة

كلمة قوس فى النصوص المصرية كانت تكتب هكذا منذ نصوص الاهرام:

(١) pḏt, varr.

وفى الدولة الحديثة كان يضاف إليها أداة التعريف للمفرد المؤنث

أما كلمة الاقواس التسعة فقد كانت تكتب منذ الدولة القديمة:

pḏt, varr.

وفى الدولة الوسطى، كتبت الكلمة وفى العصر اليونانى الرومانى

وفى بعض الاحيان كان يضاف إلى هذه الكلمة المخصص للدلالة على شعوب الاقواس التسعة.

ويرجع مفهوم الاقواس التسعة كرمز سياسى لاعداء السياسة الداخلية والخارجية لمصر القديمة إلى عصور ما قبل التاريخ المصرى، وهو ما أكدته المصادر الأثرية.

حينما عكس الفن المصرى القديم التطورات السياسية المستمرة للوصول إلى الوحدة بين مملكتي الشمال والجنوب وظهور أول دولة موحدة فى العالم القديم، حيث تم العثور فى معبد مدينة نخن على مقمعة من الحجر الجيرى للملك العقرب صورته النقوش مرتديا تاج الصعيد يؤدى بعض الأعمال المرتبطة بالزراعة والرى ورمزت إلى جهوده الحربية فى أعلى المقمعة مجموعة من حوامل رموز الآلهة وهى «ابن اوى وست ومين» اشارة إلى تأييدهم له فى حروبه أو دليلا على تحالف أنصارهم أو أقاليمهم تحت رايته وتتدلى منها حبال غليظة علقت فى بعضها طيور الرخيت (RḪYT) وعلقت فى

البعض الأخر مجموعة من اقواس الحرب (شكل رقم ١) ويمكن الاستنتاج أن الاقواس وطيور الرخيت المعلقة تمثل الاشارة أو الرمز لاعداء الملك العقرب المهزومين وخاصة أن بعض الباحثين يرى أن طيور الرخيت (الزقزاق) ترمز إلى سكان الدلتا بينما يرى البعض أنها ترمز إلى جهات من مصر الوسطى، بينما ترمز الاقواس إلى أهل الواحات والصحراء المجاورة وعلى أهل الدلتا الذين انتصر عليهم العقرب وقيامه بعد ذلك بمتابعة الأعمال السلمية المرتبطة بالزراعة وهو ما عبرت عنه اللوحة .

كما عثر على قاعدة تمثال للملك زوسر (الاسرة الثالثة) من الحجر الجيرى وعلى القاعدة تحت أقدام الملك تسعة اقواس وثلاثة من طيور الزقزاق باعتبار الملك زوسر المنتصر على ما تمثله الاقواس أو الطيور (شكل ٢ أ ، ب) وخاصة أن عدد الاقواس التسعة دل على تقدير المصرى القديم لتلك المحاولات السياسية الناجحة التى قام بها الملوك الأوائل فى فجر التاريخ وبداية الوحدة السياسية التى حرص الملوك علي ذكرها وتزيين قواعد تماثيلهم بها.

كذلك ذكرت الاقواس التسعة على جدران مقابر الملوك فيما عرف باسم «نصوص الأهرام» للاشارة إلى عالم البشر الخاضع للملك، حيث نقش على جدران حجرة الدفن لهرم الملك ونيس آخر ملوك الاسرة الخامسة.

« ... لتجعل (الملك) ونيس يحكم الاقواس التسعة

ويدير القرابين للآلهة التسعة (تاسوع أون هليوبوليس)

والمثال / الآخر من نصوص الاهرام التى أمدتنا بمعلومات قيمة عن الديانة الجنزية الملكية منذ أقدم العصور والتى تضمن السعادة للملك عند موته قوله:

« ... أنك تخرج على صوت أنوبيس لتقود الالهة وتضع

الاقواس بين صولجانك...»

وفى عصر الدولة الوسطى رأينا الملك «منتوحتب الثانى (الاسرة الحادية عشرة) يصف انتصاره على النوبيين والقبائل الليبية فى الصحراء الغربية والبدو فى الشمال والشرق باعتباره قد اخضع اعداء مصر التقليديين «شعوب الاقواس التسعة» أو الاقواس التسعة.

وفى عصر الدولة الحديثة هناك أداة أثرية عديدة منها تمثال بالهيئة الاوزيرية للملك «تحوتمس الثالث» جالسا وقد تهشمت الرأس، وقد وضع الملك قدميه فوق الاقواس التسعة، وهناك تمثال آخر للملك «تحوتمس الثالث» يطأ بقدميه الاقواس التسعة (وقد اغتصب الملك رمسيس الرابع التمثال لنفسه).

وكذا تمثال جماعى للملك امنحوتب الثاني والاله آمون جالسين ويطآن بأقدامهما الاقواس التسعة كما عثر على قاعدة تمثال للملك «امنحوتب الثالث» عليها الاقواس التسعة وقد وضع الملك قدمية فوقهم (خراطيش امنحوتب الثالث مهشمة منذ عصر اخناتون)، كما عثر بمعبد الكرنك على قاعدة تمثال للملك «أمنحوتب الثالث، يطأ بقدميه الاقواس التسعة ايضا تمثال جماعى من الالباستر للملك «حورمحب» وزوجته الملكة «موت نجمت» صور على قاعدته الاقواس التسعة وقدمى حور محب وموت نجمت فوقهما كذلك عثر على رسم تخطيطى للاقواس التسعة فى معبد الالهة «موت» بالكرنك.

كما توجد الاقواس التسعة بنفس المفهوم التقليدى فى كثير من قبور الاشراف بطيبة، وخاصة منذ عهد الملك «تحوتمس الثالث، وتظهر متتابعة كالتالى :

١- الحاونبو H3W - nbw (t)

٢- النوبة العليا S3 tiw

٣- مصر العليا t3- Sm

٤- سكان الواحات Shtiw - i 3 ́m

٥- مصر السلفى t3 - mẖw

٦- الصحراء الشرقية Pḏt iw - sw

٧- الليبيون tẖnw

٨- النوبيين iwntiw - stI

٩- الاسيويون mntiw - 3w sṯt

وبالرجوع إلى الاسماء الدالة على معنى الاقواس التسعة والتى تبدأ باسم «الحاونبوت» (T) H3 W - nbw يرى فوركتيه أن الكلمات الجغرافية يمكن أن تتغير معانيها خلال العصور سواء بالنسبة للمكان أو السكان وهذا ينطبق على كلمة «الحاونبوت» ففى عصر ما قبل الاسرات يفترض أنها تعنى رقعة الأرض المتصلة بالمستنقعات على حافة البحر عند الطرف الشمالى للدلتا المصرية وأن هذا المفهوم قد تطور بسرعة بسبب اختفاء الاجناس القاطنة بها نتيجة طردهم أو القضاء عليهم بمعرفة المصريين الذين كانوا يسكنون ارضا حكمها الفرعون المصرى أو على الاقل قريبة بما يكفى لان تدعى مصر انهم تحت سلطانها.

والباحث فى ضوء الادلة الاثرية المتاحة حاليا لا يمكنه تأييد هذا الافتراض وفي عصرى الدولتين الوسطى والحديثة فإن الكلمة اصبحت تدل على السواحل الاسيوية البعيدة ومجموعة الشعوب التى تسكن تلك المناطق الساحلية.

بينما يرى «جاردنر» وغيره من العلماء أن كلمة «حاونبوت» والتى جاء ذكرها فى النصوص المصرية منذ عصر الدولة القديمة يمكن تفسيرها بمعنى سكان جزر البحر المتوسط كذلك استنادا على ورود الكلمة فى نصوص

الاهرام (الفقرة 629, b) dbn piur فالكلمة يمكن أن تفسر بسكان جزر بحرايجه والعلاقة بين مصر وسكان جزر البحر المتوسط علاقة قديمة، وكما يرى هول وغيره من العلماء امكانية وجود هذه العلاقة وارجاعها إلى عصور ما قبل الاسرات ولكن بسبب صعوبة التاريخ الدقيق للاشياء التي تم العثور عليها سواء فى مصر أو فى تلك الجزر فإنه لا يمكننا أن نؤكد وجود هذه العلاقة فى تلك الفترة، إلا أنه يمكننا التأكيد على وجود هذه العلاقة واستمرارها بدءا من عصر الدولة القديمة ولعل اللقب الذى حملته الملكة «ايعح حوتب» باعتبارها سيدة الحاونبو بعد محنة طرد الهكسوس لهو دليل واضح على قدم العلاقات بين مصر وسكان هذه الجزر واستمرارها على مر العصور تلك العلاقة التى لم تكن عائقا طبيعيا، كالبحر المتوسط الذى يمثل عائقا بين المصريين وسكان تلك الجزر وخاصة أن الحاجة الاقتصادية كان لها اثرها فى اقامة العلاقات بين الجانبين سواء حاجة مصر إلى الفضة والاخشاب النادرة فيها مقابل حاجة هذه الجزر إلى الحبوب المتوفرة فى مصر القديمة.

والعلاقة بين مصر وبلاد النوبة علاقة قديمة ازلية منذ عصور ما قبل التاريخ لاحتمال انتمائهم إلى نفس الجنس الحامى، يوضح ذلك التشابه فى عادات الدفن فى عصر ما قبل الاسرات الأول ثم بدأ الاختلاف منذ عصر الأسرات الاوسط وما بعده فى عصر ما قبل الأسرات الأخير حيث تقدمت الحضارة فى مصر ولم تستطع بلاد النوبة أن تلحق بذلك التقدم الحضارى فى الشمال الذى وضح تماما مع نهاية الاسرة الثالثة فى مصر واعتبر المصريون منطقة النوبة السفلى القريبة من أسوان جزءاً متمما لحدودهم الجنوبية، ورغبة فى تأمين الحياة عندها والحد من شغب قبائلها غير المستقرة ربما بسبب طبيعة البلاد الجغرافية التى اصيبت بالجفاف والفقر مما دعاها إلى تكرار مهاجمة القوافل والبعثات المصرية ومناطق الاستقرار القريبة منها فى مصر العليا ولقد استمر ملوك مصر منذ عصر بداية الاسرات فى اتباع

تلك السياسة وهو ما تدعمه الادلة الاثرية حيث عثر فى ابيدوس على بطاقة ابنوسية الملك «عحا» (الاسرة الاولى) سجل فيها انتصاره على النوبيين وتابع خليفته الملك «جر» تلك السياسة حيث عثر فى جبل الشيخ فى الجانب الغربى من النيل بالقرب من «بوهن» على لوحة صخرية (شكل رقم ٣) تحمل اسم الملك وفيها يظهر اسيرا جالسا أمام سفينة من طراز عصر الأسرات فى مصر ويداه مقيدتان خلف ظهره ويلتف حبل حول عنقه وأسفل السفينة نجد اجسادا غرقى للعدو المهزوم ووجه نوبى موجه إليه سهم ودائرتين على شكل المدن على احدهما صقر وعلى الأخرى المشيمة الملكية يرمزان إلى مدن تم الاستيلاء عليها بواسطة الملك «جر» الذى أكد بنقشه هذا اهتمامه بهذه الانحاء.

وفى عصر الدولة القديمة أرسل سنفرو (الاسرة الرابعة) حملة عسكرية عادت ومعها سبعة الاف أسير ومائتى الف رأس من الماشية، وبذلك ضمن بحملته التأديبية هذه استقرار الامور وورود منتجات بلاد النوبة وبصفة خاصة الابنوس والعاج مقابل الاوانى الخزفية المصنوعة فى مصر فضلا عن تشجيع البعثات السلمية وظهور رحالة ارتادوا الجنوب امثال «حرخوف»، «يبى نخت» وغيرهم، وتابع ملوك مصر فى عصر الدولة الوسطى جهودهم العظيمة فى السيطرة على بلاد النوبة وهناك نقش على شقفة عثر عليها فى البلاص بمصر العليا وفيها يسجل الملك منتوحتب الثانى (الاسرة الحادية عشرة) أنه نجح فى اعادة اخضاع ووات» (النوبة السفلى) إلى مصر، ايضا عثر على نص فى «كورسكو» (جنوبى دنقلة) يؤرخ بالعام التاسع والعشرون من حكم امنحات الاول (الأسرة الثانية عشرة) يؤكد سيطرته على النوبة السفلى، وواصل سنوسرت الأول سياسته واهتمامه بالنوبة العليا حتى «كوش» بعدة حملات ناجحة أهم نتائجها الاقتصادية ورود الذهب من تلك الانحاء، وحينما تعرضت منطقة النوبة لتحركات بشرية هددت النفوذ المصرى فيها فى عهد «سنوسرت

الثالث» (الاسرة الثانية عشرة) مما جعله يواجه ذلك بالقوة وبعد أن أمن خطوط اتصالاته بشق الترع أو اعادة تطهيرها فإنه قاد أربع حملات عسكرية كانت الأولى فى العام الثامن من حكمه حيث بدأ حملته من كوش والثانية فى العام العاشر من حكمه، وفى حملته الثالثة فى العام السادس عشر، نجح فى دفع العدو وحرق حقوله وتدمير منشآته وفى حملته الرابعة فى العام التاسع عشر من حكمه قضى الملك حوالى ثمانية شهور تقريبا بين قواته حتى حقق نصره النهائى وقضى على عدوه وسجل اخبار انتصاراته على قلعة سمنة قائلا : «أنه حدد حدوده ليمنع أى نوبى من عبورها سواء بواسطة البر أو النهر فيما عدا النوبى القادم بغرض التجارة فى (منطقة) ايقن "Iken" » أو إذا كان قادما فى مهمة رسمية ...." (لوحة برلين رقم ١٤٩٣٥).

وهكذا اثمرت جهود الملوك فى عصر الدولة الوسطى فى فرض نفوذ مصر وسلطانها على منطقة النوبة وفى عصر الدولة الحديثة استمر وضع بلاد النوبة كجزء متمم لحدود مصر الجنوبية وزاد الاشراف الادارى والحضارى عليها وليس ذلك مجال هذا البحث لسرد تفاصيله ولكن ما يهم الباحث أن يوضحه أن منطقة النوبة كانت دائما جزءا من تراث مصر وتاريخها ولذا ذكرت ضمن الاقواس التسعة للفرعون المصرى المنتصر على اعدائه.

أما عن الليبيين أو التحنو thnw كما جاء ذكرهم فى الاقواس التسعة فلقد سكنوا الجزء الملاصق للدلتا من الناحية الغربية ومن ناحية الأصل ربما ينتمون إلى نفس جنس المصريين، وإن كانوا يعتبرون أجانب عنها، وتتفق ملامحهم مع ملامح المصريين، بشرتهم حمراء داكنة كذلك التشابه فى الزى فى العصر المبكر فى كلا الجانبين، وتميز الليبى بخصلة الشعر التى تتدلى من أحد جانبى رأسه ويغمد عورته فى جراب وذيل الحيوان معلق من خلف أو أمام النقبة، كما اتخذوا بعض الاسماء المصرية، كما اطلق عليهم «حاتيوعا»، h3tiw-c وهى كلمة مصرية تعنى (امير)، وعلاقة الليبيين بمصر علاقة

قديمة ويفترض «ادوارد» أن التقسيم بين الشعبين المصرى والليبى قد حدث نتيجة عدم اخضاع «الحاتى عا» بواسطة ملوك مصر العليا عند توحيد مصر فى بداية العصر التاريخى وهو افتراض لا تدعمه الادلة الاثرية، وكما يرى الدارس فإن العلاقة بين الجانبين علاقة قديمة تراوحت بين السلم والحرب حينما كانت تدفعهم ظروف الجفاف أو اضطراب الاحوال السياسية فى مصر إلى الطمع فى خيراتها فتقوم برد غاراتهم وتأديبهم، وهو ما عبرت عنه الآثار المنتمية إلى عصر ما قبيل الاسرات وبداية العصر التاريخى حيث تشير نقوش صلاية «الحصون والغنائم» للك يعتقد أنه العقرب الذى صور رمزه ضمن الرموز المقدسة، وفيها غنائم الحرب التى حصل عليها وضمنها صفوفا للماشية، تحتها اشجار زيتية صمغية كتب تحتها عبارة تحنو اشارة إلى هذه الانحاء الليبية ونجاح الملك فى تأديبها والاستيلاء على ما تجود به من مراعى وأشجار كذلك عثر على نقوش لكل من الملك «نعرمر»، «جر» (الاسرة الأولى) تسجل انتصارات مصرية على الحدود المصرية الليبية لتأمين الحدود من ناحية الغرب، كما عثر على بعض الاوانى الحجرية فى «نخن» للملك خع سخم» (الاسرة الثانية) ممثل عليها الالهة «نخبت» على شكل نسر قابضة باحدى قدميها على دائرة رسم بداخلها كلمة بش Besh بمعنى الثوار أو العصاه وممسكة بالقدم الاخرى على رمز وحدة مصر العليا ومصر السفلى وعلى قطعة أخرى تمثل جزء من اسير راكع على منصة تنتهى برأس رجل اجنبى على رأسه قوس (شكل ٤) وفى أسفل المنظر يوجد اسم الملك مع عبارة «مخضع البلاد الاجنبية» وهناك احتمال أن يكون المقصود بكلمة العصاه أو الثائرين فى اللوحة إنما يعنى أحد الشعوب الليبية المجاورة للكاب ناحية الجنوب الغربى أو أحدى الجماعات الليبية الموجودة فى الشمال الغربى بالقرب من الفيوم.

وفى عصر الدولة القديمة نقش الملك «ساحورع» (الاسرة الخامسة) على

جدران معبده الجنزى الإلهة سشات «الهة الكتابة وهى تسجل أعداد الماشية التى استولى عليها الملك كما يظهر فى النقش زوجة وابناء الملك الليبى واسماؤهم الخاضعين للملك المصرى بعد هزيمتهم واستسلامهم، وفى عصر الدولة الوسطى رأينا الملك «منتوحتب الأول» (الاسرة الحادية عشرة) يرسل اليهم أكثر من حملة نجحت احداها فى قتل قائد التحنو وتمكنت من وضع حد للفوضى والاضطرابات على حدود مصر الغربية منذ نهاية عصر الدولة القديمة، وهو ما يراه هيز "Hayes" أنه قد حدث فى عهد منتوحتب الثانى الذى وصف انتصاره على القبائل الليبية فى الصحراء الغربية باعتباره قد اخضع اعداء مصر التقليديين «الاقواس التسعة» كذلك نجح فراعنة مصر فى عصر الدولة الحديثة فى اقامة الحصون وقيادة الحملات لكسر شوكة الجماعات الليبية من المشوش والريبو وتأمين الحدود الغربية لمصر من اعتداءاتهم المتكررة.

ولم تقتصر العلاقة بين مصر والليبيين على الجانب الحربى وإنما كانت هناك ايضا علاقات سلمية حيث ذكر حرخوف على جدران مقبرته فى اسوان نجاحه فى رحلته الثالثة فى التوسط بين أحد رؤساء قبائل النوبة «ايام والتمحو» المنتشرة فى طريق الواحات غرب النيل وتمتد حتى واحة سليمة على أقل تقدير فعمل على اصلاح ما بينهما وبذلك ضمن تأمين وصول تجارة مصر دون اعتراض من أحد، ايضا ما قام به «ونى» من تجنيد بعض سكان الصحراوات الغربية من قبائل «التمحو » الليبية ولعل الدافع الاقتصادى كان ضمن الاسباب الهامة للاهتمام بتلك الانحاء وخاصة حاجة مصر إلى زيت التحنو، وفى الدولة الحديثة استوردت الريش بالاضافة إلى الماشية والاغنام التى توفرت بكثرة فى بعض الفترات وهناك احتمالية قيام الليبيين بدور الوسيط التجارى بين مصر وجنوب افريقيا.

أما من ناحية الشرق والشمال الشرقى حيث الطريق من مصر إلى

سورية بمعناها القديم وفلسطين فى الجنوب والطريق منها وإليها يمر بشمال شبه جزيرة سيناء، فلقد دلت الدراسات والأبحاث التاريخية والاثرية عن وجود اتصالات بين مصر وهذه الانحاء منذ عصر ما قبل الاسرات ففى الناحية الاقتصادية والحضارية مع فلسطين فلقد عثر على عدد من الأوانى الفخارية ذوات الايدى الموجة فى المعادى وجرزه ونقاده وغيرها ترجع فى اصولها إلى فلسطين في جريكو (اريحا) والطبقة الثامنة عشرة فى بيت شان، وكما يرى «فوركتيه» فإن مصر قد تبادلت منتجاتها مع جيرانها وبصفة خاصة فلسطين وانه مع مجيئ عصر التأسيس فى مصر فإن هذه العلاقات الاقتصادية قد ازدادت بدليل العثور على كثير من الاوانى الحجرية تحمل اسم «نعرمر» فى عدة اماكن من سوريا وفلسطين ايضا فإن عمليات التنقيب والحفائر فى ببيلوس قد دعمت ادلة وصول المنتجات المصرية إلى سورية حيث عثر فى ارضية أحد المعابد على سكاكين حجرية وخرزة ذهبية وقطعتى لعب يمكن ارجاعها لفترة ما قبيل الاسرات فى مصر، ولعل العامل الاقتصادى كان هو الهدف الاساسى من ارسال البعثات الى سورية وفلسطين وخاصة للحصول على اخشاب الارز الذى عثر على بقايا منه فى مقابر البدارى، كما ذكرت اخشاب الارز ضمن نقوش الملك «عنجاب» (الاسرة الاولى)، كذلك لعل وفرة الاثار المصرية التى عثر عليها فى ببيلوس تدل على أن الانتقال فى البداية كان يتم بحرا لأن الانتقال البرى كان محفوفا بالمصاعب، وليس من المستبعد ايضا أن يكون الملوك الأوائل فى عصر بداية الأسرات قد اهتموا بالطريق البرى عبر سيناء وفلسطين، سواء للحصول علي النحاس والفيروز من سيناء أو لتنمية التجارة مع بيلوس، ويرى بعض العلماء أن الملوك الأوائل قد اضطروا لاستخدام القوة لتأديب بعض مثيرى الشغب فى سورية وفلسطين وبدو سيناء، وقد تكون لوحة نعرمر دليل على تلك العمليات التى نفذها فى تلك الانحاء وخاصة ضد المدن الفلسطينية المحاطة بالاسوار كما عثر على قطعة

فخارية من اناء مصرى فى تلك الشيخ العرينى (جنوب فلسطين) عليها اسم نعرمر، يدعم ذلك الشواهد الاثرية لخلفاء نعرمر حيث يشير حجر بالرمو إلى قيام الملك «جر» بارسال حملة عسكرية لضرب الستيه Setjet" وهو اسم ربما كان يطلق فى بداية الاسرات على سيناء ثم اصبح فيما بعد يطلق على غرب اسيا، ايضا على لوحه عاجية للملك «دن» (وديمو) تمثله يهوى بمقمعته على رأس احد زعماء البدو، واللوحة نقشت عليها عبارة «المرة الأولى لضرب الشرقيين» ربما اشارة لتأديبه للبدو فى سيناء أو للبدو فى الصحراء الشرقية وربما ما وراثها ايضا لتأمين طرق القوافل والبعثات التجارية التى اعتادت مصر ارسالها إلى شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية ولعل المقصود بعبارة الشرقيين تلك الشعوب المسماه بالايونتو†Iwntiwالتى جاء ذكرها فى السطر الثالث من حجر بالرمو والتى أكدت بطاقات الملك عنجاب انتصاره عليهم.

كما تشير الادلة الاثرية فى عصر الدولة القديمة على نجاح ملوكها ايضا فى ارسال البعثات السلمية والعسكرية الى تلك المناطق ومن هذه الادلة ما سجله الملك ساحورع (الاسرة الخامسة) على جدران معبده الجنزى للسفن العائدة من سورية بالتجارة والاسيويين عليها واسلحتهم مرفوعة ولاء للملك المصرى، وهناك نقش أخر فى مقبرة «انتى Inti فى دشاشة يمثل استيلاء احد ملوك الاسرة الخامسة على حصن او مدينة كنعانية، وفى عصر الاسرة السادسة تزايد تهديد الاسيويين لحدود مصر من ناحية الشمال الشرقى الامر الذى عبر عنه «ونى» على نقوش مقبرته بابيدوس حيث عهد اليه «ببى الاول» بقيادة خمس حملات احداها كانت مشتركة بين القوات البرية والبحرية وكان النصر حليفه فى كسر شوكة الاسيويين.

ويمكن القول فى إيجاز أن ملوك مصر منذ بداية الاسرات قد اهتموا بتأمين طرق القوافل المتجهة إلى الشمال الشرقى، كما نجحوا فى التصدى لغارات الطامعين والاسيويين.

أما عن ورود أسماء مصر العليا، مصر السفلى، الصحراء الشرقية وسكان الواحات ضمن الاقواس التسعة، فإن هذا يعنى سيطرة الملوك الفراعنة على هذه الانحاء، ومن ناحية أخرى فهى انعكاس لاحداث الصراع والحروب منذ عصور ما قبل الاسرات حتى انتهى الامر بقيام أولى الاسرات الفرعونية.

ولقد قام المؤلف مستعينا بكتاب .PM بدراسة مقابر الاسرات فى طيبة المنتمية إلى عصر الاسرة الثامنة عشرة والتى صور على جدرانها الاقواس التسعة اعتبارا من حكم الملك تحوتمس الثالث حتى حكم الملك «امنحتب الرابع» (اخناتون) وبيانها كالاتى :

المقبرة رقم ٤٢ وموقعها الشيخ عبد القرنة

صاحبها : امنمس

ms I mn

وظيفته : قائد القوات ، عين الملك فى اراضى الرتنو

عصر الملكين : تحوتمس الثالث ، أمنحوتب الثانى.

ويوجد منظر الاقواس التسعة فى الصالة الامامية المستعرضة إلى اليسار فى مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى عند رقم (٥) طبقا لـ PM I, I, P. 80 حيث يقدم المتوفى القرابين للملك تحوتمس الثالث والاقواس التسعة على قاعدة العرش.

المقبرة رقم ٣٦٧ وموقعها الشيخ عبد القرنة.

صاحبها : باسر p3 sr

عصـــــر : امنحوتب الثانى

وظيفتــــه : رئيس الرماه، رفيق جلالته.

يوجد المنظر عند رقم (٥) طبقا لـ PM I2, I, p. 416

المقبرة رقم ٦٣ وموقعها الشيخ عبد القرنة

صاحبها : سبك حتب sbk htp

وظيفتـــه : المشرف على بحيرة سوبك

عصـــــر : تحوتمس الرابع

يوجد منظر الاقواس التسعة فى الصالة الامامية المستعرضة إلى اليسار فى مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى عند رقم (٥) على قاعدة كرسى العرش للملك تحوتمس الرابع.

المقبرة رقم : ٧٤ وموقعها الشيخ عبد القرنة

صاحب المقبرة : ثانونى t3 nwny'

وظيفتـــه : كاتب ملكى ، قائد جنود

عصـــــر : تحوتمس الرابع

يوجد المنظر فى الصالة الامامية المستعرضة إلى اليسار فى مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى عند رقم (٦) حيث يقدم المتوفى القرابين للالة آمون والملك تحوتمس الرابع والاقواس التسعة على قاعدة العرش.

المقبرة رقم : ٤٧ وموقعها الخوخة.

صاحبها : وسرحات wsr h3t

وظيفته : المشرف على الحريم الملكى

عصـــــر : امنحتب الثالث

ويوجد منظر الاقواس التسعة إلى يسار الداخل فى الصالة الامامية حيث صاحب المقبرة يقدم العقود للملك «أمنحتب الثالث» وزوجته الملكة «تى» وهم داخل الجوسق الملكى المنقوش على قاعدته الاقواس التسعة

المقبرة رقم: ٤٨ وموقعها الخوخة

صاحبها : امنمحات Imn m h 3 t (كما يدعى ايضا سرور)

وظيفتـــه : كبير المشرفين، المشرف على ماشية آمون

عصـــــر : امنحتب الثالث

ويوجد منظر الاقواس التسعة فى الصالة الامامية المستعرضة إلى اليسار فى مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى عند رقم (٤) حيث الملك «امنحتب الثالث» على العرش داخل الجوسق الملكى وعلى القاعدة توجد الاقواس التسعة.

المقبرة رقم: ٥٧ وموقعها الشيخ عبد القرنة

صاحبها : خع امحات ḫ‛m h 3 t

وظيفتـه : كاتب ملكى ، المشرف على غلال الوجه القبلى والوجه البحرى

عصـــــر : امنحوتب الثالث

ويوجد المنظر فى الصالة الامامية المستعرضة إلى اليسار فى مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى عند رقم (١١) حيث الملك «امنحوتب الثالث» داخل الجوسق الملكى ممثل وهو يسحق اعدائه وعلى قاعدة الجوسق توجد الاقواس التسعة.

المقبرة رقم ١٢٠ وموقعها الشيخ عبد القرنة

صاحبها : عا انن c3 - nn (كما يسمى ايضا محو)

وظيفتـــه : الكاهن الثانى لآمون

عصـــــر : امنحوتب الثالث

ويوجد المنظر فى الصالة الامامية المستعرضة الى اليمين فى مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الشمال الشرقى عند رقم (٣) حيث امنحوتب الثالث ممثل على هيئة أبو الهول يذبح اعدائه على جانب من عرشه والملكة تى داخل الجوسق الملكى وصور عليه الاقواس التسعة.

المقبرة رقم : ١٩٢ وموقعها العساسيف

صاحبها : غاروف ḫrw. f «كما يسمى ايضا سناعا»

وظيفتـــه : المشرف على املاك الزوجة الملكية العظمى.

عصـــــر : معاصر لكل من «امنحوتب الثالث» و «امنحوتب الرابع»

ويوجـد منظر الاقـواس التسـعـة عند رقم (٨) على الجـانب الايمن من الصالة الامامية الأولى حيث الملك امنحوتب الثالث وزوجته الملكة تى على شكل ابو الهول (مؤنث) ممسكة باسرى من النسوة الاسيويات والنوبيات وكل من الملك والملكة داخل الجوسق الملكى المصور على قاعدته الاقواس التسعة (شكل رقم ٥ أ، ب).

المقبرة رقم : ٥٥ وموقعها الشيخ عبد القرنة

صاحبها : رعمس . Rᶜ- ms

وظيفته : حاكم المدينة (طيبة) والوزير

عصر : امنحتب الرابع

ويوجد منظر الاقواس التسعة (عند رقم ٧) فى الصالة الامامية المستعرضة إلى اليسار فى مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى، حيث الملك «امنحوتب الرابع والالهة ماعت» داخل الجوسق الملكى المصور على قاعدته الاقواس التسعة.

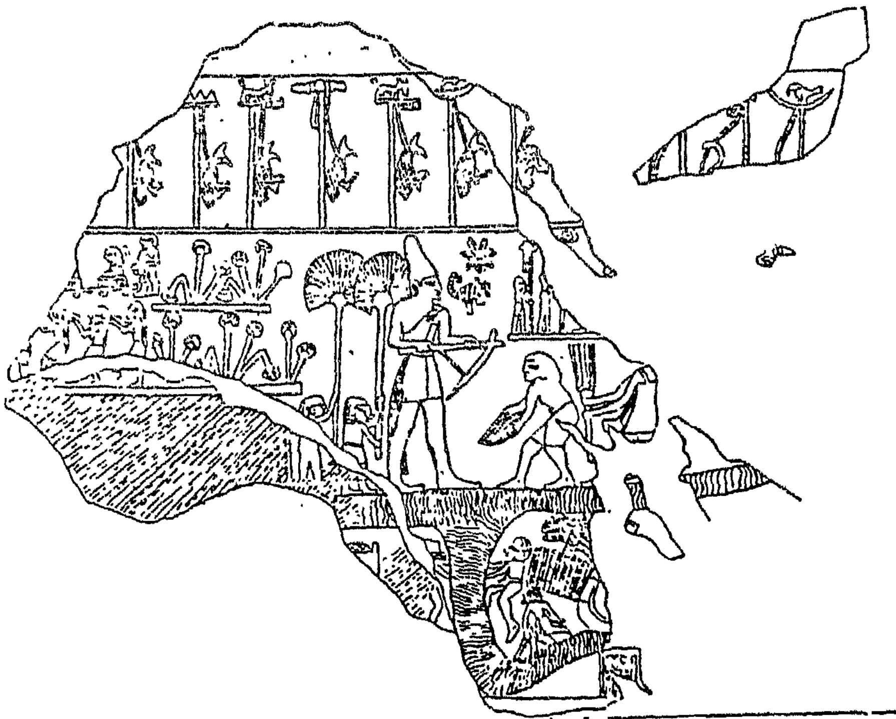
وبعد دراسة الباحث لمناظر الاقواس التسعة اثناء عصور الدولة القديمة والوسطى والحديثة لاحظ ورودها على قاعدة تماثيل الملوك، وضمن الالقاب والصفات التى نعتوا بها، كما تلاحظ من دراسة مناظر الاقواس التسعة الممثلة على جدران مقابر الاسرة الثامنة عشرة سالفة الذكر انها قد وردت باستمرار على قاعدة العرش الملكى، أو تحت الجوسق الملكى.

أيضا يتفق الباحث مع رأى فوركتيه بأن ترتيب أسماء الاقواس التسعة الذى يتكرر بنفس الكيفية وحتى نهاية العصر اليونانى يعنى أن القائمة تقليدية رغبة فى التمسك بالتقاليد الموروثة.

كذلك يلاحظ الباحث من دراسة مقابر الاسرة الثامنة عشرة أن منظر الاقواس التسعة بهذه المقابر كلها – عدا المقبرتين رقم ١٢٠، ٢٦٧ ٠ يوجد فى الصالة الامامية إلى اليسار فى مواجهة الداخل مما يشير إلى امكانية وجود نموذج قام الفنان المصرى بمحاكاته فى كل المقابر تقريبا، كذلك يستنتج الدارس أن أصحاب هذه المقابر شغلوا مناصب عليا فى عصر الاسرة الثامنة عشرة وحملوا القابا دينية ودنيوية مثل الكاهن الثانى لآمون، الوزير، قائد القوات، رئيس الرماة، الكاتب الملكى، المشرف على الحريم الملكى، المشرف على غلال الوجه القبلى والبحرى.

وأخيرا فإن مفهوم الاقواس التسعة إنما يعنى انتصار الملك على أعدائه فى الداخل وبخاصة فى تحقيق الوحدة السياسية والاستقرار وكذلك انتصاره على اعداء مصر فى الخارج ونجاح الملوك فى حماية حدود مصر السياسية وهى مهمة مقدسة تأتى على رأس واجبات ملوك مصر فى العصور الفرعونية القديمة.

اللوحات

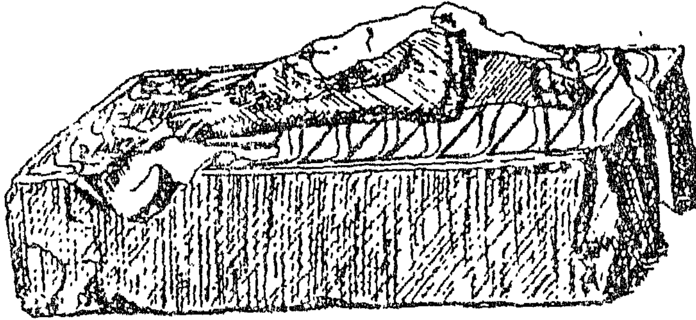


(شكل رقم ١) مقمعة الملك العقرب

Smith, W.S., A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom , London, 1946, PL. 30



(شكل رقم ٢ ا)
رسم تخيلي تمثال الملك « زوسر » نقلا عن :
Gunn, B., Inscriptions From the Step Pyramid Site, P. 184.



(شكل رقم ٢ ب)
قاعدة تمثال الملك « زوسر » وتحت أقدام الملك الأقواس التسعة . نقلا عن :
Ibid., P. 183.



(شكل رقم ٣) لوحة صخرية للملك «جر» (الاسرة الاولى) نقلا عن :

Drower , M., Nubia , P. 117

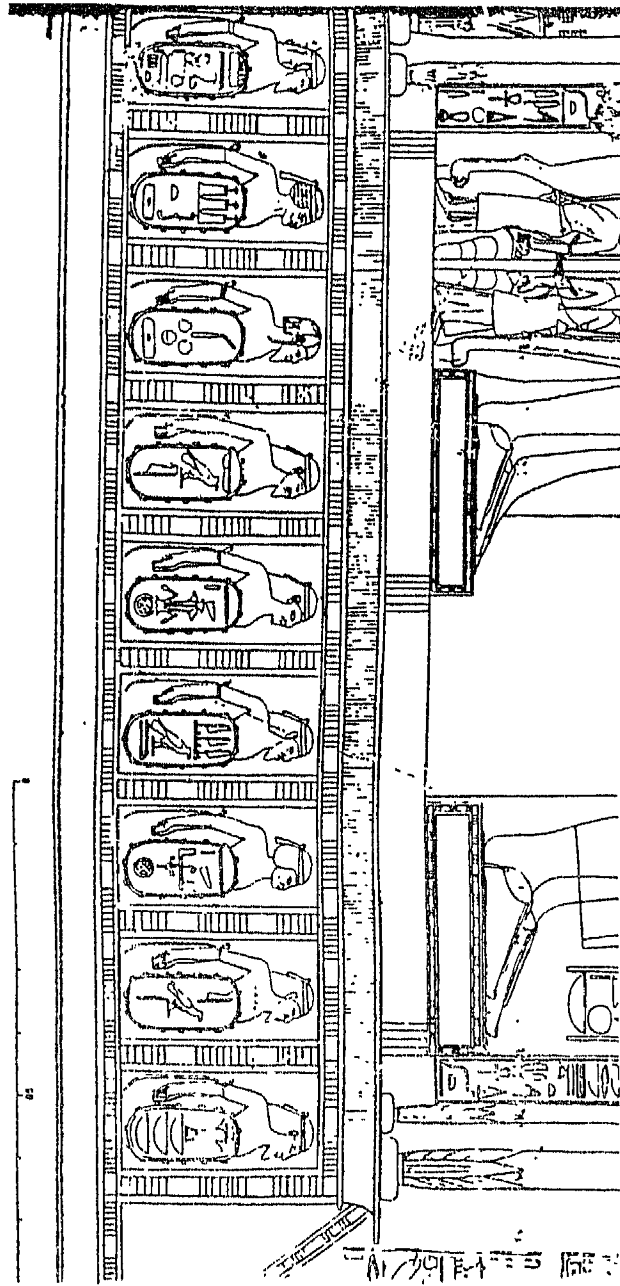


(شكل رقم ٤)

الملك «خع سخم » (الاسرة الثانية) والالهة نخبت قابضة بأحدى

قدميها على دائرة رسم بداخلها كلمة «بش»، نقلا عن :

Quibell, J. E., Hierakon Polis, P. I, PL. XXXVIII

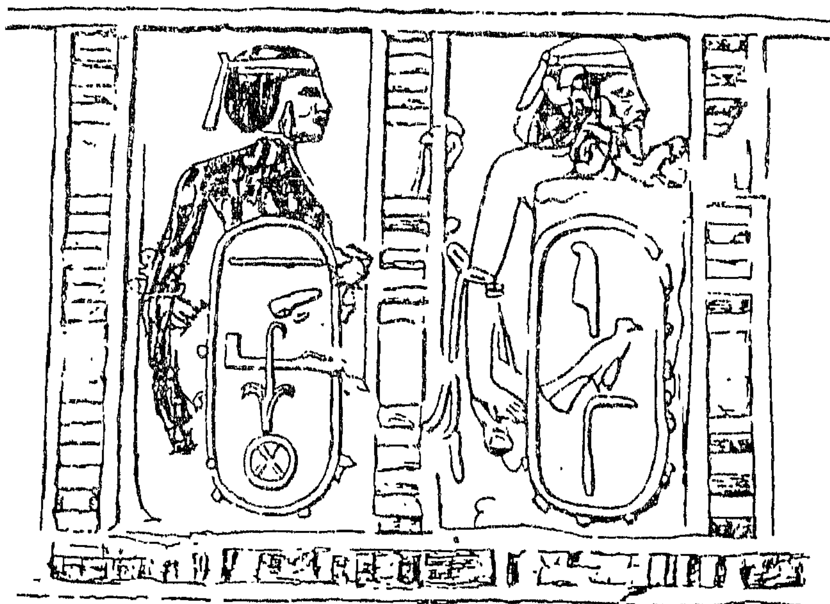


(شكل رقم ٥ أ)

الأقواس التسعة ، نقلا عن :

The Epigraphic Survey, The Tomb of Kheruef, O.I.P. 102, 1975,

Pl. 49.



(شكل رقم ٥ ب) جانب من الأقواس التسعة «النوبة العليا ومصر العليا »

نقلا عن :

Fakhry, A., "A Note on the Tomb of Kheruef at Thebes"., ASAE, 42, PL. XLII.

الفصل الرابع

عصر الرعامسة الأسرة التاسعة عشرة والعشرون

عصر الرعامسة

الأسرة التاسعة عشرة ١٣٠٨ - ١١٩٤ ق.م.

ببداية الأسرة التاسعة عشرة التى أسسها رمسيس الأول والذى ثبت أنه لم يكن من أصل ملكى، وإنما ارتقى من خلال سلك الجندية حتى أصبح وزيرا فى نهاية حكم حور محب، ولقد كان رجلا مسنا حين اعتلى العرش ولم يكن مقدرا له أن يستمتع بسلطان الملك طويلا، فمانيتون لا يجعل له سوى عام واحد وأربعة شهور كمدة حكم، وخلفة ابنه سيتى الأول.

سيتى الأول :

يرجع إليه الفضل فى استرداد الامبراطورية المصرية المفقودة، ويبدو أن سيتى نفسه كان يعد العدة لذلك، ولذلك لقب نفسه باللقب الحورى «وحم مسوت» أى عهد تجديد المواليد بما يعنى عهد النهضة، وهى تسمية كانت لها سابقتها فى بداية عصر الأسرة الثانية عشرة فى عهد «امنمحات الأول»، وفى مجال جهوده الخارجية فيبدو أن جزء كبير من المدن السورية والفلسطينية ظلت على ولائها لمصر، ربما بسبب اخلاص ولاتها أو نتيجة للجهود التى بذلها حور محب فى أعقاب فترة العمارنة، من هذه المدن بيسان، رحوب (إلى الجنوب من بيسان) وربما مجدو أيضا، وكان هذا عامل مساعد لقيامه بحملاته التى سجلها فى العديد من المناظر المصورة على الجدارين الشمالى والشرقى من قاعة الأعمدة لمعبد الكرنك، بالاضافة إلى عدد آخر من الاوحات وجدت فى الأراضى السورية.

بدأ «سيتى الأول» حملته من قلعة ثارو (تل أبو صيفة بالقرب من القنطرة شرق) وهى بداية الطريق الحربى من مصر إلى فلسطين، وفى الطريق من ثارو حتى رفح، قام بأعداد حصون صغيرة لحماية آبار المياه، ورغم أن الحصون كانت تحمل اسم «من ماعت رع سيتى الأول» فإن ذلك لا يعنى أنها

كانت جميعا من انشائه، لأنها كانت موجودة منذ أقدم العصور ولكنه قام بترميم بعضها، فضلا عن انشاء الآخر، ومن رفح تقدم إلى مدينة كنعانية وهي غزة الفلسطينية على بعد يسير من الحدود المصرية، وقبل أن يستولى عليها، أي فى الطريق اليها، اضطر إلى القيام بمذبحة كبيرة بين الثائرين من بدو «الشاسو» ومن غزة أرسل قواته لمساعدة بيسان ورحوب (الموالين لمصر) والذين تعرضوا لهجوم حلف مكون من حماة وبحر، حيث نجح سيتى فى اخضاعهم.

- وفي حملته الثانية سجل الملك أنه هجم على قادش وأرض أمور، ثم يتابع «سيتى الأول» سياسته باستعادة الامبراطورية بحملتين آخريين وهناك على تمثال للفرعون على هيئة أبو الهول فى معبده الجنازى بالقرنة، يشير إلى تقدمه فى أراضى أمور واستيلائه على مدن أولازا وسميرا، ويبدوا أن حملته الأخيرة قد أدت إلى أثارة الحيثيين الذين حشدوا قواتهم لمواجهة المد المصرى، وفعلا تمت المواجهة بين القوتين ومعلوماتنا ضئيلة بشأن تاريخ تلك الحملة. ومكان المواجهة، ويبدو أنها كانت شمال «قادش».

وطبقا لنصوص الكرنك فإن النصر كان من نصيب «سيتى الأول» وأنه نجح فى الحصول على كثير من الأسرى والغنائم، وأجبر الحيثيين على العودة إلى بلادهم وأن «بتسينا» ملك آمور قد اعترف بسلطان فرعون، ومع ذلك فيبدو أن النصر لم يكن مؤزرا بدليل أن ابنه فيما بعد اضطران يخوض معركته الشهيرة فى قادش، وأن تأثيره المادى لم يكن قويا على الحيثيين، فهناك ما يشير إلى أن المصريين رغم أنهم قد اكتسبوا سلطة مؤقته على سهل سورية الشمالى، فسرعان ما عاد النفوذ الحيثى اليه من جديد، ويبدو أن حدود امبراطورية «سيتى الأول» فى نهاية حروبه كانت تمتد شرقا من مصب نهر الليطانى وأن مدن صور ومجدو وربما بيسان، قد استمرت حاميات مصرية، وبرغم أنه لم يستطع أن يحرز تقدما بعيدا فى سورية الشمالية، فإنه نجح

على الأقل فى أن يفرض هيبة مصر فى كل فلسطين وفى سورية الجنوبية، وأن يهزم الجيش الحيثى، وأن يسيطر على اقليم أمور الموالى للحيثيين، وأن يعيد إلى الاذهان مجد مصر العسكرى، وربما حدثت هدنة أو معاهدة بين الفريقين أجلت الصراع إلى حين.

رعمسيس الثانى ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م.

ويخلف «رعمسيس الثانى »، والده بعد أن شاركه فى الحكم لفترة غير محددة ولكنها أكسبته خبرة فى شئون الدولة الداخلية والخارجية. وفى بداية حكمه واجهته الصعوبات اذ تعرضت الدلتا لهجوم من «الشردان» فيما يعرف بأول موجة من غزوات شعوب البحر ولكنه انتصر عليهم ويأسر عدد كبير منهم بالاضافة إلى الاسرى الليبيين والنوبيين وربما كان هذا اشارة أيضا إلى حملات له ضد الليبيين والنوبيين، غير أن اهتمام «رعمسيس الثانى» إنما كان موجها إلى مملكة «خيتا» فى آسيا. العدو الرئيسى أمام النفوذ المصرى، إذ سعت كل من القوتان أن تكون لها السيادة والتفوق وبالتالى صعب تجنب الصدام بين الامبراطوريتين المتنافستين.

كانت أول حملة لـ «رعمسيس» فى السنة الرابعة من حكمه، حيث وصل بقواته إلى منطقة تعرف باسم «نهر الكلب» (شمالى بيروت») الحد الفاصل بين نفوذه ونفوذ خصمه، وهناك أقام لوحة تذكارية لحملته هذه، ولا توجد لدينا تفاصيل عن معارك فى هذه الحملة ويبدو أنها كانت حملة استطلاعية لتأمين طرق مواصلاته.

وفى نفس الوقت كان الملك الحيثى «موتاللى» قد اتم استعداداته وجهز قواته وقوات المؤيدين له ومعهم رؤساؤهم، ولم يذكر ضمن هذه البلاد آمور التى كانت قد دخلت تحت الولاء لمصر، ولم يترك شئ فى أقاليمه من مؤن وخلافه يمكن أن تساعده ويقال أن الملك الحيثى لم يترك فضة فى بلاده لأنه

أعطاها إلى حلفائه لكى يضمن اشتراكهم فى الحرب إلى جانبه وقد عين اخاه «حاتوسيل» قائدا لأحد الفرق، ولم يترك أحد من رجال دولته البارزين فى الحرب دون تجنيد، وفى المقابل، لم تكن استعدادات «رعمسيس الثانى» أقل من استعدادات منافسة الحيثى ويبدو انه احتاج إلى نفقات كثيرة للقوات المصرية التى نظمت فى أربعة فيالق، آمون، ورع وبتاح وست من كل أنحاء مصر بعد أن فرض التجنيد الاجبارى على رعاياه فى فلسطين، والاسرى الشردان، ويتم تجميع الجيوش بقيادة الفرعون فى قلعة «ثارو» وتبدأ فى الاتجاه شمالا فى طريقها إلى قادش لتبدأ حملة السنة الخامسة من حكمه وتدور معركة من أهم معارك التاريخ المصرى سجلت تفاصيلها على كثير من البرديات بالاضافة إلى معابد رمسيس الثانى فى أبو سمبل والأقصر والكرنك وابيدوس والرامسيوم وغيرها.

وبرغم اهتمام كل جانب بتصوير انتصاره، فمن الواضح أن انتصار «رعمسيس الثانى» لم يكن حاسما على عدوه، وكان فى عودته إلى مصر فرصة لاستجماع قواه، ولكن المدن السورية وجدتها فرصة للعصيان والخروج من النفوذ المصرى ربما بتشجيع من خاتى- مما اضطر الفرعون إلى الخروج إليها فى العام السادس أو السابع من حكمه حيث أخضع عسقلان، وفى العام التالى فى السنة الثامنة وصل إلى شمال فلسطين حيث اخضع عددا من المدن الثائرة فى منطقة الجليل ذكرت اسماؤها فى الصرح الأول فى الرمسيوم وفى قاعة الأعمدة بالكرنك، وكذلك مدينة «دبور» فى امرو التى وصف اخضاعها فى نقوش الرمسيوم، وفيها يظهر أولاد «رعمسيس الثانى» مشتركين فى المعركة، ثم عاد فى العام العاشر من حكمه إلى منطقة «نهر الكلب» حيث أقام فيها لوحة تذكارية أخرى، ثم واصل تقدمه فى سوريا كلها حيث أوقع بالحيثيين هزيمة قاسية وأخضع «تونيب» وأقام تمثالا له فيها، ثم اجتاح قطنة، وفى الشمال الغربى اخضع «قود»، واستمر «رعمسيس الثانى»

يمارس نشاطه فى غربى آسيا، ولدينا من السنة الثامنة عشرة من حكمه لوحة فى بيسان تشير إلى نشاطه المستمر فى هذه المنطقة. بالاضافة إلى حملة أخرى فى عامه الحادى والعشرين مما يدل على أن هذا النشاط العسكرى الدائم قد أعاد لمصر هيبتها تماما، وفى النهاية تروى المصادر المصرية أن «خاتوسيل» قد طلب عقد معاهدة بين مصر وخاتى ربما بسبب، أن مملكة أشور قد أخذت فى الظهور على مسرح السياسة الدولية فى غربى آسيا وبدأت تفرض سلطانها على جيرانها وكذا الصراع فى البيت المالك الحيثى مما يجعل لزاما على دولة الحيثيين أن تكون فى وئام مع مصر، بالاضافة إلى خطر استمرار تدفق هجرات شعوب البحر الآرية على حوض البحر المتوسط وشواطئه.

ويصف رعمسيس الثانى مجيئ رسل الملك الحيثى إلى قصره فى عاصمته :

«العام الحادى والعشرون، اليوم الحادى والعشرين من الشهر الأول من فصل برت من حكم جلالته ملك مصر العليا والسفلى وسرماعت رع ستب إن رع، ابن الشمس، رمسيس محبوب آمون، له الحياة ويظل خالدا للأبد، محبوب آمون رع بتاح، سيد (ملك) حياة الأرضين ....

ثم يمضى النص فى سرد أنه فى هذا اليوم وبينما جلالته فى قصره بعاصمته الشمالية جاءه رسولى ملك خيتا معا فى رفقه مندوبين حاملين إلى الفرعون رسالة خيتا أو مشروع معاهدة بين البلدين ومعهما لوحة من الفضة من ملكهم «خاتوسيل».

ولقد قبل «رعمسيس الثانى» المعاهدة من حيث المبدأ، وكتب رجاله نصا آخر باللغة المصرية على لوح من الفضة أيضا، قد يكون متفقا مع النص المسمارى والذى حمله رسول خيتا أو معدلا عنه تعديلا يسيرا وبعد اتصالات أخرى وقع الملكان على المعاهدة حوالى عام ١٢٧٠ ق.م. وربما وقعت الملكتان عليها أيضا وبدأت صفحة جديدة فى العلاقات بين الدولتين .

ويتضح من شكل المعاهدة وطريقة صياغتها مراعاة أنها بين دولتين كل منهما تعتبر دولة عظمى بدون أفضلية لدولة علي حساب الأخرى وهى فيما يعتقد البعض قد عبرت عن سمو فى صياغة العلاقات الدولية بين الدول دون تعصب، ومع ذلك فهناك أشارة فى المعاهدة قد يفهم منها أنها امتياز لمصر على خاتى وهى خاصة برعايا مصر فى املاكها الآسيوية الذين يثورون أو حين التعرض لهجوم من الخارج فإن على ملك خاتى أن يقدم المساعدة بنفسه، وأن حدث ذلك فعلى «رعمسيس» أن يحضر مشاته وفرسانه وإن يرسل ردا لأمير خاتى، وتعهدت كل من الدولتين بعدم الاعتداء على حدود الأخرى، وأن تقوم كل من الدولتين بتقديم المساعدة إذا تعرضت أحداهما لاعتداء خارجى، وأشهدت المعاهدة فى خاتمتها الهة كلا من البلدين عليها وبذلك تمت مباركتها من الالهة فى البلدين وأصبحت مقدسة.

كان من نتائج هذه المعاهدة بين مصر وخاتى إن سادت العلاقات الودية بين الدولتين فلم نعد نسمع عن حروب بينهم، واستمرت الرسائل المعبرة عن هذه العلاقة ومنها الرسالة التى أرسلتها الملكة المصرية.

نفرتارى «نفرتارى محبوبة الالهة» موت» الزوجة الملكية العظمى للفرعون «رعمسيس الثانى»، التى أرسلت إلى ملكة خاتى:

«من نامبنتيرا (نفرتارى) ملكة مصر إلى بودى خيبا ملكة أرض خاتى، أختى، أقول لكى ان أختك فى سلام

وأرضى فى سلام، واليكى يا أختى السلام (ان تكون)
أرضك فى سلام، انظرى (لقد) سمعت أنكى يا أختى
قد كتبت إلى بخصوص السلام والعلاقات الطيبة،
وعلاقات الأخوة بين ملك مصر العظيم وأخيه ملك أرض
خيتا العظيم، (الالهة) شمش ويتشوب سوف
يرفعان رأسك، وسيمنح شمش السلام ليحل
الخير، وسيمنح الأخوة الطيبة للملك العظيم، ملك مصر
وللملك العظيم، ملك خيتا أخيه إلى الأبد»

كذلك فلقد تدعمت العلاقة بين الدولتين، مصر وخاتى، بذلك الزواج السياسى فى العام الرابع والثلاثين من حكم «رعمسيس الثانى» الذى تزوج بالابنة الكبرى للملك الحيثى، خاتوسيل الثالث «واعتزت المصادر المصرية بهذا لزواج ويذكر هذا الحدث الهام حيث صحب الملك الحيثى ابنته إلى مصر ليحضر زفافها إلى الفرعون، ورويت القصة فى نصوص كثيرة فى أبو سمبل، والكرنك، واليفانتين وفى أحدى لوحات الزواج التى وجدت فى معبد «ابو سمبل» فإن النصوص المصرية إنما تعد هذا الزواج وكأنه خضوع للحيثيين لمصر حيث تصف اللوحة أن الأمراء الكبار من جميع البلاد قد سمعوا بقدرة جلالته الخارقة، فتملكهم الرعب، فقد موا له الجزية كل عام بما فى ذلك أطفالهم، ما عدا أرض خاتى التى لم تفعل ما فعلته هذه البلاد، فأقسم جلالته باسم رع الذى جعله حاكم الأرضين بأنه سوف يحصل على أرض خاتى وسوف تجثو تحت قدميه إلى الأبد ومن ثم فقد جهز جلالته مشاته وفرسانه ودفع بهم فى أرض خاتى فسلبها وجعل اسمه في كل مكان ثم تلت ذلك سنوات عجاف قاست خاتى بسببها الكثير، وأخيرا قرر أميرها أن يخضع

خضوعا تاما، بعد أن ظل يستعطف جلالته عاما بعد عام دون جدوى يعندئذ قال أمير خاتى لقواده ومستشاريه ما هذا لقد ضربت بلادنا وآلهنا «ست» غاضب عليناو ولا توجد مياه لدينا، فلنحرم أنفسنا من كل ما نملكه وفى مقدمة ذلك ابنته الكبرى حتى يعطيهم فرعون السلام، ثم يستطرد النص :

« ... حينئذ قرر أن يحضر هو ومعه ابنته الكبرى مع الجزية الذهب والفضة والخامات الثمينة الكثيرة والخيل التى لا حصر لها والآلاف من الماشية والماعز والغنم، وبلا عدد لكى يحموا أرضهم (بلادهم) (حينئذ جاء احدهم) ليخبر جلالته قائلا : أنظر الأمير العظم الحاتى، ابنته الكبرى قد احضرت، وتحمل الحاشية معها كل شئ وهم (يغطوا) الوادى ابنة رئيسى خاتى، الآن بعد (ايام) وصلوا (إلى مدينة) رمسيس مرى آمون واحتفلت بهذا الحدث العظيم فى العام الرابع والثلاثون الشهر الثالث من الفصل الثانى (رعمسيس الثانى) حينئذ قدمت إليه ابنة الأمير العظيم لخيتا، التى كانت قد سارت إلى مصر لتكون فى حضرة جلالته مع حاشيتها الكبيرة تتبعها بلا حدود. حينئذ جلالته رأى وجهها الجميل (مثل) الالهة، لقد (كان وقعها) طيب فى قلب جلالته وأحبها أكثر من أى شئ كحظ طيب من الاله بتاح حينئذ جلالته امر أن يكون اسمها الزوجة

الملكيـــة «مـــعـــات نفـــرو رع» ابنة الأمـــيـــر العظيم

لخيتا (حاتى) ......»

كما مثلت الملكة الحيثية على أحد التماثيل فى عاصمة الملك الجديد بتانيس ولقد أخذت الأسم المصرى : ماعت نفرو رع

ولقد لقبت الملكة الحيثية بلقب الزوجة الملكية، الزوجة العظمى ووضع اسمها داخل خرطوش وتبع ذلك دائما -- عبارة -- ابنة الحاكم العظيم لخيتا»

وكما يرى الباحث فإن هذا يعنى أنها حصلت على مكانة رفيعة بالنسبة لوضعها كزوجة أجنبية وربما كان هذا مرجعه مكانة أبيها ودولته بين دول الشرق القديم. أيضا يلاحظ أنها لم تأخذ أبدا بين ألقابها لقب :

«سيدة الأرضين»

يمعنى سيدة الأرضين، ربما بسبب أنها لم تكن مصرية وحتى لا يمكنها أن تنقل حق الارث إلى أولادها.

أيضا شهد عهد «رعمسيس الثانى» بعد ذلك زواجه من الابنة الثانية للملك الحيثي «حاتوسيل» حيث عثر بترى "Petrie, F." « على لوحة من الجرانيت الأسود بمبعد «قفط» ودل الجزء الباقى منها على أن «رعمسيس الثانى» قد كتب نقوشه بعد أن محا نقوش تخص الدولة الوسطى وهى تشير إلى زيارة قام بها بعض الأمراء الآسيويين لمصر يحملون هدايا إلى الفرعون والنص يتفق فى مضمونه مع نص لوحات الزواج السابقة حيث تمت الزيجة الأولى وخاصة فى عبارقبنته الأخرى سطر ١٠، ١١ مما يعنى أن أميرة أخرى قد أحضرت لتكون زوجة «لرعمسيس الثانى» والنص يبدأ كالتالى مع مراعاة أن النصف الأول من اللوحة قد فقد :

« .... [رؤســـاء] كل البـــلاد حـــاملين جـــزيتـــهم

[-] كـثـيـر من الذهب، كـثـيـر من الفـضـة،
والأحـجـار الكريمة من كل نوع [-] كـثـيـر جـدا
من أسـرى بلاد كـشكش، كـثـيـرا جـدا من أسـرى
[-] .... كـتـابات الفـرعـون «رعـمـسـيس»
[-] كـثـيـر جـدا من قطعـان الماعـز، كـثـيـر من
الماشـيـة الصـغـيـرة أمـام ابنتـه الثـانيـة، (   )
(رعمسيس الثانى) معطى الحياة لمصر للمرة الثانية ...»

ولقد عثر على شقفة أخرى كبيرة بعد ذلك من نفس اللوحة أرسلت للمتحف المصرى بالقاهرة، حتى قام كل من الاستاذ جاب الله وكتشن «بنشر اللوحة كاملة التى تبدأ بذكر صفات «رعمسيس الثانى» حورس الثور القوى، محبوب ماعت، ملك مصر العليا والسفلى «وسرماعات رع» ستب أن رع ، ابن الشمس، رعمسيس محبوب آمون له الحياة، ثم تتحدث عن حضور رؤساء البلاد الاجنبية حاملين الجزية إلى رعمسيس الثانى ومن بينهم رئيس حاتى الذى أحضر الغنائم الثمينة من أرض حاتى، الغنائم الثمينة من كشكش، الغنائم الثمينة من ارزاوا Arzawa، ثم الغنائم الثمينة من قد Qode† الكثير من الخيل، الكثير من قطعان الماشية، الكثير من قطعان الماعز، كل هذا أمام ابنته الأخرى، التى احضرها لـ «رعمسيس الثانى» مانح الحياة لمصر للمرة الثانية، ثم يمضى النص فى توضيح أنهم لم يحضروا بالقوة وإنما قد حضروا بسبب آلهة مصر وآلهة البلاد الأجنبية لكى يحضروا (الجزية)، وهم الذين حملوها حتى حدود بلاد «رعمسيس الثانى» ولم يذهب أمير أوقوات مصحوبة بعجلات حربية لاحضارهم ولكن الاله «بتاح» والد الالهة الذى وضع كل الاراضى وكل البلاد الاجنبية تحت قدمى الاله الطيب».

ويبدو أن لوحة «قفط» تشير إلى زواج الفرعون من الأميرة الحيثية وتدل سطورها الأخيرة على استمرار العلاقات الودية بين الدولتين مع شئ من المبالغة فى تصوير ذلك الزواج على أنه نوع من الخضوع الحيثى لمصر كما حدث تماما فى لوحات الزواج الخاصة بالزيجة الأولى، وطبيعى أن الزيجة الأولى قد أخذت قدر أكبر من الاهتمام وخاصة فيما يتعلق بتصوير هذا الحدث حيث سجل الزواج الأول فيما لا يقل عن ثلاث لوحات زواج، أيضا فيما يتعلق بالزواج الثانى فيبدو أنه قد نقش فى أكثر من نص بدليل العثور على بقايا لوحة أخرى بالقرب من الصرح الأول بمعبد «سيتى الأول» بأبيدوس بمقارنتها بلوحة قفط يتضح أنها لنفس الحدث، كذلك يمكن التدليل على أن الجزية أو المهر المقدم من حاتى سواء فى الزيجة الأولى أو الثانية إنما قد كان كبيرا جدا وهو ما يوضحه النص.

وبينما يرى البعض أن هذا الزواج السياسى إنما يعكس العلاقات الطيبة بين الدولتين والتى تدعمت بعد توقيع المعاهدة فى العام الحادى والعشرين من حكم «رعمسيس الثانى» وأن الزواج الأول حدث بعدها بثلاثة عشرة عاما ثم تلاه الزواج الثانى «لرعمسيس» من ابنة الملك الحيثى وهو زواج شائع فى الشرق الأدنى القديم خلال تلك الفترة وما قبلها»

بينما يرى البعض أن هذا الزواج السياسى بين رعمسيس الثانى وبنات الملك الحيثى إنما يوحى بقوة أن القوى الحيثية بدأت فعلا فى التضاؤل، بالاضافة إلى تعاظم قوة آشور التى بدأت حينذاك عصرها الوسيط وبدأت تتطلع إلى نصيب من السيادة بفضل نمو اقتصادياتها وقوتها الحربية، وكفاءة شخصيات ملوكها العضام فى تلك الفترة مثل الملك «ادادنيرارى الأول (١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق.م.) وابنة شالمانصر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م.) وخليفته الملك توكولتى - نينورتا الأول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م.)، وهو ما يميل إليه الباحث خاصة إن هذا الزواج حدث من جانب واحد ولم يحدث إن تزوجت أميرة

مصرية إلى أى من أمراء الحيثيين وهو ما يعكس قوة مصر فى تلك الفترة التى سعى إليها الجميع من جديد يطلبون صداقتها والارتباط معها، ولذا وجدت عدة زيجات سياسية أخرى ضمن حريم «رعمسيس الثانى» حيث تزوج من احدى الاميرات البابليات يعتقد أنها ابنة خادشمان انليل الثاني وأيضا أميرة من سوريا الشمالية ابنة ملك يسمى زلابى Zulapi ، وربما كان دافع بابل من هذه الزيجة ضمان حليف قوى، فى مواجهة قوة آشور المتزايدة، بينما كان دافع الأمير السورى دافع مادى.

الملك مرنبتاح :

توفى رمسيس الثانى بعد حكم طويل بلغ نحواً من ٦٧ عاماً، وشهرة لم يحظ بمثلها أى فرعون آخر، وخلفه مرنبتاح الذى كان فى حوالى الستين من عمره حينما اعتلى العرش بدون أى صعوبات على ما يبدو، إذ تم اختياره بمعرفة ابيه، وبذل جهودا مشكورة فى سبيل المحافظة على الامبراطورية، ففى السنة الثالثة من حكمة هبت ثورة عاتية بمستعمرات مصر الأسيوية، واشترك فى هذه الثورة قبائل بنى إسرائيل وأهالى غربى سورية وفلسطين التى كانت خاضعة لمصر، ولقد نجح «مرنبتاح» فى اخماد الثورة ويبدو أنه قد اشترك بنفسه فى اقماع الثورة، وسجل انتصاره على لوحة ورد بها اسم اسرائيل لأول مرة، مما دعا إلى الاعتقاد بأنه هو الفرعون المعاصر لموسى عليه السلام، ولكن لا يمكن تأييد هذا الاستنتاج أو غيره من الفروض التى رأت فى بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة أمثال : أحمس الأول، امنحوتب الثانى، تحوتمس الثالث وغيرهم من الشخصيات التى ارتبطت بفرعون الخروج، وكل مانعلمه الآن هو مجرد استنتاجات وافتراضات، والله وحده علام الغيوب.

كذلك نجح «مرنبتاح» فى العام الخامس من حكمه من حماية الحدود المصرية فى غربى الدلتا من الهجوم الخطير الذى شنه عليها الليبيون (التحنو) وحلفاؤهم من الشعوب الهندو أوربية التى تجمعت على الساحل الليبيى ثم اتجهت مع القبائل الليبية فى مسيرة نحو الحدود المصرية غرب الدلتا ، وانتهت تلك المواجهة بانتصار الجيوش المصرية، وقتل عدد كبير من القوات الغازية، وأسر عدد كبير منهم، وبذلك تم وقف كل هجوم من تلك الناحية على مصر فى عهد «مرنبتاح» على الأقل.

ولم يطل حكم مرنبتاح أكثر من عشر سنوات مات بعدها وترك العرش ومصر فى فترة مضطربة بسبب النزاع العائلى الذى ظهر فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة.

الأسرة العشرون

تاريخ بداية هذه الأسرة غير محدد بسبب غموض الموقف في نهاية الأسرة التاسعة عشرة، حيث شهدت البلاد حالة اعياء وفوضى شديدة بعد عهد «مرنبتاح»، واستغل «امنموسى» هذا الوضع ونادى بحقه في العرش مطلقا على نفسه «آمون موسى»، الذى حكم لمدة قصيرة وتميز عهده بالاضطراب وربما يكون قد توفى أو خلع في السنة الخامسة من حكمه لصالح «سيتى الثانى» (ستيى مرنبتاح) الذى توفى فى العام السادس من حكمه، ثم خلفه الفرعون رسميس سبتاح الذى غير اسمه فى العام الثالث من حكمه إلى «مرنبتاح سبتاح» ربما ليكون ارتباطه أكثر قرب بالسلالة الملكية القديمة.

وبوفاة «سيبتاح» استطاعت الملكية «تاوسرت» أن تجلس على العرش الفرعونى لتكون رابع ملكه فى تاريخ مصر الطويل تحمل الالقاب الكاملة للملك الحاكم.

أما عن نهاية الملكة «تاوسرت» فلا زالت الأدلة غير واضحة، ويبدو أن حالة من الاضطرابات والفوضى والتنازع اعقبت «تاوسرت»، مما أدى إلى فوضى شاملة وصفتها بردية «هاريس» الموجودة فى المتحف البريطانى، والتى استنتج منها المؤرخين أن أجنبى «أرسو السورى» قد حكم البلاد فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة.

حتى استطاع الفرعون «ست نخت» حوالى ١٩٧ ق.م. أن يعتلى العرش مؤسسا للأسرة العشرين، متوليا عرش مصر لفترة قصيرة، اختلف عليها العلماء، فمنهم من يرى أنه قد تولى لفترة قصيرة لا تزيد عن بضع شهور، بينما يرى «برستد» عام واحد فقط، بينما يرى «جاردنر» أنها كانت أقل من عامين، بينما هناك عدد من العلماء يرى أنه استمر فى الحكم لمدة ثلاث سنوات، وقبل وفاته عين ابنه رمسيس الثالث شريكا له فى الحكم.

رمسيس الثالث (١١٨٦ - ١١٥٤ ق.م.)

حكم حوالى ٣٢ عاما، واعتبره «مانيتون» المؤسس الحقيقى للأسرة العشرين، وهو آخر الفراعنة العظام أمثال تحوتمس الثالث ورمسيس الثانى فى عصر الدولة الحديثة، الأربع سنوات الأولى من حكمه غير واضحة وتنقصنا المعلومات، ولكن ابتداء من العام الخامس وحتى العام الحادى عشر كانت هناك ثلاثة من الحروب الرئيسية، مصدرنا عنها الأول مناظر ونقوش معبده الشهير فى غرب طيبة (معبد مدينة هابو) الذى قام ببنائه فى السنة الثانية عشرة من حكمه.

حيث واجه فى العام الخامس من حكمه خطر جيش من الليبين وحلفائهم الذين سبق وهزمهم مرنبتاح من قبل، وهدفهم الحقيقى الإستيلاء على الأراضى الغنية فى الدلتا والطمع فى خيرات مصر، لكن رمسيس الثالث نجح فى ايقاع الهزيمة بهم.

وفى العام الثامن من حكمه واجهت مصر خطر شديد داهم آت عن طريق سورية، من تلك العناصر المسماة شعوب البحر، التى تتحدث عنهم النقوش المصرية « ... (دبروا مكيدة فى جزرهم، لم تستطيع البلاد (الآخرى) التصدى لهم، قاموا بغزو بلاد خاتى وقرقميش وأرازوا وبعض البلاد الأخرى ....»

وتكونت شعوب البحر من عناصر عدة منها : البلست (الفلسطينيون)، والثيكل (صقلية)، والشكلش، دنان ، المشواش وغيرهم، وقد اتت تلك العناصر من جزرهم فى وسط المتوسط، ولقد نجحوا فى زحفهم فى تحطيم الدولة الحيثية، بعد ذلك وصلوا إلى بلاد آمور (سورية) وضربوا خيامهم ولبثوا هناك فترة ومعهم نسائهم واطفالهم راغبين فى الاستقرار فى مصر وسورية، وكان الهجوم على مصر بطريق البر والبحر، لكن رمسيس الثالث نجح فى كسر

شوكتهم وهزيمتهم حيث قتل منهم أعداد كبيرة بلغت اثنى عشرة ألفا وخمسمائة نسمة، واسر عدد كبير واستولى علي كثير من السفن والمؤن ثم سجل الملك هذا الانتصار الكبير على جدران معبده في مدينة هابو وفى العام الحادى عشر من حكم رمسيس الثالث ظهرت مشاكل الليبيين الذين اتحدوا بزعامة اميرهم «مششر»، ابن ملك المشواشين» كبر، وكان هدفهم الأنتقام لما حل بهم من هزيمة من قبل - فى العام الخامس من حكم رمسيس الثالث - والهجرة والاستيطان بالدلتا.

وتصدى لهم رمسيس الثالث» مع جيشه، وبمساعدة الحاميات والحصون المصرية الامامية، انزل بهم الهزيمة وتعقبهم بجيوشه حتى تأكد من خروجهم تماما من أرض مصر، وانتهت هذه المعركة بقتل «مششر» وأسر والده، وقتل وأسر عدد كبير من هؤلاء المتطفلين مثيرى الشغب، ولم يعد هناك بعد ذلك مجال للخوف من جهة الغرب.

هذه الانتصارات جعلت من رمسيس الثالث فى نظر معظم المؤرخين آخر فراعنة الدولة الحديثة العظام، وجعلت مصر بعد العام الحادى عشر من حكمه تنعم بفترة من السلام والاستقرار تحدثت عنها بردية هاريس.

غير أن هناك اشارات فى السنين الأخيرة من حكم هذا الفرعون العظيم يبدو أنها قد هددت حكمه ما ربما كان مرجعها أسباب اقتصادية، ذلك أن النصف الثانى من عهده إنما كان اقل رخاء من النصف الأول بسبب الحروب المتكررة ومشاريع البناء الكثيرة ذلك أن العالم كان يشرف على عصر اقتصادى جديد بسبب انتهاء عصر البرونز وبدأ عصر استخدام الحديد الذى لم تكن مصر تملك مصادره، ومن ثم كان عليها أن تشتريه من الخارج الأمر الذى أرهق ماليات البلاد بدرجة شديدة جداً، بالاضافة إلى المنح الهائلة والهدايا التى ذكرتها بردية هاريس والتى اغدقها الفرعون على جميع المعابد المختلفة والتى خص الاله آمون ومعابده فيها نصيب هائل بحكم كونه الاله

الرسمى للدولة، مما كان له الأثر السيئ على اقتصاد مصر، وربما تسببت الازمة الاقتصادية وسوء الادارة، وكذا المنازعات السياسية التى بدأت تظهر فى اخريات عهد هذا الفرعون بقيام عمال الجبانة الملكية فى دير المدينة بالقيام بأول اضراب وصلتنا اخباره فى التاريخ من خلال بردية (موجود الآن فى متحف برلين) وكذلك شقفه من دير المدينة : ذلك أنه فى العام ٢٩ من حكم رمسيس الثالث اضطر العمال بعد أن مضى شهر أن دون أن ترفع لهم مخصصاتهم التموينية أن يتجمهروا خلف معبد «تحوتمس الثالث» الجنازى وأخذوا فى الصباح مطالبين بمخصصاتهم ورغم أن البعض قد عملوا على تهدئتهم فإن العمال قد استمروا فى اضرابهم حتى نهاية اليوم الثانى، ويذكر لهم عدم خروجهم على النظام برغم الظروف الصعبة التى يواجهونها هم وعائلاتهم، واضطر الوزير «تو» أن يصرف لهم نصف المطلوب، ولكن العمال اصروا على أن تصرف لهم كذلك مخصصات كاملة وفعلا تم الصرف فى اليوم الثامن للاضراب.

وتكررت مسألة عدم صرف المخصصات للعمال فى الشهور التالية ويتكرر اضرابهم، وفى إحدى هذه الاضرابات يحضر اليهم عمدة طيبة الغربية ويعمل على تهدئتهم ويضطر اخر الامر أن يصرف لهم خمسين مكيالاً من الحبوب.

وهناك مثال أخر على الاضطراب السياسى فى تلك الفترة قيام أحد الوزراء بثورة فى الدلتا ضد الفرعون، كان مركزها «اتريب (بنها الحالية)، لكن رمسيس الثالث نجح فى القضاء عليها.

على أن هناك مثال سياسى أخر دل على الاضطراب السائد، حيث قامت إحدى زوجات رمسيس الثالث بمؤامرة هددت حياة الملك والمعروفة «بمؤامرة الحريم» حيث لجأت الزوجة الثانوية «تى» لتعيين ابنها بدلا من الوريث صاحب الحق الشرعى.

وربما كان هناك سبب دينى آخر للمؤامرة خلافا لتولى «بنتاؤر» للعرش، فقد كان توقيت المؤامرة مع وصول سفينة آمون إلى البر الغربى فى عيد الوادى، حيث كان الفرعون فى هذا اليوم يمتع نفسه مع حريمه الخاص بدلا من الاشتراك فى الاحتفالات الدينية، فإن صح ذلك فربما كان ذلك العمل من جانب «رعمسيس الثالث» يعنى أن هناك محاولة للتقليل من شأن آمون، مما يفسر اغتياله بسبب الغضب للاساءة إلى الاله آمون، ورغم أنه لم يثبت اشتراك احد من كهان آمون، فلقد كان لدى كهانه آمون استياء من حكام الدلتا، ومن ثم فربما كان كهانه آمون قد اشتركوا فى المؤامرة روحيا وماديا، أو كان ينتظر منهم تأييد المؤامرة لو قدر لها النجاح وخاصة أن توقيت المؤامرة يتفق مع الوقت الذى يجتمع فيه أنصار آمون الذين يمكن أن يكونوا سندا قويا فى الهجوم على «رعمسيس الثالث»، وهناك ما يشير إلى توتر فى العلاقات بين البيت المالك وكهنة آمون بدليل أن كاهن آمون الاول لم يشهد نهاية حكم «رعمسيس الثالث» (ربما وفاته)، بل لم يشهد ذلك أحد من أصغر الرتب الكهنوتية، كما أن الهبات الكثيرة التى خصصت لآمون فى بردية «هاريس» وصلاة الملك لا تشير إلى تناسق كبير بينهما.

كما أن توقيت تنفيذ المؤامرة قد أختير بدقة ليتناسب مع وصول سفينة الاله إلى طيبة فى منتصف الشهر الثانى من فصل الصيف حيث تبدأ الاحتفالات بعيد الوادى مما يتأكد معه حالة من الزحام الطبيعى تجعل المنوطين بحراسة البوابات أقل قدرة على مواجهة أى اضطراب مقصود، بل أن التوقيت قد اعتمد على تدبير مسبق من المتآمرين الذين اتفقوا مع الشخص المنوط به تسليم مخصصات العمال ويدعى (با أن نشن الغرض من ذلك أحد أمرين أولهما كسب تأييد هؤلاء العمال كجزء من الخطة، وثانيهما، إذا تعذر ذلك أن يجذب انتباههم لمسألة مخصصاتهم بعيد عن المؤامرة، ولعل هذا الموقف يدل على دلالة واضحة على مدى أحكام التدبير من ناحية ومن

ناحية أخرى على كبر حجم المؤامرة والمشاركين فيها، ويبدو أن المتآمرين لكى يتأكدوا من انضمام العمال إلى المؤامرة، فإنهم أرسلوا شخصا آخر يدعى «خنتى» وقد اعتبر ذلك كمكافأة للعمال على تصرفاتهم اثناء الساعات الحرجة.

وخطط المتآمرون بعد دراسة للقصر الملكى البوابة التى سيدخلون منها وهو باب جانبى يفتح على جناح الحريم روعى فيه أن يكون بعيدا بقدر الامكان عن أعين الحراس، حتى السحر كان له نصيب فى تخطيط المتآمرين وهو ما يشير إليه بردية «تى» حينما أخذ أحد المتآمرين ويدعى «بن حاوي بن» الذين كان يشغل وظيفة مشرف على الماشية حيث أعطى كتابة تمنحه القوة والنفوذ، لم تكن تعطى إلا للفرعون نفسه، ويبدو أن المتآمرين قد نجحوا فى استمالة أحد الرجال المهمين ذو علم كبير بالسحر أمكن ضمه إلى صفوفهم وطلب منه أن يحضر كتاب خاص بذلك من مكتبة الملك وبذلك استخد م السحر كتعويذة للمتآمرين، ومن ناحية أخرى استخدم لاضعاف المناصرين للفرعون من رعاياه المخلصين وتشل حركتهم ازاء المؤامرة، وكذلك لجأوا إلى عمل تماثيل من الشمع صنعوها على هيئة الحراس وتلوا عليها سحرهم، آملين آن تبعث فى أصحابها الحقيقيين النوم واضعاف عزيمتهم، ويبدوا أن سيدات القصر نجحن فى اكتساب قادة الحراس حيث انتقلت الرسائل بحرية بين القصر وخارجه بين المتآمرين وحرضت الرسائل الشعب على عصيان سيدهم حيث ثبت، أن سيدة فى القصر كانت أخت لقائد القوات المصرية فى النوبة قد أرسلت إليه لكى يستخدم قواته ضد الملك.

وبرغم كل هذه التدابير من اختيار مناسب لخطة المؤامرة واستمالة العمال بدفع أجورهم، واستخدام السحر والدور الذى لعبته سيدات القصر أثناء تلك المؤامرة ومدى تأثيرهن على المحيطين بهن، ووجود قوات تحت امرة أحد المتآمرين فإن المؤامرة قد فشلت وانكشف أمرها، ويصدر الفرعون أمره

بتكوين المحكمة من موظفين مختلفين من موظفى القصر، ولكنهم جميعا محل ثقته، وكانت هيئة المحكمة تضم بين أعضائها : المشرف على الخزانة (منتومتاوى)، والمشرف على الخزانة (نفروى) وحامل العلم (كارا)، والساقى (بى ايرش)، والساقى (حجوت رخ نفر) ومساعد الملك (بن رنوت) والكاتب (مساى)، وكاتب السجلات (بى رع ما جاب) وحامل علم المشاة (حورى)

وهذه المحكمة قسمت إلى ثلاث مجموعات، ويلاحظ أن ثلاثة من الموظفين الكبار تحولوا إلى متهمين فى الجزء الرابع والخامس من المحاكمة لانهم تقابلوا مع بعض المتهمين وانهمكوا معهم فى الشراب الامر الذى لا يتفق ومهام الامانة المكلفين بالتحقيق فيها، وتم التحقيق معهم وتوقعت عليهم عقوبة جدع الأنف وصلم أذنيهم لانهم أهملوا التعليمات التى تلقوها. وتصدر تعليمات الفرعون بإن يبدأوا فى مهمتهم الموكل إليهم تنفيذها حيث أمرهم :

« ..... اذهبوا إليهم وأفحصوهم، والمذنب يموت بما اقترف من ذنب، وإن كنت لا أعرف من هم .....»

وهذا يعنى أن الفرعون لم يكن يعرف بعد أبعاد المؤامرة ضد عرشه ومن المذنب الذى سينزل به العقاب، كما أنه يعلن صراحة أن مسئولية عقاب هؤلاء المتآمرين تقع على رؤوس القضاة.

ويستمر الملك في تعليماته قائلا :

« ... احذروا من أن توقع العقوبة على أحد بغير وجه حق من موظف لا يرأسه، هكذا قلت لهم (للقضاه) وكررت القول مرارا، واما ما تم فانهم هم الذين قاموا به ليقع عبء ما قاموا به على رؤوسهم، فإننى معفى ومحمى إلى

أبد الأبدين بوصفى واحد من الملوك العدول فى حضرة
آمون رع ملك الآلهة، وفى حضرة اوزير حاكم الأبدية».

ويرى البعض أن هذه التعليمات تعكس وفاة الملك والاصرار على القاء مسئولية توقيع العقاب العادل على عاتق هيئة المحكمة بدلا من ترك الانتقام لابنه وخليفته على العرش، كما أنها تدل على تدهور مكانة الملك وسلطاته، فى نفس الوقت الذى تعكس فيه تقدير هذا الفرعون ودولته لقيمة العدالة وخاصة أن المقصود بتلك المؤامرة هو شخص الفرعون نفسه.

ويجئ بالاشخاص المتهمون بعد أن أقروا بجريمتهم إلى مكان المحاكمة فى حضرة المحكمين ليتم مناقشتهم وفحص جرائمهم ويلاحظ أن كل الاسماء قد جردت من ألقابها واستبدلت الاسماء الحقيقية بأسماء أخرى، ووضعت حيثيات اتهام كل مذنب والجرم الذى ارتكبته ومن أمثلة ذلك العدو الاكبر «مسد سورع» الساقى أحضر بسبب اتهامه بالتآمر مع «باى - باك - كامن» (باى يكامون) الذى كان كبيرا للأمناء ووجهت إليه تهمة الاتصال بالملكة «تى» والتآمر معها وأيضا مع الحريم لجمع الأعداء من أجل عصيان الملك، وقد سبق أمام اعضاء هيئة المحكمة ووجد أنه مذنب، وهناك ايضا موظفان آخران من الحريم الملكى انطبق عليهم نفس الوضع.

كذلك العدو الأكبر «با - تى - أم دى - آمون» الذى كان مبعوث الحريم فى الرتنو، أحضر إلى قاعة المحكمة بسبب استماعه إلى الكلمات التى تآمر بها الرجال مع الحريم ولم يخبر أحد بما سمع، وقد أحضر إلى المحكمة ومعه تسعة من موظفى القصر أدينوا جميعا بسبب معرفتهم بالمؤامرة وعدم الاخبار عنها، ونفس الشئ بالنسبة لزوجات رجال بوابات قصر الحريم الذين انضموا إلى الرجال المشتركين فى المؤامرة وعددهم ستة سيدات، وكذلك العدو الأكبر «با ايرى» بسبب اتصاله مع «بن حاوى» بن المتآمر، وغيرهم قائد القوات المصرية فى النوبة التى كتبت إليه أخته قائلة :

«أجمع الشعب، كون الأعداء (للملك) ثم أعلن

العصيان ضد الملك ...»

ثم (موساى) كاتب بيت الحياة أى الأرشيف حيث يحتفظ بالكتابات السحرية السرية، «بارع كمنوف» الذى كان رئيسا للكهنة المختصين بأمور السحر، ثم رئيس كهنة سخمت هذا بالاضافة إلى الشخصيتين الرئيسيتين بأمور السحر، ثم رئيس كهنة سخمت هذا بالاضافة إلى الشخصيتين الرئيسيتين فى المؤامرة - «نبتاؤور» - الاسم لا يمثل اسمه الحقيقى - احضر بسبب تآمره مع بى «امه» التى اتفقت مع الحريم للقيام بثورة ضد الملك ومصيره كان السماح له بالانتحار.

أما عن الشخصية الرئيسية فى المؤامرة الملكة «تى» فلقد أغفلت البردية العقاب الذى حل بها أو مثولها امام هيئة المحكمة، وربما شكلت لها محاكمة خاصة مثلما كان الحال فى نهاية الاسرة السادسة مع الملكة «ايمتس».

أما عن مصير الفرعون «رعمسيس الثالث» من جراء تلك المؤامرة، فلقد اعتقد البعض أن المؤامرة قد نجحت فى القضاء عليه وأن المحاكمة ونتيجتها قد تمت بمعرفة ابنه وخليفته بعد وفاته بينما يرى البعض أنه قد عاش بعد المؤامرة وهو الذى أمر باقامة المحاكمة وتوجيه قضائه للتعامل معها تبعا للعدالة.

ويذهب «ويلسون» إلى أن الملك قد مات من جراء تلك المؤامرة ويؤكد رأيه بأن نصوص محاكمة المتهمين تدل فى فقرات كثيرة على ذلك، حيث أن الفرعون يرفض أن يكون مسئولا فى حضرة الآلهة عن حياة هؤلاء الجناة، ويرى «برستد» أن الفرعون قد أصيب اصابة خطيرة ولكنه عاش فترة قصيرة شكلت اثناءها المحاكمة وأن المؤامرة عجلت بنهاية الملك المسن الذى وصف «بالاله العظيم» وهو لقب أطلقه الفراعنة على الملوك المتوفين، أما «جودكة»

فيرى أن المؤامرة قد وصلت إلى هدفها بشأن اغتيال «رعمسيس الثالث» ولكنها فشلت فى تنصيب «بنتاور» على العرش ربما بسبب نجاح خليفته (رمسيس الرابع) فى القضاء على المؤامرة وهى ما زالت فى البداية، وقد قام «دى بيك» باعادة فحص بردية تورين، وانتهى إلى نتيجة أن «رعمسيس الثالث» قد توفى نتيجة لهذه المؤامرة وإن خليفته «رعمسيس الرابع» هو الذى أوصى بكتابه تلك الوثيقة على لسان أبيه وإن العقوبات التى أنزلت على المتآمرين كانت نتيجة تلك المحاكمة التى لم تكن له يد فيها.

بينما يرى جاردنر» أن النصوص التاريخية الخاصة بتلك المؤامرة لا يوجد فيها ما يشير إلى أن الفرعون قد لاقى حتفه بسببها.

وارجح إلى أن الملك «رعمسيس الثالث» قد كتب له أن ينجو فعلا من تلك المؤامرة، بدليل العثور على مومياؤه فى خبيئة الدير البحرى خالية من أى جروح، ووفاته بعدها بفترة قليلة، حيث خلفه ابنه «رعمسيس الرابع» الذى يؤكد شرعيته وحقه فى الوراثة فى لوحة «رعمسيس الرابع» الموجودة فى أبيدوس حيث يشير النص :

«أنا الملك الشرعى لم أغتصب العرش، أنا فى مكان الذى

أنجبنى كما كان ابن أزيس».

بعد رمسيس الثالث، تولى عدد من الملوك الضعاف لم يحكموا إلا حوالى ٧٥ عاماً، ظلت الأمور تسير من سئ إلى أسوأ، وكثرت حوادث السرقة والرشوة، وابتداء عن عهد رمسيس الرابع إلى عهد رمسيس الحادى آخر ملوك الأسرة واصبحوا العوبة فى يد كهنة آمون وفى النهاية فقد اضطر آخر ملوك هذه الأسرة - رعمسيس الحادى عشر- إلى الفرار من مقر مملكته فى الشمال والالتجاء إلى كبير الكهنة فى طيبة.

الفصل الخامس

العصر المتأخر الأخير

عصر الاضمحلال الثالث

الأسرة الحادية والعشرون

سبقت الإشارة إلى أن رعمسيس الحادى عشر - آخر ملوك الأسرة العشرين اضطر إلى الفرار إلى طيبة لظهور أسرة قوية فى الدلتا تمكن أحد أفرادها ويدعى «نسوبانبدد» (سمندس) من اغتصاب العرش - ومن المحتمل أن زوجة هذا الأخير كانت من أصل ملكى مما يسر له الاستيلاء على الملك بينما رحب حريحور كبير كهنة آمون فى طيبة برعمسيس الحادى عشر وأبقاه إلى جانبه وبذلك أصبح مطلق النفوذ فى مصر العليا لأنه كان - حتى قبل أن يلجأ إليه رعمسيس - يجمع السلطات الروحية والزمنية فى يده حيث أنه كان يجمع بين وظائف رئيس الكهنة وقائد عام الجيش وحاكم النوبة، أى أنه كان يتحكم فى شؤون الدولة الروحية والزمنية، فلما أصبح الملك الشرعى إلى جانبه لم ينازع سلطانه أحد فى الجزء الجنوبى من مصر، ومنذ ذلك الوقت أصبح رؤساء كهنة آمون فى طيبة يهيمنون على السلطات الزمنية والروحية فى جنوب مصر وخاصة لأنهم توارثوا فى نفس الوقت قيادة الجيش وحكم النوبة، ورغم هذا فإن حالة البلاد الداخلية كانت سيئة على العموم.

ولم يعمر (حريحور) طويلاً كما أن ولده (بى عنخ) لم يعمر طويلا هو الآخر حيث عاصرهما (سمندس) - وحينما توفى هذا الأخير تبعه فى الحكم (بسوسنس الأول) الذى لا نعلم عن حكمه شيئا يذكر، أما فى طيبة فإن (باى نجم) قد خلف والده (بى عنخ) فى رئاسة الكهنوت وتزوج من ابنه (بسوسنس الأول).

وقد سارت البلاد من سئ إلى أسوأ وتفصلت مملكة الشمال كما بدأ نفوذ الكهنة فى الاضمحلال أيضا، وكانت مصر قد فقدت مستعمراتها فى آسيا ولم يعد لها أى نفوذ فيها منذ زمن، ولعل أصدق ما يصور لنا حالة

التدهور التى وصلت إليها البلاد وزوال كل أثر للنفوذ المصرى فى الأقطار الآسيوية قصة المبعوث (ون آمون) الذى أرسله (حريحور) إلى لبنان لإحضار خشب الأرز اللازم لصنع سفينة آمون المقدسة إذ يبين لنا هذا المبعوث كيف أنه ذهب إلى الملك فى الشمال كى يساعده بالمال اللازم ولم يحظ منه إلا بقدر يسير كما يبين لنا مدى ما تعرض له من صعوبات وكيف نهبت أمواله وأمتعته وأنه لم يقابل من حكام سوريا ولبنان إلا بالازدراء والاحتقار مع أنه كان يذكر لهم بأنه مبعوث من قبل فرعون مصر ورئيس كهنتها بعد أن كان مجرد ذكر اسم الفرعون فيما مضى كفيل بأن يبث الرعب فى نفوس ملوك آسيا ويجعل أمراء سوريا ولبنان يسارعون بتقديم كل فروض الطاعة والولاء.

ومما زاد حالة البلاد المصرية سوءا وخاصة فى الجنوب أن رئيس الكهنة كان يحكم الناس باستلهام وحى آمون الذى كان يستشيره فى كل أمر وتسلط السحر والشعوذة على أفهام الناس حتى توهم السذج والبسطاء أن الإرادة الإلهية التى يصدرها آمون كافية لتصريف الأمور كلها، ولم يقم رؤوساء الكهنة أو حكام طيبة بأى عمل جليل يذكر سوى مساهمتهم فى نقل جثث الملوك السابقين من مخبأ إلى آخر خشية السرقة بعد أن عجزوا تماماً عن حفظ الأمن، ومع هذا فقد تمتعوا بسلطة روحية كبيرة مكنتهم من التدخل فى كثير من الشؤون المدنية بل وأتاحت لهم سلطة زمنية كبيرة إذ كانوا يستطيعون أحيانا – عن طريق وحى آمون – أن يحدوا من سلطة الملك نفسه.

وحينما توفى الملك بسوسنس الأول أصبح «باى نجم» الحاكم الوحيد فى مصر كلها وتولى العرش بإسم «باى نجم الأول» لأنه كان صاحب نفوذ المطلق فى جنوب مصر كما أنه أكتسب حق اعتلاء العرش عن طريق زواجه بابنة الملك الراحل، أى أنه جمع بين شرعية ولايته للعرش وسلطة صاحب النفوذ بالأقوى فى البلاد وقد أنجب ولدين هما : «ماحسارتى»، «من خبر رع»، وقد عين أولهما رئيسا للكهنة ولكنه لم يعمر طويلاً إذ مات فى حياة والده وتبعه

شقيقه في رئاسة الكهنة حيث ظل يشتغل هذه الوظيفة إلى أن توفى والده فتبعه على العرش.

وتدل شواهد الأحوال على أن ثورة نشبت فى مصر العليا أثناء تولى «ماحسارتى» لرئاسة الكهنوت نفى على أثرها عدد من الثائرين إلى الواحات ولكن – حينما وصل «من خبر رع» إلى طيبة ليتقلد منصب رئيس الكهنة على أثر وفاة أخيه – استصدر وحى الإله آمون بالعفو عن الثائرين مما يوحى بأن مركزه كان حرجا وأن الحالة كانت سيئة رغم ما تذكره النصوص عن حفاوة استقباله والترحيب به فأغلب الظن أن ذلك لم يكن إلا ستارا اختفت وراءه مظاهر مناوأه السلطة الحاكمة التى أخذت فى الظهور فى مختلف المناسبات، ومع كل فقد ظل «من خبر رع» متمتعا بالسلطان سواء كرئيس الكهنة أو كحاكم مطلق بعد اعتلائه للعرش فترة تقرب من نصف قرن – ثم ظهر بعدئذ حاكم يدعى «امن – ام – اوبت» لا نعرف صلته بالبيت المالك وربما كان مغتصبا اعتلى العرش فى الشمال ثم بسط سلطانه بعد ذلك على الجنوب، ومن المحتمل أن نوعا من الصراع نشب بينه وبين «من خبر رع» انتهى بانتصار هذا المغتصب الذى تلاه فى الحكم بضعة ملوك ضعاف بينما ظلت عائلة «من خبر رع» تتولى رئاسة الكهنوت.

وفى غمرة هذا الضعف الظاهر فقدت مصر هيبتها نهائيا فى سوريا وفلسطين بينما ظلت النوبة على ولائها لها ولكنها أخذت فى الانفصال عنها من الناحية الادارية حتى استقلت عنها تماما، وفى تلك الأثناء كانت مملكة العبرانيين قد ازدهرت وعظم شأنها وإن كنا لا ندرى هل تكونت هذه الدولة نتيجة لظهور بعض الأسرات المحلية القوية التى استطاعت أن تستقل بالبلاد أو أنها بدأت أصلا بمساعدة المصريين – عند ظهور خطر شعوب البحر المتوسط – لكى تساهم فى محاربة هذه الشعوب ودره خطرها.

ومع ذلك يبدو أن «بسوسنس الثانى» آخر ملوك الأسرة الحادية

والعشرين وجد الفرصة للتدخل فى شؤون فلسطين والاحتكاك بأمراتها إذ يحدثنا الكتاب المقدس بأن أميرا من إيدون ويدعى حداد فر خوفا من بطش داود الذى كان قد أنشأ دولة قوية في فلسطين، وقد وصل هذا الأمير هو وبعض أخصائه إلى مصر حيث أحسن ملكها استقبالة وزوجة من أخت الملكة. وبعد مضى بعض الوقت قام الفرعون إلى كنعان فى ظروف لا تعرف على وجه الدقة واستولى على جزر وخربها وقدمها كصداق لابنته التى زوجها من سليمان.

الأسرة الثانية والعشرين

سبق القول إلى أن الليبيين كانوا يهددون الحدود المصرية فى عهد الدولة الحديثة وأن آخر من انتصر عليهم كان رعمسيس الثالث الذى سمح لهم بعد ذلك بالهجرة إلى مصر مسالمين- وقد سوفد منهم عدد كبير ودخلوا فى خدمة الجيش المصرى كجنود مرتزقة، ومن بين هؤلاء الوافدين أسرة قوية كان يتزعمها «يويوواوا» وقد استقرت هذه الأسرة فى إهناسيا «هرقليوبوليس» ونعمت بشئ كبير من النفوذ والسلطان إذ تولى بعض أفرادها مناصب مختلفة ومنهم من تولى وظيفة كاهن معبد إهناسيا وقائد حرس المدينة فى نفس الوقت ثم أصبحت هاتان الوظيفتان وراثيتان فى أسرته من بعده.

وتطور أمر هذه الأسرة وأصبحت من القوة والنفوذ بحيث كانت تتصل بالملك رأسا، وبينما كانت الأسرة الحادية والعشرين تتداعى وفى طريقها إلى الإنهيار أخذت هذه الأسرة الليبية تقوى وتشتد حتى تمكن أحدها ويدعى شيشنق من أن يستولى على العرش وجعل مقر ملكه فى بوابسطة (تل بسطة الحالية قرب الزقازيق)، ومن المرجح أنه لم يجد الفرصة المواتية لاتخاذ هذه الخطوة إلا بعد وفاة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وانقراض ذريته كما يحتمل أنه كان قد زوج ولده من ابنة هذا الملك فاكتسب بذلك شيئا من الحق فى اعتلاء العرش بعد وفاة صهره – ويبدو أن كهنة آمون فى طيبة كانوا أقل

قبولا لحكمه من أهل الدلتا وأن لم يستطيعوا إنكار حقه فى العرش إذ أنهم لم يعلنوا عن رضاهم ولم يعترفوا له بالملكية مباشرة ودارت بينه وبينهم مفاوضات حول اعترافهم به، ويخيل إلينا أن هذه المفاوضات تعثرت فى أول الأمر لأنهم على الأرجح رغبوا فى الحصول على المزيد من السلطة وتجريد الملك من بعض الحقوق التى كان يحتفظ بها، ومما يؤكد هذا الرأى أن لوحة فى الكرنك عليها نص مؤرخ فى السنة الثانية من عهد رئيس الماشواش الأكبر «شيشنق» بينما نجد على نفس اللوحة نصا آخر مؤرخ بالسنة الثالثة عشرة من عهد الملك شيشنق – أى أنه فى النص الأول كان يعتبر رئيسا لليبيين فحسب بينما اعترف به فى النص الثانى كملك.

ومن المؤرخين من يرى أن طائفة من كهنة آمون لم تقبل الإعتراف بحكمه وفرت إلى بلاد النوبة حيث احتمت فى منطقة نباتا وجعلت منها عاصمة للمملكة التى أقاموها هناك ولذا يرجح هؤلاء المؤرخون أن أصل الأسرة النباتية يرجع إلى هؤلاء الكهنة ويستندون فى ذلك إلى شدة ورع ملوك نباتا وإخلاصهم وتفانيهم فى عبادة آمون وإلى أن بعض هؤلاء الملوك كانوا يحملوا أسماء مصرية، كما يستنتجون عدم قبول حكم شيشنق أيضا من قيام ثورة بالواحات الخارجية فى السنة التاسعة عشرة من عهده ولكن لا يمكن الأخذ بهذه الآراء إذ ليس هناك ما يؤكد زيادة سلطان أولئك الكهنة فى نباتا أو أنهم تمكنوا من الوصول إلى الحكم وتكوين أسرة مالكة فيها، كما أن تشابه أسماء بعض الملوك فى نباتا مع الأسماء المصرية قد يرجع إلى أن بلاد النوبة كانت قد تأثرت بالحضارة المصرية منذ وقت طويل واصطبغت بها، كذلك يغلب على الظن أن ثورة الواحات الخارجية ترجع إلى كثرة وجود العناصر الثائرة بها لأنها كانت تعتبر منفى للمجرمين وهؤلاء كثيرا ما كنوا يرغبون فى التخلص من منفاهم.

ورغم ما يبدو–لأول وهلة – من عدم تحسن الأمور فى مصر فإن سياسة

شيشنق الأول الخارجية تدل على أنه كان موفقا إلى حد كبير فحينما تولى العرش كان سليمان ما زال يحكم فى فلسطين وكان النبى آشعيا قد تنبأ ليربعام وهو أحد أمراء إسرائيل المناوئين لسليمان بأنه سيحكم إسرائيل ولما حاول سليمان القضاء على يربعام هرب هذا إلى مصر حيث لجأ إلى شيشنق -- وبالرغم من أن المصريين كانوا يحرصون على علاقات الود مع ملوك العبرانيين الأقوياء إلا أنهم لم يضيعوا أى فرصة تسنح لهم يتمكنون فيها من إضعافهم وأمعنوا فى التدخل فى شؤون فلسطين أملا فى إعادة نفوذهم إليها، وعلى هذا نجد شيشنق يعمل بما نصح له به يربعام -- الذى يرجح أنه تزوج بابنة شيشنق – من إعداد العدة لمهاجمة فلسطين، وكان العبرانيون قد ضاقوا ذرعا بحكم سليمان الذى طعن فى السن وأثقل كاهلهم بالضرائب الفادحة، فلما مات انقسموا على أنفسهم وانتهز شيشنق فرصة انقسامهم إلى مملكتين متنافستين وتقدم بجيشه حوالى سنة ٩٢٠ ق.م. إلى مملكة يهودا التى كان يحكمها رحبعام ابن سليمان واستولى على خزائن الرب فى أورشليم، وربما كان سبب عدم مقاومة رحبعام لشيشنق وحليفه يربعام (ملك اسرائيل) يرجع إلى أن النبى أشعيا كان قد تنبأ بتمزق مملكة العبرانيين وأن يربعام سيحكم على عشرة قبائل من قبائلها الإثنى عشر.

واستمر شيشنق فى غزواته حيث امتلك بعض المدائن فى فلسطين لمدة قصيرة ثم رجع إلى مصر، وقد نقش شيشنق أخبار الجزية التى وصلته من فلسطين ومن النوبة على جدران معبد الكرنك – وربما كان الباعث الذى دفع شيشنق إلى هذا النشاط هو رغبته فى البحث عن مورد للثروة لأن البلاد كانت فى حالة اقتصادية سيئة ووجد أنه من المتعذر فرض ضرائب جديدة لأن حكمه لم يكن مقبولا تماما، وعلى ذلك اتبع سياسة ملوك مصر التقليدية فى القيام بحملات خارجية لزيادة دخلهم، ولا شك فى أنه أفاد من ذلك أيضا فى شغل أذهان الناس عن ولايته للعرش والشؤون الداخلية ليتمكن من تثبيت أقدامه فى الحكم.

وقد تفرغ شيشنق بعد عودته من حروبه فى فلسطين للشؤون العمرانية فى داخل البلاد حيث شيد وأصلح كثيرا من المبانى - ولما مات خلفه ولده «اسركون الأول» الذى كان والده قد زوجه من ابنه بسوسنس الثانى فى حين كان ابنه الثانى «يويت» كاهنا فى طيبة - ولم ينجب هذا الأخير أبناء فاتفق مع شقيقه «أسركون الأول» على أن يكون ابن هذا الأخير خليفه لعمه فى رئاسة كهنوت طيبة، إلا أن هذا الإبن مات وخلفه ابنه «حرسا إيسى» (حفيد أسركون) - وقد مات هذا الأخير أيضا فتبعه ولدين من أبناء أسركون ثم تبعهما الإبن الرابع لأسركون ويدعى شيشنق، وفى تلك الأثناء توفى أسركون وتبعه على العرش «تكلوت الأول» (تكرتى)، ومن ذلك نتبين أن أربعة من أبناء سركون الأول تتابعوا فى رئاسة كهنوت طيبة واعتلى ابنه الخامس العرش من بعده.

والظاهر أن طول مدة حكم أسركون الأول نسبيا وتتباع أفراد أسرته فى رئاسة الكهنوت فى طيبة مما زاد الحالة تعقيدا فى البلاد إذ من المحتمل أن ما تمتع به هؤلاء من نفوذ وسلطان كان يدفعهم دائما إلى إثارة المتاعب أو محاولة الاستحواذ يعلى مزيد من السلطة، وربما دآب أسركون على تغييرهم من أجل ذلك لأننا لا ندرى كيف انتهت خدمات بعض أبنائه فى رئاسة الكهنة.

ومهما يكن من أمر فقد بدأ الصراع واضحا بين الشمال والجنوب فى نهاية عصر أسركون الأول وبداية عصر «تكلوت الأول» ثم اشتد النزاع بين هذا الأخير وشقيقه الكاهن شيشنق لأن هذا الأخير حينما شعر بقوة نفوذه فى طيبه انتحل الألقاب الملكية - وحينما يتولى أسركون الثانى بعد والده تكلوت الأول وجد أن نفوذ عمه يهدد سلطانه وخاصة فى أجزاء مصر الجنوبية، ولذا عمد إلى الاحتفاظ بهيبة الملكية فى تلك الجهات وقام بإصلاح بعض التلف الذى أصاب معابد طيبة بإسمه وخاصة فى معبد الأقصر الذى

أثر فيه الفيضان، ومع هذا يبدو أن الخطر ظل يتهدد نفوذ الملك من نواحي متعددة كما يتبين ذلك من تمثال الملك «أسركون الثانى» عثر عليه فى تانيس إذ نقشت عليه دعوات يطلب فيها الملك من المعبود أن يخلد أبناءه فى الحكم وأن يمنحهم السلطة على رؤوساء الكهنة وعلى رؤساء (ماشواش) العظام وعلى كهنة هرقليوبوليس – ومما جاء فى هذه الدعوات أيضا «اجعل أولادى فى الوظائف التى عينتهم بها ولا تجعل قلب أحدهم يكبر او يعظم على قلب أخيه».

فمن هذه الدعوات يمكن أن نتبين سوء الحالة فى البلاد فى عهد هذه الأسرة بصفة عامة إذ كانت هناك بضعه قوى متنافرة كل منها تعارض سلطان الملك وهذه القوى تتمثل فى الكهنة ورؤساء الماشواش (المرتزقة الليبيين) الذين أصبحت لهم سطوة كبيرة بإعتبارهم يمتون بصلة للبيت المالك، وربما أصبح معظم أمراء الأقاليم من هؤلاء الليبيين – ولا شك فى أن كل طائفة من هذه الطوائف كانت تعمل لمصلحتها الخاصة مما أضعف سلطان الملوك وتراخت قبضتهم عن الاقاليم فحظى أمراؤها بشئ من الاستقلال والسيادة وإن لم يتعد نفوذهم عواصم أقاليمهم إلا بقليلا.

والخلاصة التى يمكن أن نستنتجها هى أن البلاد كانت سائرة فى طريقها إلى الانحلال وأن تنازع السلطات بلغ من الخطورة حدا جعل الملوك لا يأمنون على عروشهم فهناك ما يشير إلى أن «أسركون الثانى » قبل أن يعتلى العرش كان مشتركا فى الحكم مع والده الذى اتخذ هذه الخطوة لكى يضمن لولده ولاية العهد – وقد اتبع «أسركون الثانى » نفس هذه السياسة مع ولده «شيشنق الثانى» الذى مات فى حياته فأشرك معه ابنه الآخر «تكلوت الثانى» الذى استمر معه فى الحكم سبعة أعوام ثم انفرد بالعرش بعد وفاته.

وأخذت هذه بعد ذلك تنحدر نحو الاضمحلال حتى أن ابن تكلوت الثانى – وكان يدعى أسركون – قد جرؤ فى السنة الحادية عشرة من حكم والده

على تقديم بعض الهدايا إلى معبد آمون باسمه الخاص مع أنه لم يكن إلا رئيسا للكهنة، وبالرغم من تقديمه لتلك الهدايا فإن رئاسته للكهنة كانت فى أغلب الظن غير مقبولة إذ أن أهالى طيبة قاموا بثورة ضده وبعد عشرة أعوام رجع بمعاونة بعض أعوان والده، ويبدو أنه استلهم وحى الإله آمون حينئذ فأصدر هذا عفوه الثائرين ولكن ذلك العفو عن كان مؤقتا فى نظر أهل طيبة على الأقل لأنهم عادوا للثورة فاضطر أسركون للهرب ثانية بعد نحو ستة أعوام من عودته، وظل مختفيا فى هذه المرة نحو ثلاثة عشر عاما - وفى كل مرة كان يختفى فيها تولى رئاسة الكهنوت فى مكانه أحد أفراد الأسرة ويدعى «حرسا إيسى» .

ومن النقوش التى ترجع إلى أواخر عصر هذه الأسرج يتبين لنا أن عهود آخر ثلاثة ملوك فيها كانت تسودها الاضطرابات وقد تلفت آثار كثيرة ولم تنجو عاصمتهم «بوبسطة» من التخريب كما أنها تعرضت بعد ذلك للنهب والتدمير ولذلك كانت معلوماتنا عن هذه الأسرة بصفة عامة ضيئلة للغاية، ولانجد فيما لدينا من نصوص بعد عهد مؤسسها شيشنق ما يشير إلى فلسطين مما يدل على أن نفوذ مصر قد انعدم فيها من بعده.

ويحتمل أن ظهور مملكة آشور فى ذلك الحين جعل بعض الدويلات الآسيوية فى شرق حوض البحر المتوسط تتجمع فى شكل اتحاد ضدها، ووجد «تكلوت الثانى» أن فى ظهور هذه المملكة الفتية خطراً يهدد مصر فأرسل عددا من المقاتلين كمدد لذلك الاتحاد الذى هزمه شلمنصر الثالث ملك آشور حينئذ، وأثار ذلك انتباه هذه الدولة الفتية إلى الدور الذى تقوم به مصر فتحفزت للاصطدام معها.

وفى أواخر عهد «شيشنق الثالث» أى فى أثناء تولى «حرسا إيسى» لرئاسة الكهنوت من جديد نشأت أسرة ملكية (بدأها «بادى باست») فى طيبة هى الأسرة الثالثة والعشرين، أى أنها كانت تعاصر الأسرة الثانية

والعشرين وخاصة فى الفترة الأخيرة منها، ولكننا لا نعرف كيف نشأت هذه الأسرة؟ وما هى العلاقة بينها وبين الأسرة السابقة؟ بل ولا نعرف شيئا عن الدور الذى قام به «حرسا إيسى» عند تعاصر الأسرتين - وكل ما يمكن أن نقوله هو أن الأحوال الخارجية والداخلية بصفة عامة لم تكن واضحة تماما.

ومما تجدر ملاحظته أن الأسرة الثالثة والعشرين قد مرت فى نهايتها بنفس التجربة إذ ظهرت فى الشمال أسرة جديدة (وإن لم تعمر هذه الأسرة طويلا) كما شاهدت كذلك دخول النبتاويين إلى مصر حيث أسسوا الأسرة الخامسة والعشرين.

الأسرة الثالثة والعشرين :

تمكن الثلاثة ملوك الأخيرين فى الأسرة الثانية والعشرين من الاحتفاظ بسلطتهم على قسمى المملكة الشمالى والجنوبى فيما عدا الفترة التى حكم فيها «بادى باست» فى طيبة (كما أشرنا) حيث انتزع السلطة من ملوك بوبسطة، ويرى مانيثون أنه مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين ولكن يبدو - حسب ما يفهم من بردية فى فينا - أن بعض الاضطرابات حدثت فى السنة الرابعة عشرة من حكمه وأنه اضطر إلى أن يقتسم السلطة مع أحد أمراء شرق الدلتا.

ولا ندرى على وجه التحديد هل كان «بادى باست» من سلالة كهنة طيبة وتمكن من أن ينتزع السلطان مع أمراء بوبسطة ثم تمكن أحد هؤلاء من أن يقتسم معه السلطة على أثر ثورة قام بها، أو أن «بادى باست» كان مغتصبا لا علاقة له ببيت الكهنة ولا بالبيت المالك فى الشمال، وحينما سنحت الفرصة ثار عليه أحد أمراء الشمال واضطره إلى اقتسام السلطة معه.

وعندما اعتلى شيشنق الرابع خليفة بادى باست نجح فى توحيد البلاد من جديد، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن إلا ظاهريا فقط لأن منافسات شديدة

قامت بين أمراء الأقاليم الذى كانوا يشعرون بأنهم من القوة بحيث يستطيعون الخروج على سلطان الملك وعلى ذلك حدثت اضطرابات مختلفة، فمن ذلك مثلا ما حدث عند اشتداد المنافسات بين أمير تمى الأمديد وأمير عين شمس إذ انضم إلى كل منهما فريق من الأمراء ونشبت بسبب ذلك حروب عجز فيها «يادى باست» وخليفته «شيشنق الرابع» عن حقن الدماء.

وما أن تولى «أسركون الثالث» بن «شيشنق الرابع»؟ يحتى كانت البلاد قد انقسمت إلى إمارات صغيرة تتشاحن فيما بينها، وكانت الامارات التى تمتد من الوجه البحرى إلى الأشمونين تتقاتل فيما بينها بصورة تشبه إلى حد كبير ما كان يحدث فى عصور ما قبل الأسرات– وقد وصلنا نحو ثمانية عشر اسما لأمراء من هؤلاء المتنازعين، وفى خضم هذه الاضطرابات التى كانت تعانى منها البلاد والتى جعلت من ملكها أشبه بحاكم على إقليم العاصمة «بوبسطة» ولا يتعدى نفوذه كثيرا حدود هذا الإقليم كانت اسرائيل فى صراع مع دولة آشور فلم تتمكن مصر من تقديم المساعدة لها، بل وكانت مصر بالنسبة لظروفها الخاصة تعد فريسة سهلة لكل من يطمع فيها من جيرانها ولكن لم يغامر أحد بالإغارة عليها فى ذلك الوقت– واستمر بعض خلفاء «أسركون الثالث» يحكمون فترة وجيزة إلى أن ظهر أمير قوى فى «سايس» (فى غرب الدلتا) هو «تفنخت» الذى حاول أن يخضع كل أمراء الدلتا لسلطانه. وفى نفس الوقت كانت أسرة حاكمة قد تكونت فى نباتا واستطاعت أن تبسط سلطانها على كل السودان الشمالى وبلاد النوبة ومصر العليا حتى طيبة.

وأول من سمعنا عنه من ملوك هذه الأسرة النبتاوية فى النصوص المصرية هو «كاشتا» ثم تلاه «بعنخى» الذى أخضع البلاد كلها لسلطانه، ولذا يعتبره بعض المؤرخين مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين كما يطلق فريق من المؤرخين على هؤلاء النبتاويين اسم «الأسرة الأثيوبية» لكن نظرا لاختلاف

مدلولات أثيوبيا والنوبة باختلاف العصور، وعدم دلالة أيهما على كل الأجزاء التى ارتبطت بمصر أيام الفراعنة، ولعدم تأكدنا من أصل هذه الأسرة حتى الآن فإننا نفضل الإشارة إلى هذه بالاسم المشتق من اسم عاصمتها نبته أو نباتا أى «الأسرة النبتاوية».

الأسرتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون :

ما زال المؤرخون يختلفون فى أصل الأسرة النبتاوية وما زلنا نجهل كيف استطاع أحد ملوك هذه الأسرة وهو «كاشتا» أن يفرض سلطانه على مصر العليا حتى طيبة، وبذلك أصبح يحكم مملكة تمتد - على الأقل - من الشلال الرابع جنوبا إلى طيبة شمالاً أى أنه يحكم فى اقليم النوبة الغنية فضلا عما كانت مملكته تنعم به من وحدة متماسكة، على عكس الحال فى مصر التى فقدت أملاكها فى آسيا كما تنازع فيها الأمراء ورجال الدين على السلطة إذ وجدوا فى ضعف الملوك خير مشجع لهم على التمادى فى محاولة الاستئثار بها - وقد تطورت الأمور بعد ذلك سريعا فى مصر لأن «تفنخت» أخذ يمد نفوذه على بقية الأمراء فى الدلتا محاولا أن يعيد الوحدة إلى البلاد، فبعد أن قهر أمراء غرب الدلتا سار جنوبا حيث استولى على شمال الوجه القبلى ثم عاد فبسط نفوذه على شرق الدلتا ووسطها أى أنه أصبح ملكا بالفعل على الوجه البحرى وشمال الوجه القبلى إلى بنى حسن ولم تقاومه إلا إهناسيا عاصمة إقليم الأشمونين - وفى تلك الأثناء كان «بعنخى» قد تولى الملك فى النوبة (بعد كاشتا)، ولم يهتم بادئ الامر لنجاح تفنخت فى بسط نفوذه على بقية أمراء الدلتا ولكنه شعر بالخطر الذى يهدد نفوذه عندما عاد تفنخت إلى التقدم فى الصعيد وانزعج حينما علم بأن «نمرود» أمير الأشمونيين استسلم له فى النهاية بل وانضم إليه أيضا، وعلى ذلك أمر بعنخى قواته بالتقدم شمالا نحو تفنخت لوقف تقدمه إلى الجنوب - ومن المحتمل أن القوات النبتاوية لم تصادف نجاحا كبيرا فى أول الأمر فاضطر بعنخى أن يتقدم بنفسه نحو

الشمال، وما أن وصل إلى طيبة حتى استراح بها وقدم الهدايا لآمون ثم واصل سيره شمالا مخضعا كل الأقاليم التى كانت فى طريقه إلى أن وصل إلى الأشمونين حيث دارت معركة بين أسطوله وبين الأسطول المصرى هزم فيها هذا الأخير، وفر تفنخت شمالا ليعيد تنظيم قواته ويقوى من تحصيناته.

أما نمرود فقد تحصن فى الأشمونيين ودافع عنها ولكنه -- إزاء حصار بعنخى – أجبر على التسليم وأرسل زوجته للتوسط له عند حريم بعنخى، وقد استولى بعنخى على كثير من نفائس المدينة ثم تقدم شمالا نحو منف التى احتمى بها تفنخت – وفى أثناء حصار بعنخى لها فر تفنخت قبل أن تسقط فى يده، وما أن استولى عليها حتى ذهب إلى معبد عين شمس حيث اعترف به ملكا على مصر – وهنا وفد عليه «أوسركون الثالث » الذى كان يحكم في بوبسطة وقد له الخضوع والولاء، وبعدئذ توجه بعنخى إلى «أتريب» حيث أقبل عليه أمراء الدلتا معلنين ولاءهم كذلك – وفى تلك الأثناء كان تفنخت قد وصل فى قراره إلى بلدة صغيرة مجهوله تعرف باسم «مسد» فإسل بعنخى قوة فتكت بحاميتها واضطر تفنخت أن يلجأ إلى جزيرة صغيرة فى شمال الدلتا تحيط بها المستنقعات ومن هناك أرسل الهدايا إلى بعنخى راجيا منه أن يرسل من قبله رسولا إلى معبد مجاور كى يقسم أمامه يمين الطاعة والولاء له «وقد تم ذلك فعلا، وعندئذ قدم بقية الأمراء ولاءهم له أيضا فأصبح بعنخى حاكم مصر المطلق، أى أن ملكه امتد من نباتا (أو أبعد منها قليلا إلى الجنوب) إلى أقصى شمال الدلتا– ومعنى هذا أنه كان يحكم مملكة لا تقل عن الامبراطورية المصرية فى أوج عظمتها باستثناء الأجزاء الشمالية الشرقية فى سوريا وفلسطين.

ويدهشنا أن بعنخى لم يستمر طويلا فى مصر بل عاد مسرعا إلى نباتا وما زلنا نجهل الأسباب التى دعته إلى ذلك إذ أن عودته السريعة جعلت بعض المؤرخين يشبهون حملته بمغامرة ليس لها غد إذ لم تكن ذات نتائج حاسمة،

ومما هو جدير بالذكر أيضا أن الفترة التى غزا فيها بعنخى مصر هى الفترة الوحيدة التى أمسك فيها تفنخت عن ادعاء حكم مصر حيث يبدو أنه ما أن رجع بعنخى إلى عاصمة ملكه فى النوبة إلا وعاد تفنخت إلى أدعاء حكمه لمصر بأكملها، وإن كنا نرجح أن ملكه لم يكن ليتجاوز منف جنوبا، بل وكانت بقايا الأسرة الثالثة والعشرين تحكم فى بوبسطة فى نفس الوقت أيضا.

فإذا اعتبرنا أن ملوك نباتا هم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر فإننا فى هذه الفترة نجد مثالا آخر لمعاصرة بعض الأسرات المصرية للبعض الآخر، فبينما تحكم الأسرة الثالثة والعشرين فى بوبسطة يسيطر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين على مصر بالفعل أو على الأقل يتحكمون فى الصعيد ويسيطر تفنخت الذى يعتبر مؤسسا للأسرة الرابعة والعشرين على معظم الدلتا وكانت عاصمته سايس – هذا وقد ظلت نبته تسيطر على الصعيد حتى بعد أن عاد تفنخت إلى اتخاذ الالقاب الملكية وربما كان السبب فى خروج أمراء الوجه البحرى على نفوذ نبته يرجع إلى أنهم كانوا أقرب إلى الاتفاق مع تفنخت من أمراء الصعيد، وفى نفس الوقت كانت نفوذ «كبيرة محظيات آمون فى طيبة» عاملا أساسيا فى نفوذ مملكة نباتا فى الصعيد لأننا نعرف أن ابنة أسركون الثالث التى كانت كبيرة محظيات هذا الإله قد تبنت شقيقة بعتخى.

ولما توفى تفنخت تبعه ولده «بخورس» فى الحكم فى سايس، وقد رأى هذا الأخير أن نفوذ آشور قد ازداد إلى درجة كبيرة فلم يجد بدا من إرسال هدية إلى «سرجون الثانى» ملك آشور (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م.) وربما كان بخورس يرمى من وراء ذلك إلى توطيد علاقاته مع ملك أشور أو أنه كان يهدف إلى اكتساب عطفه إذا ما أراد أن يعارض نفوذ نباتا، وقد اعتبر سرجون الثانى هذه الهدية بمثابة الجزية وادعى خضوع مصر لسلطانه.

الصراع الاشورى النبتاوى على مصر

كان لما وصلت إليه مصر من ضعف ولوجود قوتين عظيمتين فى آشور ونبته واتساع ملكها وزيادة أطماعهما أكبر الأثر على الحالة الدولية إذ كان لابد لهاتين القوتين من أن تصطدم إحداهما بالأخرى، وقد تعود ملوك مصرمنذ بداية الأسرة الثالثة والعشرين على إرسال الهدايا لملوك آشور حتى يصرفوهم عن غزو مصر - ولا نكاد نعلم شيئا عن الحالة فى نبته بعد عودة بعنخى سوى أنه توفى بعد نحو عشر أعوام (حوالى سنة ٧٣٠ ق.م.) وتبعه «شبكا» على العرش.

وقد بسط شبكا سلطانه على مصر ونقل عاصمته إلى الدلتا ولكننا لا ندرى هل تم له ذلك عن طريق الاستيلاء علي مصر عنوة أو أنه وفق إلى فرض سلطانه عليها دون حاجة إلي جهد عسكرى؟ - وينسب مانيتون إلى هذا الملك أنه أحرق بخورس حيا كما يعتبره مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين، كذلك يذكر بعض المؤرخين أنه لم يحكم فى النوبة وإنما حكم فى مصر فقط - وبما أن بعنخى أخضع البلاد كلها لسلطانه بل وكان كاشتا يحكم الصعيد من قبل فإنه لا يمكن اعتبار شبكا مؤسسا للأسرة الخامسة والعشرين وخاصة أنه ثبت بالدليل القاطع أن شبكا حكم مملكة مترامية الأطراف كانت تمتد جنوبا إلى ما وراء الشلال الرابع كما كانت الواحات تخضع له أيضا.

ولما وقفت القوتان (آشور ونباتا) وجها لوجه بدأ ملوك نبته سياسة جس النبض، بل ومن المرجح أنهم أرادوا أن تكون علاقتهم بآشور ودية بدليل وجود أختام من الصلصال فى أرشيف نينوى تحمل اسمى شبكا وسرجون الثانى جنبا إلى جنب، كذلك وجد ختم لشبكا فى كيونجك يحتمل أنه كان ختما لرسالة أرسلت منه إلى الملك الأشورى، فلما أرسل الأخير رده إلى شبكا اعتبره هذا دليلا على خضوع آشور له، حيث عثرنا لنقوش يمثله وهو يخضع الشعوب الآسيوية والأفريقية بالطريقة التقليدية المعروفة فى مصر الفرعونية.

وحينما أخضع سرجون الثانى سماريا ونقل أهل أسرائيل إلى بلاد النهرين لم يبق من فاصل بين آشور ومصر (منطقة نفوذ نبته) إلا مملكة يهودا الصغيرة التى كانت تتأرجح بين الخضوع للملك الأشورى أو لملك مصر، ثم ما لبثت كل الممالك الصغيرة فى فلسطين ومن بينها يهودا أن خضعت لآشور - وقد ذاقت هذه الممالك الأمرين من حكمها فثارت ضدها وبعدئذ لم يكن هناك بد من غزو الأشوريين لمصر لأن شبكا كان، يثير قواتها المتحالفة ويشجعلها، إلا أن سرجون استطا ع أن يقضى على تلك القوات وأن يوطد مركزه فى هذه الأمارات.

وبعد أن حكم شبكا اثنى عشر عاما مات وتبعه فى الحكم «شبتكو» الذى لم يحكم إلا فترة وجيزة حدث خلالها أن توفى سرجون الثانى هو الاخر وتولى بعد «سنخريب» الذى ضاق ذرعا بمؤامرات مصر وثورات الدويلات الصغيرة فى غرب آسيا، فحاصر أورشليم إلى أن أخضعها واضطر ملكها «حزقيا» إلى دفع ضريبة ضخمة كان من جرائها أن جردت المعابد من كنوزها ونفائسها وبعدئذ عاد الآشوريون إلى بلادهم حيث يبدو أن وباء انتشر فى صفوف جيشهم، كما أن الأحوال الداخلية فى بلادهم لم تكن لتشجع على التقدم إلى مصر. ويشير الكتاب المقدس إلى ذلك فيذكر أن الأشوريين رجعوا من فلسطين «نتيجة لوصول طهرقة ولوصول ملاك الرب»

ولا يعرف إلا القليل عن حكم شبتكو إلا أنه فى الغالب لم يهتم بالشئون الخارجية أو على الارجح لم يجد فى نفسه القدرة على المغامرة فيها فكرس من جهود للبناء، وقد ذكر مانيتون بأن «طهرقة» قتل شبتكو واعتلى العرش من بعده واتخذ تانيس عاصمة له ولكن هذه الرواية لا يمكن مقابلتها إلا بالشك.

وكان طهرقة قائد الجيش منذ عهد شبكا وما أن اعتلى العرش حتى أخذ ينظم المقاومة ضد الأشوريين، ولكنه أهمل فى السياسة الداخلية بل ولم ينجح فى سياسته الخارجية أيضا لأنه لم يقدر الظروف حق قدرها إذ أنه لم يقم بأى جهد فى سبيل تنظيم الإدارة الداخلية التى ساءت إلى أبعد حد كما أنه

لم يستعد الاستعداد الحربى الكافى لمواجهة خطر آشور بالرغم من أنه كان يدبر المؤمرات ضدها ويتعاون مع الولاة الذين كانوا يناوئونها وخاصة أمراء صور وصيدا.

ويبدو أن نهاية سنخريب لم تكن سارة إذ اغتاله أحد أبنائه وتولى بعده «أسر حدون» الذى أخضع الولايات التى ناوءته بمنتهى العنف، فما أن امتنع والى صيدا عن دفع الجزية حتى دفع حياته ثمنا لذلك، وحينما أصغى ملك صور إلى رسالة طهرقة التى كانت تدعوه لمناوءة آشور وجه أسرحدون ضرباته للقوتين معا فحاصر صور وأرسل فى نفس الوقت حملة إلى طهرقة فى مصر، لكن حصار صور استمر خمسة أعوام واضطر الجيش الذى أرسله إلى مصر أن يتقهقر بما أحنق أسرحدون وأثار غضبه على طهرقه، فتقدم بجيشه نحو مصر وهزم النبتاويين عند الحدود المصرية، وحينما تراجع طهرقه إلى منف تبعه الأشوريين واستولوا عليها وخربوها ولكن طهرقة فر إلى الجنوب - أما أمراء الدلتا فقد قدموا ولاءهم لآشور وأبقاهم أسرحدون فى مناصبهم كولاة من قبل الاشوريين، وما أن ترك أسرحدون مصر عائدا إلى بلاده حتى رجع طهرقه إلى الدلتا بجيش آخر جمعه من مصر العليا ومن السودان واحتل منف ثانية وقام ببعض الاصلاحات فيها كما استأنف علاقاته مع ملك صور.

وإذا ما نظرنا إلى حالة الدلتا فى ذلك الوقت نجد أن معظم أمرائها كانوا موالين للملوك نبته الذين كانوا ينتمون إلى أصل مماثل لأصلهم بينما كان الآشوريون يمثلون عنصرا آخر، ولم يكن المصريون ليرتاحوا كثيرا إلى العناصر الآسيوية وخاصة إذا دخلت هذه العناصر إلى البلاد غازية أو ذات نفوذ، ومع هذا فلا شك فى أن بعض الأمراء كانوا يترددون بين الولاء للملوك نباتا والخضوع لأمراء آشور ومن المؤكد أن طهرقة لم يعد إلى الدلتا إلا بعد أن وجد تشجيعا من معظم أمرائها حيث كتب له هؤلاء على أثر عودة

أسرحدون إلى بلاده يطلبون إليه القدوم إلى مصر واقتسام السلطة فيما بينهم.

وقد علم الاشوريون بأمر هذه الرسائل وكان أسرحدون يستعد لإعادة فتح مصر ولكنه توفى وتبعه «آشور بانيبال»- وقد تقدم هذا الأخير على رأس جيش كبير وأعاد فتح مصر ففر طهرقة إلى منف ومنها إلى طيبة إلا أن جيش آشور تبعه إليها وخربها ففر طهرقة إلى نباتا بينما قبض على المتآمرين من أمراء الدلتا وأرسلوا إلى نينوى لمحاكمتهم، وكان من بين هؤلاء «نكاو» أمير صالحجر الذى - بدلا من معاقبته - أعيد إلى وظيفته مكرما كما عين ولده «بسماتيك» أميرا فى أتريب ولا ندرى سببا لذلك كما لا ندرى كيف استطاع «منتوام حات» أمير طيبة ورئيس كهنتها أن يقنع الأشوريين بالرجوع عن طيبة بعد تدمير طفيف لها - ومع أن طهرقة فر إلى نباتا وبقى بها حتى وفاته إلا أنه ظل يتمتع بسلطة إسمية على مصر حيث اعترف به كملك فى طيبة إلى ما بعد هذه الغزوة الآشورية، ورغم كثرة حروبه فإن ما خلفه من آثار يجعلنا نعتقد أنه كان من أكثر ملوك نبته ثراء.

ولما توفى طهرقة تبعه فى الحكم «تانوت أمانى» الذى ادعى فى لوحة له تعرف باسم لوحة الرؤيا بأن الإله آمون جاءه فى المنام وأمره بالتقدم إلى مصر والاستيلاء عليها- ومع أنه يشير إلى ترحاب المصريين به إلا أننا نفهم من بين سطور هذه اللوحة بأن الظروف لم تكن مواتية له تماما، كذلك لم يستمر فى مصر طويلا لأن آشور بانيبال عاد إليها ثانية وأخضعها من جديد ودمر طيبة للمرة الثانية ففر تانوت أمانى إلى نباتا - ومنذ ذلك الحين لم تشاهد مصر بعد ذلك أحد من ملوك النوبة كما أن الآشوريين رجعوا إلى نينوى، ولم تبق مملكتهم بعد ذلك طولاً بل وتحطمت عاصمتها نينوى بعد غزوة آشور بانيبال الأخيرة بنحو خمسين عاماً.

ومهما كان من أمر الأحداث التى مرت بمصر بعد الغزوة المشار إليها فإن السلطة الفعلية فيها كانت فى يد «بسماتيك» الذى أشرنا إلى تعيينه أميراً لأتريب، فقد تولى إمارة سايس بعد والده، ويبدو أنه أعلن نفسه ملكا على البلاد على أثر عودة آشور بانيبال من حملته الأولى أى قبل غزوة آشور الثانية لطيبة – وفى نفس الوقت كانت سلطة تانوت آمانى معترفا بها فى مصر العليا لمدة تزيد على ستة أعوام بعد فراره من مصر ومن الغريب أننا لا نجد نصا واحدا من النصوص المصرية يشير إلي خروج الأشوريين من مصر وعلى ذلك لم يستطيع المؤرخون أن يجدوا سببا مباشرا لتركهم البلاد.

ويعد عصر بسماتيك بداية عهد جديد فقد استطاع أن يؤسس أسرة جديدة هى الأسرة السادسة والعشرين ولا نعلم كيف تخلص من النفوذ الأشورى وكيف زال النفوذ الاسمي للملوك نبته نهائيا من طيبة.

الأسرة السادسة والعشرون :

تمتعت مصر خلال عهد الأسرة السادسة والعشرين بشئ من الرخاء والنهوض كانت قد حرمت منهما منذ وقت طويل، كما أنها بدأت عهدا جديدا في علاقاتها الخارجية وإن كانت هذه العلاقات قد سلكت اتجاها مغايراً لما اعتادته مصر من قبل حيث أخذت تستعين بالمرتزقة اليونانيين، وبدأت توطد علاقاتها مع جزر البحر المتوسط، ومن المحتمل أن بسماتيك الأول طلب المعونة من ملك ليديا لتدعيم سلطانه فأرسل هذا جنودا من الأيونيين والكاريين – وهكذا نجد أن بسماتيك يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الرعامسة مع فارق بسيط هو أن المرتزقة فى عهد الرعامسة كانوا من عناصر ليبية ونوبية ومن شعوب البحر بينما كانت العناصر الإغريقية وعناصر جزر البحر المتوسط تمثل الغالبية، فى عهد بسماتيك، ومن ثم بدأ النفوذ اليونانى يدخل إلى مصر وتأثرت الثقافة المصرية بتأثيرات يونانية مختلفة – وقد عمل المصريون من جانبهم على تيسير إقامة اليونانيين فى بلادهم فبنوا لهم بعض المدن الخاصة

وشيدوا لهم مستعمرات أقاموا فيها وتزايد عددهم حتى دب الحسد في نفوس الجنود الآخرين من مصريين وليبيين وغيرهم – وفر بعضهم إلى النوبة لأن هؤلاء لم ينظروا بعين الإرتياح لتشجيع بسماتيك للمرتزقة اليونانيين، وقد أطلق هيرودوت على هؤلاء الفارين اسم «أسماخ» – ولكن وجود المرتزقة اليونانيين في أعداد كبيرة كان من جهة أخرى سببا فى إنعاش الأحوال الإقتصادية نوعا ما لأن بسماتيك وجد أنه لابد من الإنفاق على هذا الجيش الكبير، فشجع التجارة مع الدول المجاورة وفى نفس الوقت فرض الضرائب على البضائع الواردة إلى مصر ونظم الإدارة وعاد بها إلى التقاليد القديمة حيث أخذ المصريون فى ذلك الوقت يشعرون بأن عظمة مصر فى عهد الدولة القديمة كانت أعلى ما وصلت إليه فى تاريخها، ولذلك اصطبغ عهد الأسرة السادسة والعشرين بصبغة الدولة القديمة فى كل شئ وعاد الناس إلى أسلوب الكتابة القديمة وإلى المعبودات القديمة والفنون القديمة مع شئ بسيط من التحرر وربما كان هذا من الأسباب التى تحبذ إطلاق اسم عصر النهضة على هذه الفترة من تاريخ مصر القديم.

وتتميز هذه الفترة من تاريخ مصر أيضا بنهج جديد فى السياسة المصرية، إذ أن مصر – مع تركيز اهتمامها في علاقاتها الخارجية بالأقطار الشمالية – كانت أكثر ارتباطا باليونان منها بأى قطر آخر، وفى نفس الوقت لم تحاول مملكة نباتا من جانبها أن تعيد علاقاتها بمصر بل اتجهت بدورها إلى الاقطار التى تقع إلى الجنوب منها حيث وجدت أن لا فائدة ترجى لها من الاتجاه شمالا، وهكذا نجد أن الوضع السياسى فى مصر أصبح يتركز فى الوجه البحرى حيث أدى هذا إلى ظهور مدن جديدة – ونظرا لكثرة وجود اليونانيين فى مصر بدأ اهتمام العالم اليونانى بأحوال مصر وحضارتها، فإلى ذلك العهد ترجع معظم الكتابات اليونانية عنها ومنها نتبين أن اليونانيين ذهلوا حينما وجدوا أن أمة أخرى غيرهم لها حضارة لا تقل عن حضارتهم إن

لم تكن أرقى منها واعتبروا المصريين شعبا غاية فى الغرابة ووصفوا أحوالهم وأطوارهم بكل دقة وإن كانوا قد أخطأوا فى تفسير بعض مشاهداتهم عن مظاهر الحضارة المصرية .

وقد وجد بسماتيك أن فى مقدوره محاولة إعادة السيطرة المصرية على فلسطين وسوريا ولكنه اضطر لوقف أعماله لظهور السيثيين على المسرح الدولى إذا استطاع هؤلاء الزحف على آشور وأصبح خطرهم يتهدد مصر، ولكن بسماتيك تمكن من إرجاعهم عنها ولا نعرف كيف تم له ذلك وهل لجأ إلي رشوتهم أو أنه استطاع التغلب عليهم؟ هذا وقد حكم بسماتيك حوالى أربعة وخمسين عاماً عادت البلاد أثناءها إلى حالة من النهوض والرخاء لم تشهدها منذ أيام رعمسيس الثانى وتولى بعده ولده «نكاو».

وفى تلك الأثناء وصلت آشور إلي منتهى الضعف وكانت سوريا وفلسطين أضعف من أن تقفا أمام أى غزو أجنبى وعلى ذلك تقدم نكاو نحوهما للاستيلاء عليهما، ولما تأهب اليهود لمقاومته أسرع بإخضاعهم كما أخضع سوريا وتقدم إلى الفرات خشية أن تسترد آشور ملكها مفضلا أن يبدأ بمهاجمتها - ولما لم يجدها مستعدة لذلك عاد إلى مصر مفضلا عدم الاستيلاء على نينوى ، وقد نسب نكاو نصره إلى الجنود المليزيين وهذه هى المرة الأولى التى ينسب فيها الفرعون نصره لغير الإله - ومع أنه كون امبراطورية على إثر الحملة التى قام بها إلا أن هذه كانت مؤقته ولم تدم طويلا لأن الأحداث فى غرب آسيا تطورت سريعا، فلم تكد تمضى سنتان حتى اتحد ملك ميديا مع ملك بابل واستطاعا معا أن يحطما آشور وأن يقتسما ملكها ، وقد وقعت سوريا ضمن نصيب بابل وبذلك أصبحت بابل خطرا جديدا يتهدد مصر.

ولما تولى «نبوخذ نصر»- الذى كان وليا للعهد فى مملكة بابل الجديدة (أى الامبراطورية الكلدانية)- قيادة جيوشها ذهب نكاو لملاقاته ولكن نبوخذ

نصر انتصر عليه وتعقبه بعض الوقت غير أنه رجع إلى بابل بعد أن اتفق مع نكاو لأن والده كان توفى فى ذلك الوقت.

ولم تطمع مصر بعد ذلك فى آسيا حتى إنها لم تتدخل حينما حاصرت بابل بيت المقدس واكتفى نكاو بترقية التجارة وتشجيع الملاحة وقد أمر بعثة فينيقية بالدوران حول أفريقية فأتمت ذلك فى ثلاثة سنوات (وربما كانت هذه أول رحلة من نوعها فى التاريخ)، كما أمر بشق القناة التى تربط بين النيل والبحر الأحمر ولكنه تخلى عن إتمامها لوفاة عدد كبير من العمال ولأن الكهنة تنبأوا بأن فائدتها سوف لا تعود بالنفع إلا على الأجانب.

ولما توفى تبعه «بسماتيك الثانى» الذى ذهب إلى ببلوس لزيارة معبد آمون هناك وربما كان ينوى الإحتكاك مع بابل ولكنه اضطر للعودة إلى مصر لعلمه بوجود تكتلات فى جنوبها، ولذا أرسل حملة إلى الجنوب توغلت إلى الشلال الخامس أو السادس- وقد ظلت علاقة بسماتيك طيبة مع اليونانيين وزاد من تشجيعهم واستعان بهم فى تكوين أسطول ضخم.

وعندما توفى بسماتيك الثانى تبعه «ابريس» على العرش وقد استغل هذا الأخير الأسطول الذى كونه سلفه فى غزو فينيقيا ونجح فى ذلك بسبب انشغال نبوخذ نصر فى حروبه مع ميديا وانسلاخ بعض المدن السورية والفلسطينية عن حكمه وثورة بعض المدن الأخرى عليه وفى أثناء ذلك هاجر كثير من اليهود إلى مصر وكونوا بها جاليات كبيرة، وهكذا نجد أن القلاقل عادت من جديد إلى شرق البحر المتوسط ووجد أبريس الفرصة فتقدم بجيشه شمالا واستولى على صيدا، ولكن هذه قاومت طويلا ولم ينجح أبريس فى الاستيلاء علي جنوب فلسطين وأقبلت الجيوش الآسيوية لطرده فاتجه بأسطوله نحو قبرص واستولى عليها، ومع أن بعض قوى غربى آسيا تحالفت مع مصر ضد نبوخذ نصر إلا أن هذا الآخير هزم هذا التحالف الذى تكون ضده في ربلة وحاصر أورشليم وبعد عام أسر ملكها صدقيا وقتل أولاده

ونهب المعبد وحرق المدينة – ومع ذلك لم تدم مملكة بابل فقد تمزقت بعد موت نبوخذ نصر.

ولم تكن الحالة سيئة فى منطقة غرب آسيا وحدها وإنما ساءت الحالة كذلك في مصر حيث حدثت ثورة فى صفوف الجيش فى عهد أبريس فرت بعض الوحدات على إثرها إلي النوبة ولكن حاكم الشلال استطاع أن يعيد بعض أفرادها، كما حدث عصيان آخر فى صفوف الجيش أيضا لأن أبريس أرسل قوة معظم أفرادها من المصريين إلى قرطاجة وقد منيت هذه القوة بالهزيمة وبخسائر فادحة فاعتقد هؤلاء أن الملك أرسلهم إلي هناك للتخلص منهم محاباة منه لليونانيين الذين لم يشركهم فى هذه الحرب، وحينما ثاروا ضده أرسل أحد أقربائه ويدعى «أمازيس» لتهدئتهم ولكن هذا الأخير استمال إليه الجنود العاصين فنصبوه ملكا عليهم مما أحنق أبريس عليه ودارت الحرب بينهما ولكن النصر كان حليف أمازيس، ورغم ذلك أشركه فى الحكم إلا أن أبريس ما لبث أن ثار فقتله أمازيس وانفرد بالحكم.

وظل أمازيس على تشجيع اليونانيين بينما تظاهر بإيقاظ الشعور الوطنى، وقد تغالى فى تشجيع اليونانيين ومنحهم كثيرا من الامتيازات بل وتبرع للمعابد فى اليونان نفسها وأهدى لبعض حكامها الهدايا، ومع أن مظاهر النهضة كانت واضحة فى عهده إلا أن زيادة عدد الجيش وقوة الأسطول تطلبت كثيرا من النفقات التى اضطرته إلى الإستيلاء على بعض دخل المعابد فأفادت من ذلك السلطة المركزية بطريق غير مباشر لأنه أضعف نفوذ الكهنة – ومع أنه تمكن من بسط نفوذه على بعض سواحل البحر المتوسط فإنه لم يكن أكبر قوة فى الشرق واستمر خطر بابل يتهدده، كما ظهرت قوة جديدة هى مملكة فارس التى تحركت جيوشها وعبرت الفرات لتهاجم ليديا فى غربى آسيا الصغرى وكانت مصر وبابل واسبرطه قد وعدت بمساعدة هذه المملكة ولكن مصر كانت هى الوحيدة التى احترمت كلمتها –

وبعد أن هزم الفرس مملكة ليديا أخضعوا كلا من سوريا وفينيقيا أيضا ولم يبق أمامهم سوى بابل ومصر، وما لبثت بابل أن هزمت وسقطت عاصمتها نينوى على يد كورش ملك الفرس وبذلك ازداد الخطر على مصر حيث أصبحت وحدها أمام قوة الفرس الهائلة.

الأسرة السابعة والعشرين ونهاية الأسرات :

انتقلت مصر إلى أيدي الفرس ، الذين يمثلون الأسرة السابعة والعشرين لدى مانيتون حيث نجح قمبيز فى الإستلاء على الفرما ومنف وهزيمة بسماتيك الثالث بمساعدة أحد المرتزقة اليونانيين الخونة ويدعى (فانيس).

ولم يستغرق حكم قمبيز أكثر من ثلاث سنوات أخرى ولم يوفق فى أية حملات أخرى فكر فى القيام بها، فالحملة ضد القرطاجيين انتهت إلى غير نتيجة لأن الفينيقين أبوا أن يحاربوا ضد ابناء جلدتهم، أما الحملة التى حفزت إليها مطامع أكبر ضد الاثيوبيين والتى أسهم فيها قمبيز بشخصه ففشلت فشلا ذريعا بسبب الاهمال فى اعدادها، وأما القوات التى أرسلت عبر الصحراء إلى الواحة التى استشار فيها الاسكندر الاكبر بعد ذلك بقرنين وحى أمون (واحة سيوة) فقد اغرقها طوفان عاصفة رملية فلم يظهر لها أثر، وقد بلغ غضب قمبيز من هذا الفشل المتتابع مداه ويقال أنه أدى به إلى الجنون ومع ذلك فإنه استطاع أن يستحوذ على مصر كلها، ويشير هيرودوت إلى أن قمبيز كان وحشا يتسم بالقسوة وعدم التقوى وأن جنونه وصل به إلى ذروته بقتل العجل المقدس أبيس ومع ذلك فإن هذا الأمر بعيد الاحتمال كنتيجة لدليل مستقى من السرابيوم فهناك عجلان مقدسان سجل موتهما فى عهده وسجل على نقوش أحد توابيتهما أن الذى كرسهما لهذا الأمر هو الملك الفارسى نفسه، والواقع أن الوثيقة اليهودية المؤرخة بعام ٤٠٧ ق.م. تتحدث عن «تدمير كل معابد آلهة مصر فى عهد قمبيز، ولكن علينا أن ندرك أن السمعة السيئة لهذا الملك كانت قد بلغت إذ ذاك مداها من الانتشار، وقد

يعزى ما تم من خسارة فى هذه الناحية إلى الكف عن تقديم المنح الرسمية المادية التى كانت سارية من قبل، وسنرى أن موظفا كبيرا يقدم وجهة نظر أقل قسوة بالنسبة لهذا الغازى وقد حرص هذا الموظف على أن يسجل احتفاظه بما اسدى إليه من معروف ببقائه فى منصبه الهام خلال الحكم التالى، وقد تركت مصر عند عودة «قمبيز» إلى آسيا فى عام ٥٢٢ ق.م. تحت أمرة والى «ستراب» هو اريااندس الذى اتهم فيما بعد بالخيانة وعدم الولاء فأعدم.

وفى الوقت نفسه ادعى «جاوماتا» الماجى أنه سمردس الحقيقى وكسب أعوانا كثيرين فى أنحاء الاقاليم الفارسية. والروايات متباينة فيما يتصل قمبيز الذى ربما حدث عند عودته إلى بلاده ليحارب المدعى. وقد انتقل العرش إلى «دارا الأول» وهو أحد أفراد أسرة كيروش وتم تنظيم الامبراطورية الفارسية خلال حكمه الطويل الذى بلغ ستا وثلاثين سنة (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م.) بادارة بالغة الكمال ومع ذلك فإنه قلما نعرف شيئا عن الاحداث فى مصر خلال هذه المرحلة، وقد شغلت سنى حكمه الأول بقمع مشوب بالقسوه للثورات والاضطرابات التى نشبت فى أعقاب ذبحة لعدوه جاوماتا في فارس ولم يكن فى استطاعته أن يقوم بزيارة لمصر إلا حين حل عام ٥١٧ ق.م. أو حول ذلك، ولعل مما له أهمية على أية حال من ناحية الاشارة إلي اهتمامه بالحضارة القديمة للبلد الذى أصبح واقعا تحت حكمه أنه أرسل إلى الـ «ستراب» فى عامه الثالث يأمره بأن يجمع أعقل الرجال من بين جند بلاده وكهنتها وكتابها ثم كلفوا بكتابة القانون الكامل لمصر حتى عام ٤٤ من حكم أماسيس وهو عمل ظلوا مشغولين به حتى عامه التاسع عشر، وليس هناك ما يدعو للشك فى صحة هذا الامر الملكى وأن كنا لا نعرفه إلا من نسخة متأخرة جدا على خلفية بردية ديموطيقية تحوى متنوعات، والواقع أنها تؤكد ما يرويه ديودور (١: ٩٥) عن داراً من أنه يعد من بين أكبر من شرعوا القانون فى مصر، ويعدل هذا

الامر فى الاهمية تلك المعلومات التى نستقيها من عدد ضخم من اللوحات تؤكد كذلك ما يرويه هيرودوت (٢-١٥٨، ٤ : ٣٩) عن اتمام داراً للقناة التى توصل النيل بالبحر الاحمر، وكان نكاو قد اضطر للتخلى عن المشروع ولكن دارا لم يقم باصلاح القناة كلها فحسب بل استطاع كذلك أن يوجه فيها أربع وعشرين سفينة محملة بالجزية إلى فارس، وقد أقيمت اللوحات التى تخلد ذلك الأمر على مراحل على طول ضفتى القناة مكتوبة بالهيروغليفية وبالمسمارية وإن كانت فى حالة تدعو للأسى ولكنها تروى القصة بصورة لا يمكن أن تخطئها، وهناك أكثر من دليل يشير إلى أن داراً اتبع فى حكمه لمصر مبدأ اصطناع شرعيته كفرعون يتابع تنفيذ مشروعات أسلافه الساويين وهو وحده من بين ملوك الفرس من تابع أعمال التشيد فى معابد الآلهة المصريين، فاقامة المعبد الضخم المحفوظ جيدا حتى الآن وهو معبد أمون فى واحة الخارجة ترجع إليه وحده تقريبا، وهو يصطنع هنا-- كما فعل قمبيز من قبل – الالقاب الفرعونية الكاملة، وهناك قائد كانت مهمته أن يستدعى عمد البلاد ليحضروا الهدايا لتحنيط العجل أبيس وكان يحمل نفس اسم الملك أمازيس مسجلة في خرطوش وإن كانت اللوحة تشير إلى الغزو، وهناك كذلك خنم ابيرع المشرف على الاعمال فى الارض قاطبة كان لقبه مماثلا لنفس اسم الملك، وتتتابع نقوشه الصخرية الكثيرة فى وادى الحمامات من آخر سنى حكم أماسيس حتى العام الثلاثين من حكم داراً، ولكن التخليد الوحيد بالهيروغليفية عن كل العصر الفارسي، هو ما نجده فى سيرة حياة أحد الافراد وهو نقش على تمثال جميل فى الفاتيكان كان يصاحبه أودجاحارسنه قائدا للسفن التى ترتحل فى البحر فى عهدي أمازيس وبسامتيك الثالث ولكن رواية عمله التالى تبدأ بوصول الفرس إلى بلاده.

«وجاء إلى مصر الرئيس الكبير لكل بلد أجنبية، قمبيز، وكان معه الاجانب من كل البلاد وحين تملك الأرض كلها- استقروا هناك حتى يصبح الحاكم العظيم لمصر والرئيس العظيم لكل بلد أجنبى وأمرنى جلالته أن أكون

كبير الأطباء وعيننى إلى جانبه كرفيق ومدير للقصر وجعلت كنيته فى لقبه كملك لمصر العليا والسفلى مسوتى رع وجعلته يعرف عظمه سايس التى هى مقر نيت العظمى الأم التى ولدت رع والتى كانت أول من بدأت الولادة بعد أن لم تكن هناك ولادة».

والفكرة التى تضمنتها الكلمات الأخير، تتوسع بسبب ذكر المعبد الفعلى لـ نيت وكذا مصليات أخرى فيما كانت تعرف بالعاصمة الساوية، ثم يتابع المتحدث قوله فى ناحية أخرى من التمثال:

« قدمت ملتمسا إلى جلالة ملك مصر العليا والسفلى قمبيز يتصل بأولئك الاجانب الذين استقروا فى معبد نيت وأمر جلالته أن يبعدوا عنه وأن يغزو معبد نيت كما كان من قبل فى كل جلاله وبهائه، وأمر جلالته أن يطرد من معبد نيت كل الاجانب المستقرين وأن تهدم بيوتهم الموجودة فى أحواشه وأن يلقى بمتاعهم خارج أسواره وأمر جلالته بأن ينظف معبد نيت وأن يحل به ناسه مع كهانة المعبد وأمر جلالته أن يمنح الايرادات إلى نيت العظمى أم الاله وكذا اللآله العظام الذين فى سايس كما كانت الحال من قبل وأمر جلالته أن تقام الاعياد والاحتفالات والمواكب التى كانت تقام من قبل. وفعل جلالته هذا كله لأننى جعلت جلالته يقدر عظمة سايس، أنها مدينة كل الآلهة وهم يستقرون فوق عروشهم فيها إلى الابد».

ومن الطبيعى أن «اودجاحاررسنه» اهتم فقط بأن يباهى بنفوذه على مولاه الجديد ولكن ليس هناك ما يدعونا للشك فى أن قمبيز رغب – حين راقه الأمر– أن يمجد آلهة مصر ويشير النص إلى أنه تقدم إلى الربة وأظهر خشوعه أمامها كما كان يفعل كل ملك من قبل ثم أقام لها وليمة بعد ذلك– ومن الواضح أنه رغم التحيز البين فى هذه الفقرات فإنها يجب أن توضع مقابل اللعنات والشتائم التى يعد هيرودوت مسئولا عنها، وأنا لنرى أودجاحاررسنة يمس مسا خفيفا أمر «الاضطراب الشديد الذى حل بكل

أرض مصر» ولكن هناك ما هو ادعى لاثارة الانتباه فى هذا النص الفريد وأن كان يكفى هنا أن نشير اشارة موجزة إلى بيت الحياة أو الـ «سكربتوريا» التى أرسل «دارا»- وهو فى عيلام - أودجاجاررسنة ليعيد تأسيسه فى مصر وقد امر أن يمون بالموظفين «من أصحاب المراكز على ألا يكون من بينهم رجل فقير» ومن الواضح أن أودجاجاررسنة كانت صلته بالادارات المتصلة بالطب فهو لم يكن كبير الأطباء فحسب بل أن النص يشير إلى هدف ال «سكربتوريا» الذى كان عليه تأسيسه بأنه «لاحياء كل ما هو معتل» وعلى أية حال فإن هذه الجمل تكشف من جديد عن طريقه المستنيرة التى مارس بها داراً واجباته كملك على مصر فهو لم يكن مجرد طاغية تواق للسلطان يرضى بأن يترك شئون ولاياته فى أيدى ولاته.

وهناك بردية ديموطيقية كبيرة عثر عليها فى الحيبة استطاع «جريفث» أن يفك رموزها بصورة تدعو للاعجاب وهى تعدل النص السابق أهمية من ناحية تاريخ تلك المرحلة، وأن كانت من طبيعة تختلف تماما عنه، والبردية عبارة عن شكاية ربما كتبها فى العام التاسع من حكم داراً كاتب متقدم فى السن من أحد المعابد يدعى بتيزه، وهو يشكو من أضرار حاقت به وبأسرته فيما يتصل بكهانة أمون فى موطنه تويد زوى (الحيبة) وكذا فيما يتصل بكانهة آلهة آخرين حملوا معهم الموارد الرئيسية. والقصة التى يرويها بتيزه بالغة التعقيد والارتباك كما أن الاحداث التى يرويها ترجع إلى ما قبل ذلك بمائة وخمسين سنة إلى السنة الرابعة من عهد بسامتيك الأول، وكان سلفه من ذلك الاسم يحمل اسمه نفسه قد رمم المعبد المهدم لأمون بالانابة عن ابن عمه وهو بتيزة آخر كان رئيس الأسطول يقيم فى هرقليوبوليس ماجنا وكان الحاكم الفعلى لمصر العليا وقد اسندت إلى بتيزه الاول كل الكهانات المذكورة مكافأة له على هذه الخدمات، ولكن خلفا له بعد أربعة أجيال كانت له قضية قائمة تتصل بجريمة قتل وسجن وكان له العديد من الاعداء من ذوى

الشخصيات نجحوا من وقت لآخر بمعونة السلطات العليا القائمة في أن يحرموا أسرة يتبزه من حقوقها وقد عاونهم في ذلك آخرون وصفوا عادة بأنهم «الكهنة» ولسنا نستطيع هنا أن نقوم بمحاولة لتقييم الدقة التاريخية لهذا كله ولكن مما ليس يحتمل الجدل أن العالم الذى تتناوله البردية كان عالم اختلاس وابتزاز وفساد. وهناك اشارة تتصل بمصدر آخر تذكر رئيس الأسطول نفسه التقينا بها من قبل عند الحديث عن الترتيبات لرحلة زوجة الاله «نيتوكريس» إلى طيبة، وبقدر ما كان حكم «دارا» يتسم بالتعقل والاستنارة فإن امبراطوريته بلغت من الاتساع حدا لا يسمح بأن تظهر عليها على الفور علامات القابلية للانكسار، وقد ثارت المدن الايونية في عام ٤٩٩ ق.م. وأصبح الأمر أمر وقت لتقوم الحرب بين فارس واليونانيين الغربيين بعد أن قدمت أثينا وأرتريا العون لهذه المدن الثائرة ولم تلبث الهزيمة المدوية لـ أرتافرنيس ابن أخ دريوس في ماراثون (٤٩٠ ق.م.) أن ادت إلى انعكاس خطير في الشرق الأوسط كله، ففي عام ٤٨٦ ق.م. ثار المصريون ولم يقدر لثورتهم أن تخمد نهائيا حتى العام الثانى من حكم اكزركسيس الذى خلف أباه قرابة نهاية عام ٤٨٥ ق.م. ويروى هيرودوت أن الحاكم الجديد «أنزل مصر إلى لون من الاستعباد أقسى مما عرفته في عهد داراً ولسنا في حاجة إلى القول بأن اكزركسيس أفاد من سلطانه هناك ليبلغ أهدافه فقد لعب أسطول مصرى ضخم دوراً هاما قبل معركة سلاميس التى سعى من ورائها للانتقام من اليونانيين.. ولم يفعل اكزركسيس سوى القليل - بل لم يفعل شيئا - لصالح المصريين أنفسهم، وآثار العهد تكاد تكون بكماء، فلم تبن معابد ولم يستخدم سوى قلة من المصريين ويبدو أن مصر العليا كانت هادئة تماما خلال تلك السنوات ونستطيع أن ندرك ذلك من وراد زيارات متعاقبة كان يقوم بها فارسى على فترات إلى وادى الحمامات بدأت للمرة الأولى من العام السادس من حكم «قمبيز» واستمرت حتى العام الثانى عشر من حكم اكزركسيس، وهو

يشير إلى شخصه بوصفه حاكم فقط وربما كان مكلفا بحماية الطريق إلى البحر الاحمر، وقد قام أخوه الاصغر من بعده بزيارات مماثلة فى عهد اكرزكسيس وأضاف إلى اسمه الفارسى الاسم المصرى الصميم «زيحو».

وقد حدثت حوالى هذه الفترة تغيرات كبيرة فى حضارة أرض الفراعنة التى ظلت حتى اذ ذاك تسير على وتيرة واحدة تقريبا، وكان الاهلون - كما كانت الحال من قبل - يمارسون أعمالهم الشخصية بلغتهم مستخدمين فى ذلك اسلوب الكتابة الذى عرفه اليونان تحت اسم «انكوريالى» أو «ديموطيقى» وكانت مصر حتى الآن - فيما يتصل بالحكومة - أبعد أقاليم امبراطورية أجنبية كبيرة وقد ترك الملك الفارسى المولى، المقيم فى سوسة أو بابل الادارة الحقيقية فى يد حاكم محلى يعرف بـ «ستراب» (والى) وقد استخدمت الارامية لغة وكتابة فى كل الشئون المكتبية، وكلمة آرامية اصطلاح سامى شمالى استطاع أن يمتد إلى ميزوبوتاميا مع المسبيين هناك مثل اليهود المنفيين الذين سمح لهم كيروش أن يعودوا إلى موطنهم الاصلى، وقد حل هذا المصطلح تماما محل العبرانية فى فلسطين، وليس لنا أن نتخيل أن استخدام الآرامية فى مصر كان مقصورا على اليهود وإن كانت هذه الانطباعة قد يدعو إليها ما عثر عليه من العديد من البرديات الكثيرة في مدينة القتين شمال الجندل الاول مباشرة، والحق يقال أن الاشخاص الذين تناولهم الحديث فيها كانوا جميعا أو فى معظمهم يهودا، ولكنهم كانوا أيضا أعضاء فى حامية الحدود ومن ثم فإنهم يعملون فى خدمة النظام الفارسى. ولعل اكثر الأدلة ابانة على أية حال أن الآرامية كانت هى الوسيط فى تنفيذ أوامر الادارة الفارسية مجموعة من الخطابات وجه معظمها الوالى الفارسى الذى كان يباشر سلطاته خلال كل الربع الأخير من القرن الخامس إلى أتباعه فى مصر. وقد صدرت هذه الخطابات المكتوبة على الجلد من مقر الوالى الذى ربما كان مدينة منف، وقد اشتراها تاجر لم يستطع، أو لم يشأ أن يكشف عن المكان الذى عثر عليها فيه.

ولسنا نعرف سوى القليل أبعد من ذلك عن مصر في القرن الخامس عن غير طريق المؤرخين اليونانيين الذين لا نجد في رواياتهم سوى ما يتصل بعلاقاتها بالاثينيين وقد أعقب الاضطرابات التي تلت مقتل اكزركسيس الأول (٤٦٥ ق.م.) شغب شديد في شمال غرب الدلتا، فقد ثار ايناروس بن - بسماتيك والاسمان مصريان وإن كان ثيوسيدس يطلق عليه لقب ملك الليبيين - وجعل من حصن ماريا الذي لا يبعد كثيرا عن الاسكندرية قاعدة له، وقد حدث أول صدام بالفرس عند بابريمس وهو مكان لا يمكن تحديده تماما ويقع ناحية الغرب على أية حال، وقد هزمت القوة التي تحركت تحت امرة الوالي اخمنيس - شقيق اكزركسيس - وقتل هو، واما بقية الجيش فانسحبت إلى منف وتحصنت بها واستطاع ايناروس بذلك أن يضع يده على الدلتا كلها ولكن يبدو أنه لم يعلن نفسه ملكا، وكان الخلاص الذي لا مناص منه من الحكم الفارسي يراود النفوس من بعيد، وقد سعى ايناروس إلى تحقيقه عن طريق التماس عون الاثينيين الذين كانوا إذ ذاك قد تفوقوا في حروبهم ضد الفرس في قبرص، وقد تم عن طريق هذا العون الاستيلاء على ثلثي منف أو «الحائط الابيض»... كما أشار إليها ثيوسيدس عن حق - ولكن الثالث الباقي ظل في قبضة الفرس حتى تمكن القائد الفارسي ميجابيزوس أن يرد المحاصرين الذين وجدوا أنفسهم بدورهم محاصرين في جزيرة في المستنقعات تدعى «بروزبيتس» ولكن نصر ميجابيزوس لم يتحقق حتى عام ٤٥٤ ق.م. وقد استطاعت قلة من الأثينين أن تهرب كما أمكن القضاء على عدد من السفن جاءت متأخرة لتمد يد المساعدة، وقد سقط ايناروس نفسه في أيدي الفرس ثم صلب، ومع ذلك فإن هذه لم تكن خاتمة الثورة فقد ظل أحد القادة في أقصى الركن الغربي من الدلتا، وقد استدعى بدوره الاثينيين من جديد ليعاونوه وتحركت بعض سفنهم فعلا، ولكن موت القائد اليوناني «سيمون» في قبرص كان سببا في عودتها. وقد أعلنت الهدنة عقب ذلك بين

أثينا وفارس وانتهى أمر تدخل الأولى فى الشئون المصرية (٤٤٩-٤٤٨ ق.م.).

وقد ساد السلام مصر جميعها فيما عدا غرب الدلتا وقد قوبل بالترحاب الاجانب من كل البقاع وبخاصة اليونانيين الذين اتسعت تجارتهم بحيث لم تعد نقراطيس أهلا للاحتفاظ بمركزها الاحتكارى وفقدت بذلك أهميتها الملحوظة وقد قام هيرودوت بعد عام ٤٥٠ ق.م. بقليل بجولة فى مصر، ولئن كانت الدعاوى الملفقة بغير شك التى تشير إلى أن فلاسفة القرن السادس أمثال «ثاليس» و «بيثاجوراس» قد أخذوا الكثير من حكمتهم من مصر فان هذا يدعونا لان نرتاب كذلك فيما يتصل بـ «ديموقريطس» الابديرى و «افلاطون» ولسنا نستطيع من ذلك الا القول بأن البلاد كانت مفتوحة أمامهم، وقد نشأت من غير شك بعض الكراهية ضد الاجانب بل ربما حدثت ثورة صغيرة ضد الحكام الاجانب، ولكن الامر فى مصر العليا بخاصة كان يتطلب اختلافات فى الجنس والدين ليحيل أى قلق إلى اشعال ثورة، وقد تم أمر مماثل لهذا فى جزيرة الفنتين فى عام ٤١٠ ق.م. ذلك أن من كانوا يعبدون ياهو (اليهود) كانوا يعيشون ملاصقين لكهنة الاله خنوم ذى رأس الكبش وقد أفاد الكهنة الوطنيون من وجود الوالى ارساميس بعيدا فى الخارج ليقدموا رشوة للقائد المحلى فيداراناج وكانت نتيجة ذلك هدم المعبد اليهودى تماما، وقد عوقب فيداراناج ومع ذلك مر وقت طويل قبل أن يعاد بناء المعبد، وتشير البردية الآرامية التى تتناول هذا الامر إلى شكوى أرسلت إلى باجواس رئيس الجالية اليهودية تلتمس اعادة البناء ويبدو أنها لقيت قبولا.

والسنوات الاربعون التى تنتهى بموت دارا الثانى فى عام ٤٠٤ ق.م. خالية تماما من أية اشارة تتصل بمصر، ولسنا نراها تدخل فى خضم الاحداث حتي ولاية اكزركسيس الثانى حين تعاود الظهور علي مسرح الشرق الاوسط، وينهى مانيتو عند هذه النقطة الاسرة السابعة والعشرين من الحكام

الفرس ويجعل أسرته الثامنة والعشرين تحوى ملكا واحدا هو أميرتايوس الساوى الذى يحتمل أنه كان من أقرباء أميرتايوس الذى حمل من قبل لواء الصراع لذى بدأه ايناروس بعد أن قبض أعداء الاخير عليه، ويشير المؤرخون اليونانيون إلى الفرعون الجديد اشارة تحتمل الشك ف « ديودورس» ، وهو عهدتنا هناك - يطلق عليه خطأ «بسامتكوس»، من نسل بسامتكوس المشهور» وتشير القصة هناك إلى أنه بعد معركة سيناكسا (٤٠١ق.م.) التى هزم فيها الامير المتمرد كيروش ثم قتل، وهرب صديقه القائد البحرى تاموس- الذى كان قد عينه حاكما على ايونيا- إلى مصر فرارا من انتقام والى اكرزكسنيس الثانى المدعو تسافرينس، وقد نقل معه كل سفنه ولكن أميرتايوس - أن كان هو بسمتكوس الذى يشير إليه ديودورس - قتل تاموس، وتشير رواية مصرية من العصر المتأخر أن أميرتايوس اعتدى بصورة ما على أحكام القانون ومن أجل ذلك لم يسمح لابنه أن يخلفه ويلاحظ أن الاعتقاد بأن النجاح فى الدنيا والسلوك القويم مرتبطان بعضهما ببعض أوثق ارتباط يلقى صدى فى تلك البردية السرية العجيبة التى تحمل تسمية غير دقيقة هى «الاخبار الديموطيقية، وهى البردية نفسها التى عرفنا منها أمر استرداد «قمبيز» للمنح التى كان قد وهبها للمعابد وكذا أمر داراً بتسجيل قوانين البلاد كتابة وعلى أية حال فإن ما يعنينا هنا ما جاء على الوجه الرئيسى للبردية وهو عبارة عن خليط من تواريخ تقاويم واعياد واشارات جغرافية ربما لا تكون لها قيمة أو معنى بالنسبة لنا بغير ما تعينه أو تشير إليه من تنبؤات تصحب كل فقرة وهى ذات أهمية تاريخية كبيرة بقدر ما تشير فى تتابع سليم إلى مجموعتين من الملوك «جاءوا بعد الميديين» (أى بعد الفرس) من أمير تايوس حتى تيوس، ثاني ملوك الاسرة الثلاثين طبقا لما نيتو ويزعم النص التكهنى بهذه الصورة ايجاد صلة سببية ونتيجة بين السلوك الذى يتسم بالفضيلة وبين الحياة الناجحة على الارض وهو من ثمار تفكير كهانه القرن الثانى قبل الميلاد.

ويشير مانيتو إلى أن أمير أميرتايوس حكم ست سنوات وربما كان هذا صحيحا مادامت البردية الآرامية من الفنتين تشير إلى وعد بسداد أحد الديون مؤرخ بالعام الخامس له، ولسنا نجد أشارة له بعد ذلك ألا فى خطاب من المصدر نفسه يذكر اسمه فى اتصال وثيق باسم نفريتس خلفه المباشر.. ولسنا نجد له آثارا خلفها.. وهكذا فإننا لا ندرى كيف جاء إلى العرش وكيف فقده.

ومن هذه المرحلة حتى غزو الاسكندر الاكبر فى عام ٣٣٢ ق.م. نجد أن الهدف الوحيد لسياسة مصر الخارجية هو الدفاع عن استقلالها ضد امبراطورية ظلت تتشبث بفكرة انها ليست سوى اقليم ثائر - ولقد كانت سياسة مصر هذه ناجحة فيما عدا فترة عشر سنوات قرب النهاية وكانت هناك عقبة دائمة على أية حال هى المنافسة بين مختلف عائلات أمراء الدلتا، وقد برزت الأسرة التاسعة والعشرون- طبقا لمانيتو - (وآثارها منتشرة فى مصر حتى طيبة جنوبا) من المدينة المشهورة مندس «تمى الأمديد» وهى تضم أربعة ملوك حكموا قرابة عشرين عام (٣٩٩ - ٣٨٠ ق.م.) وكان يحمل أول الملوك - كما يحمل آخرهم - اسم نفريتس «نايف عاورود» وقد حكم نفرتيس الاول ست سنوات بينما لم يحكم نفرتيس الثانى سوى أربعة شهور، وهناك اختلاف بين قائمة مانيتو وبين «الاخبار الديموطيقية» يسبب ارتباكا بين بعض المهتمين بالدراسات المصرية ذلك أن مانيتو يضع اخوريس (وهو هكور أو هجور بالمصرية) قبل بساموثس (ابن موت) بينما تعكس البردية هذا الترتيب. والحل المحتمل هنا هو أن العام الاول للملكين واحد ومن ثم فان الرأيين صحيحان، و «بساموتس» آثار وحيدة فى الكرنك نقش عليها اسم «اخوريس» والذى حكم عاما واحدا بينما نجد لـ «اخوريس» آثار عديدة منتشرة فى أنحاء مصر تسير إلى أنه حكم مدى ثلاثة عشر عاما ولئن كنا أطلنا بعض الشئ بالنسبة لهؤلاء الفراعين غير الهامين فإن ذلك بسبب ما ذكرته «الاخبار

الديموطيقية» من ناحية الاحكام الخلقية التى سلفت الاشارة إليها وذلك لأنها تعكس بالتأكيد تاريخا صحيحا. وهكذا فإنه يقال عن أخوريس أنه استطاع أن يبلغ هذا المدى من الحكم «لأنه كان كريما بالنسبة للمعابد» ولكنه «خلع لأنه خالف القانون ولم يكترث باخوانه».

ونحن ندين للمصادر اليونانية بمعلومات أقل ابهاما فنعرف من اكسنفون أن فارس جمعت جيشا قويا فى فينيقيا كان الهدف منه من غير شك اخضاع مصر ولكن المشروع لم يتحقق بسبب مغامرة كيروش الخطرة التى لم تكلل بالنجاح وكان من أثر ذلك أن وجدت المدن اليونانية فى آسيا الصغرى، التى ظاهرته- نفسها فى خطر محقق، وقد خرجت اسبارطة - وإن كانت تحس بعظم ما هى مدينة به لكيروش- لانقاذها بانضمامها إلى مواطنيها الذين كانوا لا يزالون شديدى البأس (٤٠٠ ق.م) وقد استغرق الصراع عشر سنوات وسعت اسبارطة فى عام ٣٩٦ ق.م. للتحالف مع مصر وسرعان ما لبت مصر النداء، ويرى ديودروس أن المصرى نفريوس (أى نفرتيبس الاول) استجاب إلى دعوة الملك الاسبارطى اجسيلاوس بأن وضع تحت تصرفه نصف مليون مكيالا من الحبوب ومائة سفينة من ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف، وقد اشترط أن يحضر لأخذ هذه المنحة الطيبة الاسطول الاسبراطى، ولكن قبل أن يصل الاسطول الاسبراطى إلى رودس كانت تلك الجزيرة قد سقطت فى أيدى الفرس وهكذا فإن قائدهم البحرى كونون الاثينى استطاع أن يستحوذ على كل ما أسهمت به مصر.

ولم يمض سوى قليل حتى اعتلى اخوريس العرش (٣٩٣ ق.م.) وأدرك أن الحلف مع اسبارطة اثبت عدم جدواه فتطلع إلى السعى وراء عون آخر وجده فى عقد معاهدة مع ايفاجوراس الملك القوى الطموح فى سلاميس فى قبرص الذى كان قد استطاع قبل ذلك أن يجعل من نفسه سيدا على الكثير من المدن الاخرى فى الجزيرة - وكان ايفاجوراس صديقا للقائد البحرى

كونون ومن ثم فإن الارتباط به يحمل فى ثناياه الإرتباط المباشر باثينا، وكانت الحرب وقت ذاك قد اجهدت كلا من فارس، وأسبرطة وتمت معاهدة صلح انتالكيداس فى عام ٣٨٦ ق.م. أطلقت بمقتضاها يد فارس كل المدن اليونانية فى آسيا الصغرى مقابل الحكم الذاتى المستقل فى كل الولايات الهلينية الاخرى. وكان من أثر ذلك أن وجد اخوريس وايفاجوراس نفسيهما وحيدين كما وجد ارتكزركسيس نفسه حرا فى التعامل مع من يشاء، وكانت مصر أول من هاجم، وكانت قد أصبحت إذ ذاك قوية وغنية، وترك خبرياس – من خيرة قادة العصر – اثينا ليدخل فى خدمة اخوريس ولسنا نعرف سوى القليل عن هذه الحرب فيما عدا أنها امتدت حتى عام (٣٨٣ ق.م.) وإن ايزوكراتس الاثينى مؤلف المقطوعات القصيرة أشار إليها باحتقار. وقد اثبت ايفاجوراس قدرته على مد يد العون فتحرك بجيوشه إلى معسكر العدو واستولى على صور وبضعة مدن فينيقية أخرى ولكن حظه تعثر فحوصر فى مدينته سلاميس بعد أن هزم فى معركة بحرية هامة وقد ظل يتحدى الفرس أكثر من عشر سنوات، وكان اختلاف الثوار فيما بينتهم مما جعلهم يقبلون خضوعه على أسس مشرفة (٣٨٠ ق.م.) وبعد أن قضى وقتا طويلا كمولى مخلص للملك الفارسى راح فريسة مؤامرة، ولئن صدقنا ما جاء فى «الاخبار الديموطيقية» فإن سوء الطالع، أصاب أخوريس فى النهاية ذلك أنه بعد حكم نفريتس الثانى مدى أربعة شهور انتقلت الملكية إلى يد قائد من سبنيتوس (سنمود) وتضم الأسرة الثلاثون– طبقا لمانيتو– ثلاثة ملوك يتشابه اسم الاول والاخير منهم وهم : نخت نب أف (نختبنو «خبر كارع») أو نكتانبوس كما سماه الإغريق. ثم الملك «چدحر»، والملك الأخير فى الأسرة (نخت حرحب» نحتنبو الثانى (سنجم إيب رع)، ولقد أصبح من المؤكد اليوم رغم ما ثار من قبل من اختلاف حول أسبقية أحدهما على الآخر أن أسبقهما لولاية العرش هو نختنبو الأول وقد تترك كثرة آثاره التى خلفها فكرة عن سلم متصل وتقدم.

وقد قام بتشييد أقدم المبانى فى فيله وقد خلد ذكراه فى أدفو ما منحه من أرض كثيرة لمعبد حورس. وهناك لوحة كبيرة فى الاشمونين (هرموبوليس ماجنا) تسجل الاضافات الضخمة لمعابد الآلهة الموجودة فى هذه المدينة وقيامه بترميم القديم منها، كما أن هناك نقشا مكتوبا فى عناية ودقة عثر عليه فى نقراطيس يخلد فرض ١٠٪ ضريبة على الواردات إلى هذه المدينة وعلى البضائع التى تصنع بها وإن يخصص الايراد من هذه الضريبة للآلهة نبت فى سايس. ولكن هناك قصة تختلف تماما يقدمها لنا المؤرخون اليونانيون الذين يعد ديودروس مرة أخرى أول ممثليهم فى هذا الصدد يذكر أن ارتكزركسس الثانى (٤٠٤-٣٥٨ ق.م.) كان لا يزال يحكم فى فارس وإنه كان لا يزال على تصميمه من ناحية اذلال مصر بارجاعها إلى حالة التبعية السابعة. وعلى أية حال فإن استعداداته للغزو كانت تتقدم فى بطء شديد، وقد أضر فى أول الأمر على أن تستدعى اثينا قائدها القوى «خبرياش» من مصر وقد قنع بعد ذلك بأن يشغل وظيفة حربية فى بلاده، وقد ظلت الامور كذلك حتى كان عام ٣٧٣ ق.م. حين خرجت الجحافل الفارسية الضخمة ويقودها الوالى فارنابازوس وقائد اليونانيين المتطوعين ايفكيراتس من عكا. وحين وصلوا إلى بلوزيوم أدركوا أن الهجوم من هذه الناحية لا طائل من ورائه وأن واحدا من مصبات النيل الاقل تحصينا قد يؤدى إلى الهدف المطلوب، وقد استقر الرأى على ذلك وأمكن كسر الاستحكامات على الفرع المنديسى، وقتل الكثير من المصريين أو أسروا، وعمل ايفيكراتس وكان ذلك ضد رغبة فارنابازوس - على الاندفاع نحو منف، وبينما كان الصراع بين القائدين يؤخر الجهود الفارسى واستطاعت قوات نخب نب أف أن تلم شملها وأن تحيط الغزاة المحاصرين من جميع النواحى. وجاء فيضان النيل حليفا مسعدا فتحولت بعض أجزاء الدلتا إلى مستنقعات مما اضطر الفرس إلى الانسحاب، وهكذا افلتت مصر.

وقد تميزت السنوات التالية بحركات تمرد من جميع الولاة في كل الانحاء واستطاع خلالها نخب نب أف أن يؤمن نفسه بالعطايا من الذهب يمنحها لمختلف المحاربين، وقد خلفه عند موته عام ٣٦٣ ق.م. ابنه «جدحر» تيوس (تاخوس كما يسميه بعض الكتاب اليونانيون)، وكان والد نخب نب أف يحمل الاسم نفسه، ويبدو أن الوقت كان مناسبا لهجوم مباشر على الفرس، ووصل الملك الاسبرطي العجوز اجيسلاوس إلى مصر يصحبه ألف جندي مدججون بالسلاح حيث لحق به الاثيني خيرياس، وقد أصر تيوس في الهجوم على فينيقيا، الذي تلا ذلك (٣٦٠ ق.م.)، أن يتولى قيادة جنده من المصريين وقد أغضب اجيسلاوس ما أظهرته هيئته العجيبة وتصرفاته من اثارة للضحك، لكن «جدحر» تعرض لخيانة من داخل بيته في مصر حيث انقلب عليه أخيه وأشعل الثورة ضده في الداخل كما استدعى ابنه ليقود الثورة على عمه مما اضطر «جدجر» للهرب وطلب اللجوء إلى فارس حيث عاش ومات هناك في المنفى، بينما تولى العرش في مصر نخت حرحب (نختنبو الثاني).

ولئن نظرنا إلى الامور من وجهة النظر المصرية نجد أن حكم نخت حرحب (٣٦٠ – ٣٤٣ ق.م.) يكاد يبدو مطابقا لحكم نخب نب أف، فلقد د كل منهما مدى ثمانية عشر عاما، وكان نشاط كل منهما البناء ضخما، و كانت هناك في الوقت نفسه احداث تكاد تهز العالم في حيز الغيب.. ثم بدأت تدب حياة جديدة في كيان الامبراطورية الفارسية المهتزة بولاية ارتكزركسيس الثالث أوخوس (٣٥٨ ق.م.) فأعيد النظام بين ولاة آسيا الصغرى ولكن النشاط المطلوب لهذا الجهد حال دون التفكير في أي هجوم على مصر ومع ذلك فإن أوخوس أصبح مستعدا لذلك الامر في عام ٣٥٠ ق.م، وليست لدينا تفصيلات عن ذلك ولكن الحرب انتهت بفشل ذريع كان من نتيجته أن قامت الثورات ضد الاحتلال الفارسي في كل مكان وكانت فينيقيا وقبرص في مقدمة الثائرين وكان الجند اليونانيون والقواد اليونانيون قبل ذلك بزمن طويل

هم العماد الاكبر للطرفين ولكن مصر كانت أهم ما يتطلعون إليه بسبب الذهب والحبوب التى كانت تستطيع أن تقدمها فى وفرة ومن ثم كان اعادة اخضاعها أمرا بالغ الضرورة، ومع ذلك فإنه كان يجب الانتهاء أولا من فينيقيا وفلسطين ، كانت صيدا هى مركز الثورة وكانت قد قامت بما يدعو لاخذ الثأر حين وجهت ضربة عنيفة للمحتلين الفرس وخشى الصيدونيون مغبة الأمر فالتمسوا عون مصر، ولكن «نخت حرحب» قنع بأرسال فرقة محدودة من اليونانيين تحت قيادة أحد اليونانيين، ويذكر ديودور أحداث السنوات القليلة التالية فى تفصيل سنوجزه هنا : كانت استعدادات أوخوس على نطاق واسع، ولكنه استطاع حتى قبل وصول القوات الضرورية جدا من المدن اليونانية فى اليونان وآسيا الصغرى أن يوقع عقوبة فظيعة على صيدا التى تآمر مليكها الخائن «تنس» مع منتور لتسليم المدينة بينما أحرق المواطنون سفنهم كما فضل الكثيرون أن ينتحروا محترقين فى لهب بيوتهم.

وفى خريف ٣٤٣ ق.م. خرج الجيش الفارسى فى حملته الخطيرة ضد مصر وكان على رأسه الملك نفسه. وكانت بلوزيوم أول مدينة مصرية تعرضت للهجوم ولكنها قاومت مقاومة شديدة، وكان أوخوس قد وضع خطته على أية حال على أساس دخول الدلتا فى الوقت نفسه من ثلاثة أماكن مختلفة وقد تم له الدخول بالقرب من أحد مصاب النيل الغربية وكان فصل الفيضان قد انتهى فلم يعد هناك خوف من أن تتكرر المأساة التى حدثت منذ ثلاثين عاما، وقد لازم النحس المدافعين منذ البداية فقد خرج متطوعو اليونان تحت قيادة كلنياس الكوسى يهاجمون من القلعة المجاورة ولكنهم هزموا، أما هو فقتل واجتاح الرعب نخت حرحب فبدلا من أن يثبت فى مكانه تراجع إلى منف التى أعدها لمقاومة الحصار، ولكن بلوزيوم كانت قد سقطت فى الوقت نفسه واستسلمت حاميتها حين وعد بأنه سيعامل بالحسنى من يفعل ذلك وقد تكرر تأكيد هذا الوعد في كل مكان وسرعان ما جد المصريون واليونان فى المنافسة

فى الاسبقية فى الافادة من مظهر الرحمة هذا. وأما الجيش الثالث تحت قيادة منتور صديق أوخوس الحميم وحليفه باجواس فقد وفق كذلك وكان استيلاء القوات المشتركة على بوباستيس حدثا هاما سرعان ما استسلمت بعده مدن أخرى فى الدلتا وأصبحت مصر الآن تحت رحمة أوخوس وأدرك الفرعون عقم الموقف فجمع ما استطاع جمعه من مقتنيات وارتحل جنوبا إلى أثيوبيا ولم يسمع عنه بعد ذلك، وهكذا استطاعت مهارة أوخوس الحربية وحنكته السياسية أن تعيد مصر إلى حظيرة فارس من جديد. ونحن نورد هنا نص ما رواه ديودروس فى هذا الصدد :

بعد أن أستولى ارتكزركسيس على مصر ودمر أسوار معظم المدن الهامة استطاع أن ينهب المعابد وأن يجمع كمية كبيرة من الفضة والذهب وأن ينقل الوثائق المكتوبة من المعابد القديمة التى أعادها فيما بعد باجواس إلى الكهنة المصريين مقابل مبالغ ضخمة ثم كافأ بسخاء اليونانيين الذين صحبوه فى حملته كلا بما يستحق ثم سرحهم إلى بلادهم وجعل من فرنداتس واليا على مصر وعاد بجيشه إلى بابل وهو يحمل معه مقتنيات وأسلاب عبد أن ذاعت شهرة انتصاراته.

وليس من شك فى أن يد الغازى كانت ثقيلة على البلد المهزوم وأنا لنجد صدى العصر الوسيط الاول فى «الاخبار الديموطيقية» ولكن ليس هناك من سند يجعلنا نصدق ما يرويه الكتاب المتأخرون فى نسبتهم إلى أوخوس نفس اتهام انتهاك حرمة المقدسات الذى نسبوه من قبل إلى «قمبيز» فلقد كان هذا الملك الفارسى أعقل من أن يقدم على ذلك، ورغم ذلك فإنه لم يقدر لهذه القوة الضخمة أو الهيبة التى اكتسبها أن تعمر طويلا فقد دس له السم فى عام ٣٣٨ ق.م. صفيه باجواس ووضع فى مكانه ابنه الأصغر ارسس الذى قتله باجواس أيضا بعد ذلك بعامين وقد جلس على العرش من بعد أرسس أحد أقربائه البعيدين دريوس الثالث كودومانوس، وهو آخر الاخمينيين، وقد سارع

بتسميم باجواس هذا المجرم المتسلط الذى لقى جزاءه الحق، ويعد ديورس الثالث خاتمة الاسرة الحادية والثلاثين التى أضافها المؤرخون المتأخرون إلى أسرات مانيتو الثلاثين، وقد ظل حكمه على مصر اسميا مدى أربع سنوات وقد قدر للامبراطورية الفارسية أن تختفى قبل أن تحل نهاية هذه السنوات الاربع، ويدأ العالم القديم عصرا جديدا.

كان الحدث الضخم الذى قرر مصير مصر وحدد نوع حكوماتها خلال القرون الثلاثة التالية هو غزو الاسكندر الاكبر لها فى عام ٣٣٢ ق.م. ولقد كان ظهور مقدونيا كقوة متسلطة على العالم أمرا بدئ فى ادراكه منذ عام ٣٣٨ ق.م. حين استطاع اليونانى (وهو أمر يحتمل الشك) فيليب الثانى أن يقضي على كل مقاومة بهزيمته اثينا ثم طيبة عند خيرونيا وتأسيس العصبة الهلينية التى كان عليها أن تلم شمل اليونانيين تحت امرته، ولكن لم يستطع أحد إذ ذاك أن يتنبأ بالانتصارات الباهرة التى استطاعت خلال عشر سنوات أن تجعل من ابنه الصغير الاسكندر سيدا على العالم الشرقى كله بغير منازع - ويبدو أن الاسكندر نفسه كذلك لم يكن يدرك أهدافه تماما حتى غزا آسيا الصغرى واضطر داريوس إلى الهرب فى معركة ايسوس على بعد خمسة عشر ميلا إلى شمال الاسكندرونة الحالية (٣٣٣ ق.م.) وحتى هذه المرحلة لم يكن فكرة يتجه فى أول الأمر لمطاردة العاهل الفارسى بل لاخضاع سورية ومصر. وكان حصار صور عملية طويلة مرهقة ولكن لم يكن هناك شئ يعوق مسيرته بعد التغلب علي هذه العقبة حتى وصل إلى غزة التى قاومت فى استماتة، وحين وصل إلى مصر فى عام ٣٣٢ ق.م. استسلم الوالى الفارسى دون مقاومة وأسرع الاسكندر جنوبيا نحو منف وقدم التضحيات إلى العجل ابيس حيث اعترف به فرعونا ثم عاد بعد ذلك إلى الشاطئ وهناك على شاطئ البحر المتوسط بالقرب من قرية تدعي راكوتيس قام بتخطيط مدينة المستقبل العظيمة، مدينة الاسكندرية قبل أن يبدأ زيارته المشهورة إلى وحى أمون فى

واحة سيوه. ولسنا ندرى على وجه التحقيق أن كانت قد خطرت ببال الاسكندر إذ ذاك فكرة محددة عن تأليهه ولكن هذا الاثر المهيب فى حياته كان نتيجة محتومة للتراث المصرى العتيق ذلك أن الفرعون كان بالضرورة ابنا لأمون ومن ثم فهو نفسه اله. وقد أطال الاسكندر مكثه فى مصر بقدر ما مكنه من تعيين حكام وطنيين حتى يستطيع جمع الضرائب تحت أشراف مستشاره المالى «كليومنيس» (من نقراطيس) ومن تكوين جيش صغير تحت أمرة صديقه بطليموس ثم سارع بعد ذلك الذهاب لتصفية الامبراطورية الفارسية ولاستكشاف أقاليمها بعيدا حتى الهند، واما مصيره بعد ذلك فليس من اختصاصنا هنا فى هذا الكتاب، مهما يكن هناك من اغراء لمتابعة كفاح مثل هذا الاشعاع الذى لا نظير له، ولقد سقط فريسة عام ٣٢٣ ق.م. ومات هناك في أحد قصور بابل ولم يكن قد بلغ بعد الثالثة والثلاثين من عمره، قبل أن يتم العام الثالث عشر من حكمه.

وبعد وفاة الاسكندر كانت مصر من نصيب أحد قادته المسمى «بطليموس الأول» وبعد انتهاء فترة حكم البطالمة، خضعت مصر للحكم الرومانى، حتى تم فتح مصر فى القرن السابع الميلادى وتمتعت بنعمة الإسلام.

بيـــان
بالأسرات وأهم الملوك
منذ عصر الدولة الحديثة وحتى نهاية
العصر المتأخر الأخير

عصر الدولة الحديثة

ويشمل الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٦٧ - ١٣٠٤ ق.م.)

العاصمة طيبة

أحمس الأول

أمنحوتب الأول

تحوتمس الأول

تحوتمس الثانى

حتشبسوت

تحوتمس الثالث

أمنحوتب الثانى

تحوتمس الرابع

أمنحوتب الثالث

أمنحوتب الرابع (اخناتون) الذى نقل العاصمة إلى آخيتاتون (العمارنة)

سمنخ كارع

توت عنخ آتون (توت عنخ آمون)

آى

حور محب

الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ - ١١٩٤ ق.م.)

العاصمة (بر رعمسيس)

رمسيس الأول

سيتى الأول

رمسيس الثانى

مرن بتاح (منفتاح)

آمون مس

سيتى الثانى

سبتاح

كاوسرت

الأسرة العشرون : (١١٨٤ - ١٠٨٧ ق.م.)

ست نخت

رمسيس الثالث

رمسيس الرابع

رمسيس الخامس

رمسيس السادس

رمسيس السابع

رمسيس الثامن

رمسيس التاسع

رمسيس العاشر

رمسيس الحادى عشر

حويحور

العصر المتأخر الأخير

الأسرة الحادية والعشرون : (١٠٨٧ - ٩٤٥ ق.م.)

الملوك :

سمندس (نسبانب جد

بسوسنس الأول

أمن إم أوبى (امنموبى)

بسوسنس الثانى

«تانيس العاصمة»

(فى طيبة)

الكهنة :

باى نجم الأول

مـاحـــارتى

من خبر رع

الأسرة الثانية والعشرون : (٩٤٥ - ٧٣٠ ق.م.)

العاصمة : بوبسطة «شرق الدلتا»

شيشنق الأول

وسركون الأول

تكلوت الأول

وسركون الثانى

تكلوت الثانى

شيشنق الثالث

الأسرة الثالثة والعشرون : (٨١٧ - ٧٣٠ ق.م.)

يادى باست

شيشنق الرابع

وسركرن الثالث

الأسرة الرابعة والعشرون : (٧٢٠ - ٧١٥ ق.م.)

تف نخت (تفنخت)

باك ان رنف (بخورس)

العاصمة : (سايس «صا الحجر » فى غرب الدلتا)

الأسرة الخامسة والعشرون : (٧٤٧ - ٦٥٦ ق.م.)

آلارا (جد الأسرة)

كاشتا

بعنخى

شبكا

شبيتكو

طهر اقا

تانوت أمانى

الأسرة السادسة والعشرون (الصاوية) : (٦٥٦ - ٥٢٥ ق.م.)

بسماتيك الأول

نكاو

بسماتيك الثانى

راح ايب رع (أبريس)

أحمس الثانى (أمازيس)

بسماتيك الثالث

الأسرة السابعة و العشرون : (٥٢٥ - ٤٠٤ ق.م.)

قمبيز

داراً الأول

اكزركسيس

داراً الثانى

اكزركسيس الثانى

الأسرة الثامنة و العشرون : (٤٠٤ - ٣٩٩ ق.م.)

أميز تايوس

الأسرة التاسعة والعشرون : (٣٩٩ - ٣٨٠ ق.م.)

(العاصمة : مديس «تمى الأمديد وتل الربع شمال شرق السنبلاوين»)

نايف عاو رود (نفرتيس الأول)

أخوريس

نفرتيس الثانى

الأسرة الثلاثون : (٣٨٠ - ٣٤١ ق.م.)

العاصمة سمنود

نختنبو الأول

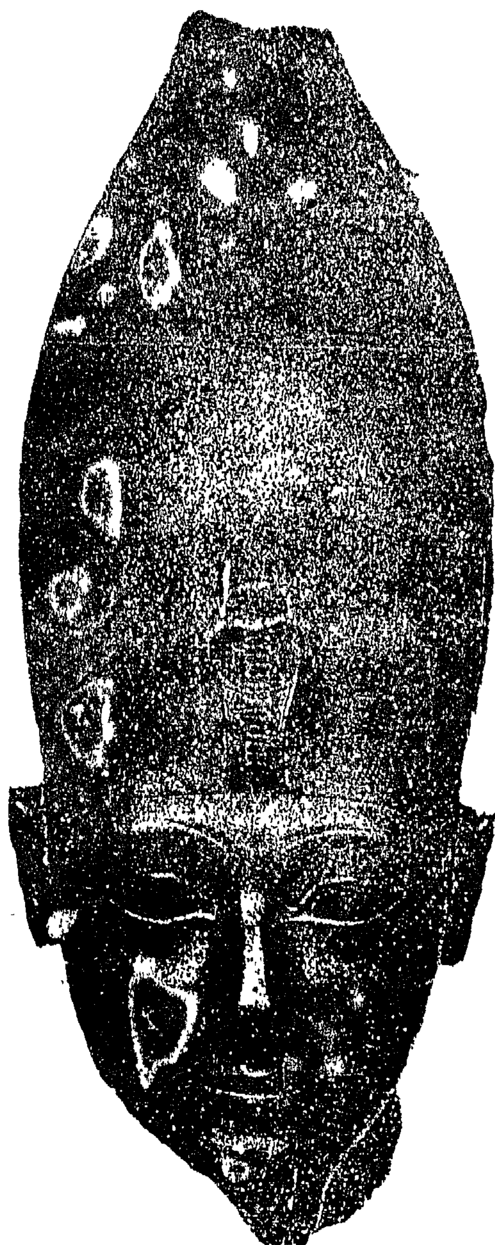
جد رحر

نختنبو الثانى

الأسرة الحادية والثلاثون (الفارسية) : (٣٤١ - ٣٣٢ ق.م.)

الاسكندر الأكبر (٣٣٢ - ٣٢٣ ق.م.)

١ ـ خريطة مصر والنوبة



ـ رأس تمثال من الشست للملك تحتمس الثالث .



٢٣ — جزء من نقش غائر بين الملك أوسركون الثانى وزوجته « كارع إمع » .

البحر المتوسط

مرملة بنى سلامة

المعادى

العمرى

منخفض الفيوم

جرزه

سيناء

البحرية

الصحراء

الغربية

مطمر

مستجدة

ديرتاسا

البدارى

الهمامية

قاو

محاسنة

العمرة

الداخلة

قنا

دير البلاص

نقادة

أرمنت

الأقصر

جبلين

اسنا

الكاب

هيراكونبوليس

الخارجة

البحر

الأحمر

كوم أمبو

أسوان

الجرف الكبير

بير طرفوى

ابو سمبل

بير صحرا

نهاله

جبل صحرا

جبل العوينات

وادى حلفا

شمال

صفر ١٠٠ ٢٥٠

اهم مواقع العصر الحجرى الحديث

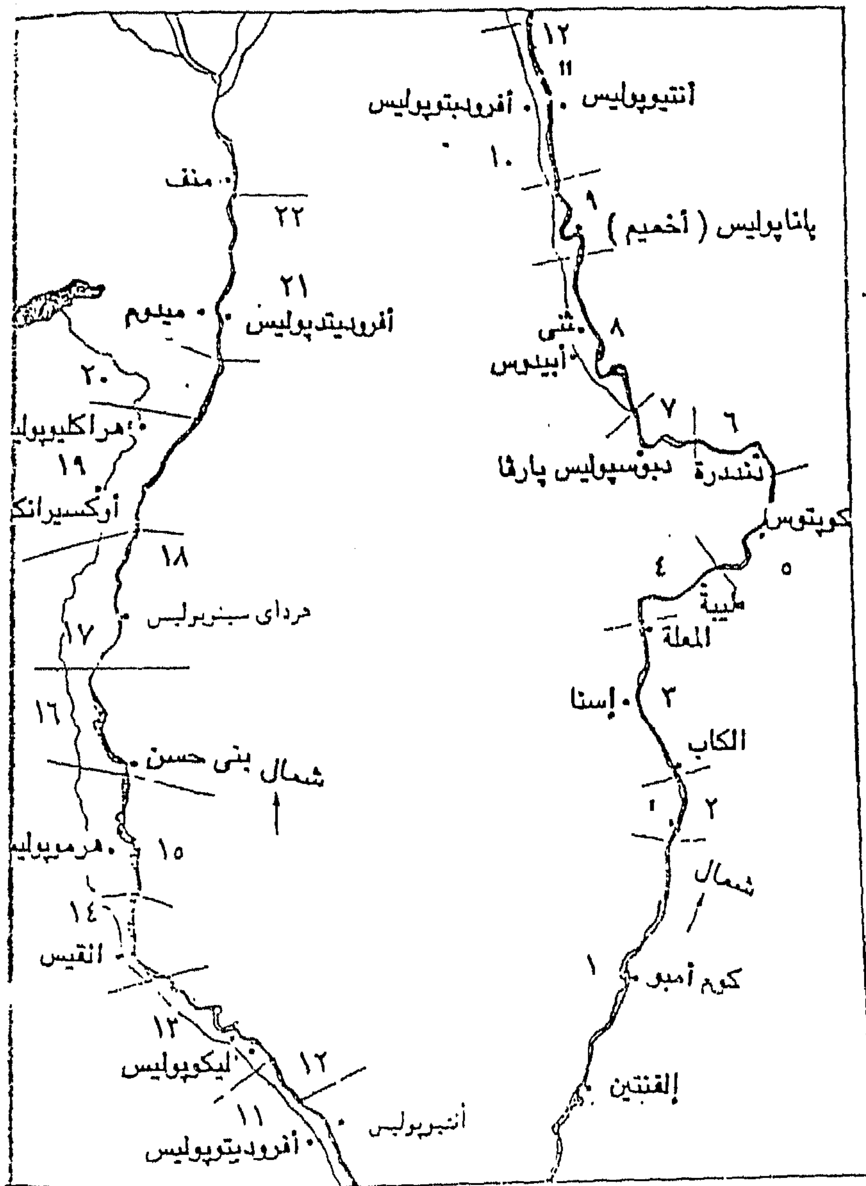
نقلا عن جرسال ، تاريخ مصر القديمة

خريطة أقاليم الوجه البحرى

نقلا عن جريمال ، تاريخ مصر القديمة

خريطة بالمدن التى بها أهرامات

نقلا عن جريمال ، تاريخ مصر القديمة



خريطة أقاليم الوجه القبلى

نقلا عن جرسال، تاريخ مصر القديمة

مراجع الباب الاول

أولا : المراجع العربية :

أحمد أمين سليم : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت.

أحمد فخرى : مصر الفراعونية، القاهرة، ١٩٥٧.

رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقية، جـ١، بيروت.

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٨٠.

―――――――――: حضارة مصر القديمة وآثارها، جـ١، القاهرة، ١٩٨٠.

عبد الحليم نور الدين : دراسة فى تاريخ وحضارة مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٧.

عبد العزيز فهمى صادق : فى الموسوعة المصرية، المجلد الأول، الجزء الأول.

محمد أنور شكرى : نفرتارى الملكة المؤلهة الجميلة، مجلة المجلة، العدد ٧٣، القاهرة، ١٩٦٣.

―――――――――: العمارة فى مصز القديمة، القاهرة، ١٩٧٠.

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية (حركات التحرير) الاسكندرية، ١٩٨١.

―――――――――: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ١، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٢.

―――――――――: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٢، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٤.

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ٤، اخناتون، الاسكندرية، ١٩٧٩.

—————— : دراســات فى تـاريخ الشــرق الأدنى القــديم، جـ٥، الحضارة المصرية، الاسكندرية، ١٩٨٤.

محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت.

محمد جمال الدين مختار : لمحة فى تاريخ مصر السياسى والحضارى، مجلد تاريخ الحضارة المصرية، القاهرة.

نبيل زكى مروان : الملكة نفرتارى زوجة الملك رمسيس الثانى وآثارها، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٢.

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية القديمة، جـ٤، الاسكندرية، ١٩٥٩.

——————: مصر ، الجزء الثانى ، الاسكندرية، ١٩٦٦.

ثانيا : المراجع المترجمة

ألسكندر شارف : تاريخ مصر، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٠.

أ. أرمان : ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، مراجعة محمد أنور شكرى ، القاهرة، ١٩٥٢.

——————: هـ. رانكة : مصـر والحيـاة المصـرية فى العصـور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، ١٩٥٣.

أ. جاردنر : مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٣.

جان يويوت : مصر الفرعونية، ترجمة زهران، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٦.

كريستيان د. نوبلكور : توت عنخ آمون، ترجمة أحمد رضا، محمود خليل النحاس- مراجعة أحمد عبد الحميد يوسف، القاهرة، ١٩٧٤.

مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، مراجعة نجيب ميخائيل، القاهرة، ١٩٥٧.

وولتر ايمرى : مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة حندوسة، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٠.

ثالثا : المراجع الأجنبية

Albright, W.F., "Cuneiform Material for Egyptian Prospography 1500-1200B.C.", JNES Vol. 5, No. 1, 1946 , pp.7-25.

------------, "The Amarna Letters form Palestine, in CAH, Vol. II, Part 2 A.

Aldred, C., "The End of the El-Amarna Period, The Family of Yuya" JEA, Vol 43, 1957, 30 - 41.

------------, New Kingdom Art in Ancient Egypt, London, 1961.

------------, "The Parentage of King Siptah", JEA, Vol 49, 1963, pp.41-48.

------------, Two Monuments of the reign of Horemheb" JEA, 44, 1968, pp. 100-106.

------------, Akhenaten, Pharaoh of Egypt, London, 1968.

------------, Akhenaten and Nefertiti, London, 1973.

------------, "The Amarna Period and the End of the Eighteenth dynasty", in CAH, Vol. II, part II A.

Ayrton, E.R., "The position of Tausert in the XIX th Dynasty", PSBA, Vol. 28, 1906, pp. 185 - 187.

Baikie, J., Egyptian Papyri and Papyrus Hunting, London 1925.

Von Beckerath, J., "Queen Tworse as Guradian of Siptah", JEA, Vol. 48, 1962, pp. 70-47.

------------, "Amenmesse", LA I, sp. 201.

------------, "Merit-Neith" LA IV , sp. 93.

------------, "Handbuch der Agyptishcen Konigsnamen, Munster,1984.

Blackman, A, H.,·On the Position of Women in the Ancient Egyptian Hierarchy" JEA, Vol. 7, 1921, pp. 8-30.

Blankenberg-Von Delden, C., The Large commemorative Scarabs of Amenhptep III, Leiden, 1969.

------------, C., "Additional remarks on Queen Ah-hotep" GM,49,1981, P. 17-25.

------------, " A Genealogical Reconstruction of the Kings and Queens of the Late 17 th and Early 18 th Dynasties ", GM, 54,1905

Breasted, J. H., A History of Egypt, London, 1905.

Brunner-Traut, E., "Nofretete", LA IV, sp. 520.

Brunton, G. et. al., Kings and Queens of Ancient Egypt, London,1930

Bruyere, B., Meret Seger a Deir El Medineh, MIFAO, 58, 1930.

De Buck, A., "The Judical Papyrus of Turin", JEA, Vol. 23, 1937, pp. 152-164.

Budge, E, Book of the Kings, Vol. I, London, 1910.

------------, "The Dwellers on the Nile Valley, London, 1926.

Buttles, J., The Queens of Egypt, London, 1908.

Casson., L., Great ages of Man, Ancient Egypt, Nederland, 1978.

Carter, H., "Report on the Tomb of Zeser-Ka-Ra Amenhetep I, Discovered by the Earl of Carnarvon in 1914", JEA, III, 1916, pp. 147-154.

Cerny, J., "Papyrus Salt 124. (Brit. Mus. 10055)", JEA, Vol. 15, 1929, pp. 243-248.

------------, Ancient Egyptian Religion, London, 1951.

Cerny, J., "Consanguineous Marriage in Pharaonic Egypt", JEA, Vol. 40, 1954, pp. 23-29.

Charles Cornell, V.S., "A Ramesside Ostracon of Queen Isis", JNES, Vol. 33, 1974, pp. 149-153.

Christophe, L., "Les Temples d'Abou-Simbel et la. Famille de Ramses II, "BIE, 38, 1965, pp. 1-138.

Cruz-Wibe, E., "The father of Ramses I", JNES, vol. 37, 1978, pp.237-244.

Daressy, G., "Sur la reine A Ahmes Henttamahou", ASAE, 9, 1908, pp. 95-96.

------------, "Les Parents de la Reine Teta-Chera", ASAE, Vol. 9, 1908, pp. 137-138.

------------, "Le Carcueil de Khu-N- Aten", BIFAO, 12, 1916, PP.61-63.

Davies, N. de G., Rock Tombs of El Amarna, Part I, The Tomb of

Meryra, London, 1903, Part II. The Tombs of Panchesy and Meryra II, London, 1905. Part III, The Tomb of Huya and Ahmes, with Appendix by De Riccl, S., London,1905.

Davis, T., The Tomb of Queen Tiye, Cairo, 1908.

Drioton, E, "Cryptogrammes de La Reine Nefertari", ASAE, 39, 1939, pp. 133-144.

------------, "Notes Diverses, ASAE, 45, 1947, pp. 53-92.

Drioton, E et Vandire, J., L'Egypte, Paris, 1938.

Drower, M.S.; "Syria 1550-1400 B.C., "CAH, Vol. II, Part I.

Eedgerton, W.F., "The Thutmosid Succession", SAOC, 8, Chicago, 1933, pp. 1-43.

------------, "The Strikesin Ramses III,'s Twentieth year", JNES, Vol. 10, 1951, pp. 137-145.

Edwards I.E.S., The Pyramids of Egypt, London, 1947.

------------, "The Early Dynastic Period in Egypt", CAH, Vol. I, Part,2.

El Amir, M. , "Monodomy, Polygamy, Endogamy and Consanguinity in Ancient Egyptian Marriage" BIFAO, 62,1964, pp. 103-107.

Eleonore Billde, Mot, The age of Akhenaten, London, 1965.

Emery, W.B., Great Tombs of the First Dynasty, Part II, London,1945

------------, Archaic Egypt, London, 1967.

Engelbach, R., "Material for Arvistion of the Heresy Period of the XVIII th Dynasty", ASAE, 40, 1940, pp. 133-164.

Fairman, H.W., and Gradseloff, E., "Texts of Hatshepsut and Sethos Inside Speos Artemidos", JEA, Vol. 33, 1947, pp. 12-33.

Fakhry,A.,New Speos from the Regin of Hatshepsut and Tuthmosis III at Beni Hassan"ASAE, 39,1939,pp.709-723

Faulknr, R.O., The Wars of Sethos I" JEA, Vol. 33, 1947, pp.34-35

------------, Egypt from the Incqation of the "ninetenth Dynasty of the Death of Ramisses III" CAH, Vol. II,Part 2 A.

Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948.

------------, Ancient Egyptian Religion, New York, 1961.

Gardiner, A.H., "The Delta Residence of the Ramessides", JEA, Vol. 5, 1919, pp. 127, 179, 242.

------------, Egyptian Grammar, Oxford, 1927.

------------, " The Graffite from Tomb of Pere", JEA, 14, 1928, pp.10-17.

Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, I, II, Oxford, 1947.

------------, "The Tomb of Queen Twosre", JEA, Vol. 40, 1954, pp.40-44.

------------, Peet E. and Cerny, J., Inscription of Sinai, Part II, London, 1955.

------------, "The So-Called Tomb of Queen Tiyie", JEA, Vol. 43, 1957, pp. 10-25.

------------, " Only one King Siptah and Twosre not his wife", JEA, Vol. 44, 1958, pp. 12-22.

------------, "The Kadesh Inscriptions of Ramsess II, Oxford, 1960.

------------, " Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961.

Gasson, T., Treasures of the World, The Pharaohs, New York,1982

Gauthier, H.," La Titulature des Reines des Dynasties Memphites" ASAE, 24, 1924, pp. 198-209.

Gitton, M., L'epouse du Dieu Ahmes Nefertary, Paris, 1975.

------------, " Variation sur Le theme des Titulatures Reines" BIFAO, 78, 1978, pp. 389-403.

Gitton, M., and Leclant, J., "Gottesgemahlin", La II, Sp. 793.

Glanville, S.R.K., Great Ones of Ancient Egypt, London 1931.

Goedicke, H., "Was Magic used in the Harem Conspiracy against Ramses II", JEA, Vol. 49, 1963, pp. 86-91.

------------, " Considerations on the Battle of Qadesh ", JEA, Vol. 52, 1966, pp. 71-80.

------------, and Thausing, G., Nofrtari, Graz, 1971.

Goetze , A . ," The Kassites and Near Eastern Chronology", JCS,18,1964.

Goetze, A., " Hitte Historical Texts, Supplilutiumas and the Egyptian Queen", ANET.

------------, "The Struggle for the Domination of Syria (1400-1300 B.C.,)", CHA, Vol. II, Part 2, A.

------------, Suppiluliumas and the Egyptian Queen", ANET"

------------, "Treaty between Hattusilis and Ramses II", ANET.

Goetze, A., "The Hittites and Syria (1300-1200 B.C.)", CAH, Vo,. II, Part 2. A.

Griffith, F. L., "Stela in Honour of Amenphis III and Taya From Tell El-Amarna", JEA, Vol. 21, 1926, pp. 1-2.

Grist, J., "The Identity of Queen Tyti" JEA, Vol. 71, 1985,pp.71-82

Gundlach, R., "Mutemwia", LA IV, Sp. 252.

Gunn, B., "Notes on Ammenemes I", JEA, Vol. 27, 1941, pp. 2-6.

Gurney, O. R., "Anatolia, 1750- 1600 B.C.", CAH, Vol. II, Part I.

Habachi, L., "Khatana-Qantir : Importance " ASAE, 52, 1954, pp.444-479.

Hall, H.R., The Anccint History of the Near East, London, 1963.

Harri, R., Horemheb et la reine Mutnedjemet au la fin d'une dynastie, Geneva, 1965.

Harries, J., "Nefertiti Rediviva ", Acta Orientalia,36,1974,pp.16-22.

-------------, and Wente, E., An x-Ray Atlas of the Rayal Mummies, Chicago, 1980.

Hassan, S., Excavations at Giza, IV, Cairo, 1943.

Hawkes, J., First Great Civilization, London, 1973.

Hayes, W.C., Royal Sarcophagie of the XVIII Dynasty, New York,1935

------------, "Varia from the Time of "Hatshepsout", MDAIK, 15, 1957, pp. 78-90.

------------, The Scepter of Egypt, Part II, New York, 1959.

------------,"Egypt from the Death of Ammenemes III to Seqenenre II", CAH. Vol. II, Part I.

------------, Egypt : Internal affairs from Tuthmosis I, to the death of Amenophis III, "CAH. Vol. II, Part I".

Helck, H.W., "Eine Stile des Vizekonigs Wsr. St", JNES, Vol. XIV, 1955 pp. 27-29.

------------," Probleme der Zeit Haremhebs", Cde, 46, No. 96, 1973, pp. 251-255.

Hornung, E., Amenophis III" LA I, Sp. 206-210.

James, T.G.H., "Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I", CAH, Vol. II, Part I.

Junker, H., "Die Gtabungen Der Universitat Cairo Auf Pyramiden Feld Von Giza, MDAIK, III, 1932, pp. 129-130.

------------, Giza II, Wien und Leipzig, 1934.

Kamil, J., The Ancient Egyptians, How They Lived and Worked, Canada, 1976.

Kaplen, H., "Problem of the Dynastic Position of Meryet-Nit" JNES, Vol. 38, 1979, pp. 23-27.

Kitchen, K.A., Suppiluliuma and the Amarana Pharaohs, Liverpool,1962.

-------------, and Gaballa, G.A., "Ramesside Varia II, The Second Hittite Marriage of Ramsses II", ZAS, 96, 1969, pp. 14-28.

------------, Ramsside Inscriptions, Historical and Biograohical, II, Oxford, 1971.

-------------, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973.

Kuentz, C., "La Stele de Mariage de Ramses II", ASAE, 25, 1925, pp. 181-238.

Lamberg, C.C. & Sabloff, J., Ancient Civilization, London, 1979.

Langdon, M.A. and Gardiner, A.H., "The Treaty of Alliance between Hattusili, King of the Hittites anf the Pharaoh Ramsses II of Egypt", JEA, Vol. VI, 1920, pp. 179-205.

Lefebvre, G., Histoire de Grands Pretres d'Amon de Karnak Jusqu'a l'XXI Dynastie, Paris, 1929.

Legrain, G., "Second Rapport Sur Les Travaux Exeutees a Karnak, Fouilles a La Face Sud Du VIII Pylone, ASAE, 4, 1903, pp. 25-32.

Leibovitch, J., "Une Nouvelle representation d'une Sphinge de La Reine Tiy" ASAE, 42, 1943, pp. 93-105.

Martin, G. T., "The Royal Tomb at El Amarna I", ASE, 35, London, 1974, pp. 6-22.

------------, "Queen Mutnodjmet at Memphis and El-Amarna", L'Egyptologie en 1979. Tome 2, Paris, 1982, pp.277-278.

Mapero, G., Les Momies Royales de Deir El-Bahari, MMAF,4,1979.

Maspero, G., Histoire de L'Egypte, II, Paris, 1897.

Mespero, G., New Light on Ancient Egypt, Translated by Lee, E., London, 1909.

Menu, B., "La Stele D'Ahmes Neferary dans Son Contexte Historique et Juridque" BIFAO, 77, 1977, pp. 89-99

Mercer, S.A.B., The Tell El-Amarna Tablettes, I, Tronto, 1939.

Middleton, R., "Brother, Sister and Father Daughter Marriage in Ancinet Egypt", ASR., Vol. 27, 1962, pp. 603-612.

Monnet, J., Qui etaient Les pere et Mere de Ramses IV", BIFAO, Vol. 63, 1963, pp. 217-227.

Moret, A., The Nile and Egyptian Civilization, London, 1927.

Munn-Rankin, J.M., "Assyrian Military Power 1300-1200 B.C.", CAH. Vol. II, Part, 2 A.

Murnane, W., Ancient Egyptian Coregencies, Chicago, 1977.

Murray, M.A., Index of Names and Titles of the Old Kingdom, London, 1908.

------------, "Royal Inheritance in the XIX Dynasty", AE, Part IV, 1925, pp. 100-104.

Murray, M.A., "Queen Taty-Shery", AE, No. 19, Part 2, 1934, pp.6-7, 65-69.

Naville, E., The Temple of Deir El-Bahari, II, London, 1896.

------------, The Temple of Deir El-Bahari, III, London, 1898.

Newberry, P. E., Scarabs, an Introduction to the Study of Egyptian Seals and Signet Rignet Rings, London, 1908.

------------, "The Mother of Hatshepsut", A.E., Part, III, 1915, pp.101-109.

------------, "King Ay, The Successor of Tutankh-Amun" JEA, Vol. 18, 1932, pp. 50-53.

Newby, P.H., Warrior Pharaohs, London, 1980.

Nur El Din, M.A., Some Remarks on the Title hmt nsw (Unpublished).

Peet, T.E., Akhenaten, Ty, Nefcrete and Mutnezement, in "Kings and Queens of Ancient Egypt".

------------, and Woolley, L. , The City of Akhenaten , Wol . I, London, 1923.

------------, "The Chronological Problems of the Twentieth Dynasty" JEA, Vol. 14, 1928, pp. 52-73.

Pendlebury, J., "Preliminary Report Excavation at Tell el-Amanah", JEA, 17, 1931, pp. 233-244.

Petrie, F.W., Tell El-Amarna, London, 1894, Reprinted, 1974.

------------, Researches in Sinai,

------------, The Royal Tombs of the First Dynasty, II, EEF 21,1901.

------------, "Notes on the XIXth, and XXth Dynasties", PSBA, Vol.26, 1904, pp. 36-41.

------------, Abydos, III, London, 1904.

Par- Pirenne , J ., La Religion et la Morale dans L'Egypte Antique , is,1962.

Radwan, A., Die Darstellungen de Regirernden Konigs und Seiner Familienan Gehorigen in den Privatgrabern, der 18. Dynastie, Munchner Agyptologische Studen 21, 1969.

Ratie, S., Un Personnage Enigmatique Le reine Hatchepsout, Societe D'Egytpologic, Bull. 5, 1981, pp. 69-72.

Redford, D.E., History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt, Toranto, 1967.

------------, "Reconstructing the Temples of Heretical Pharaoh", Archaeology, 28, 1975, p. 16.

Reeves, C.V.," A Further Occurrence of Nefertiti as hmt nsw c3t" GM, 30, 1978, pp. 61-69.

Robins, G., "The Relationship Specified by Egyptian Kingship terms of the Middle and Newkingdoms", CdE, Tome 54, 1979, pp.197-217.

------------, "Ah Hotpe I, II and III", GM, 56, 1982, pp. 71-77.

------------, "Meritamun, Daughtter of Ahmose, and Meritamun Daughter of Thutomse III", GM, 56, 1982, pp.79-87.

------------, A Critical Examination of the Theory that the right to the Throne in Ancient Egypt passed through the Female Line" GM, 62, 1983, pp. 67-77.

Samson, J., "The History of the Myster Akhenaten's Successor", in L'Egyptologie en 1979, Paris, 1982.

Sander - Hansen , C . E . , Das Gottesweib des Amun , Kobenhavn,1940.

Sauneron, S., La Tradition Officielle Relative a La XVIII dynastie d'apres un Ostracon de La Vallee de Rois, Paris, 1951.

Sayce, A.H., "What Happend After the Death of Tutankhamun", JEA, Vol. 26, 1912, pp. 168-170.

Schmitz, B., "Une Tersuchungen Zur Zwei Koniginnen der Fruhen Dynastie Ah-Hotep und Ahmose", CdE 53, 1978, pp. 207-220. 18

Schulman, A., "Diplomatic Marriage in Egyptian New Kingdom", JNES, 28, No. 3, 1979, pp. 177-193.

Selle, K., The Coregency of Ramses II With Seti I and the date the Great Hypostyle Hall at Krnk, Chicago, 1910.

------------, :King Ay and the Close of the Amarna Age" JNES, XIV, 1955, pp. 168-176.

Seipel, W., "Ah-hotep I" LA I, Sp. 09-99.

------------, "Heiratspolitck" LA II, Sp. 1105.

------------, "Heiratspolitck" LA II, Sp. 1052.

------------, "Konigsmutter" LA III, Sp. 1105.

Sherry, I. M., "Kia the Second Pharaoh", in Egyptologie en 1979, Paris 1982.

Smith, C.E., "Report on the Physical Character", ASAE, IV, 1903, pp. 156-160.

Smith, W.S., Interconnections in the Near East, London, 1965.

Steindorff, G. & Seel, K., When Egypt Rulled the Easy, London,1942.

Tanner, R., "Bemerkungen Zur Sukzession der Pharaonen in der 12, 17. und 18 Dynastie", Zas, Vol. 102, 1975, pp. 50-58.

Tawfik, S., "The Reversed Aton in the Long Name of Nefertite" MDAIK, 29, 1973, pp. 77-86.

Tefnin, R. "L'an 7 de Tauthmosis III er d'Hatshepsout", CdE, Tome XL VIII, No 96, 1973, pp. 232-242.

Vandier, J., La Religion Egyptienne, Paris, 1949.

------------, Manuel d'archeologie Egyptienne, Tome II, Paris, 1955.

Vercoutter, J., "New Egyptian Texts From the Sudan", Kush, 4, 1959, pp. 77-78.

------------, The Near East : The Early Civilization, London, 1967.

Weddel, W.G., Manetho, English Translation, London, 1940.

Weigall, R.E., "A Resport on Some Report on some objects Recently found in Sebakh and other Diggings", ASAE, 8 , 1909, pp. 46-47.

------------, A History of the Pharaohs, London, 1927.

------------, Historie de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968.

Weill, R., "The Problem of the Site of Avaris, Translated by Burny, E.V., "JEA, Vol. 21, 1935, pp. 10-25.

Wenig, S., The Wamen in Egyptian Art, Translated by Fisher, B., Leipzig, 1969.

Wente, E., "A Letter of Complaint to the Vizier To", JNES, Vol. 20, 1961, pp. 252-257.

------------, "Thutmose III, Succession and the Beginning of the New Kingdom" , JNES , Vol . 34 , 1975 , pp.265-272.

------------, Some Graffiti from The Reign of Hatshepsut, JNES, Vol. 43, No. I, 1984, pp. 47-54.

White, J.E.M., Ancient Egypt, Its Culture and History, New York,1970.

Wilkenson, G., Manners and Customs of the Ancient Egyptians, London, 1878.

Wilson, J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951.

------------, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1962.

------------, "Peace Between Egypt And Hatti", ANET.

------------, "Results of Atrail for Conspiricy", ANET.

------------, "A Syrian Interregnum", ANET.

Winlock, H.E., "On Queen Tetisheri, Grandmother of Ahmose I", A.E., No. 6, Part I, 1921, pp. 14-16.

------------, Kings and Queens of Egypt, London, 1924.

------------, "The Tombs of the Kings of the Seventecth Dynasty at Thebes", JEA, Vol. 10, 1924, pp. 217-277.

------------, "Notes on the reburial of Tuthmosis I" JEA, Vol. 15, 1929, pp. 60-66.

Wittmann, G., "Was there a Coregency of Ahmose With Amenophis I", JEA, Vol. 60, 1974, pp. 250- 51.

Yoyotte, J., Annuaire de L'Ecole pratique des Hautes Etudes Paris, 1965.

الباب الثانى

الفصل الأول

العصور الحجرية فيما قبل التاريخ

الفصل الأول

العصور الحجرية فيما قبل التاريخ

اتفق العلماء على تقسيم عصور ما قبل التاريخ، تلك العصور التى بدأت فيها الحياة الانسانية على كوكب الأرض، والتى كان على الانسان أن يواجه فيها تحديات صعبة سواء من أخيه الإنسان أو من الطبيعة وما عليها من ظواهر مختلفة، ولما كانت جهود الإنسان الأول متشابهة فى مراحلها الأولى فى جهات عديدة من العالم. لذا ونتيجة لما تركه هذا الإنسان من آثار ومخلفات إنسانية يمكن أن تقسم مراحل عصور ما قبل التاريخ إلي المراحل الحضارية التالية :

مرحل العصر الحجرى القديم، تلك المرحلة التى يقسمها العلماء بدورها إلي قديم أسفل، أوسط، وقديم أعلى.

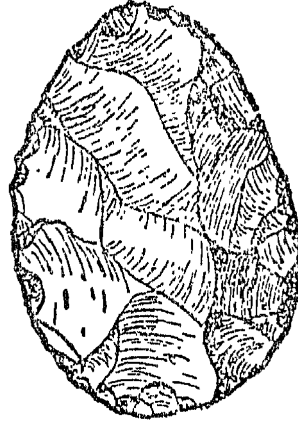
تلك المرحلة المبكرة من عمر البشرية ومارس فيها الإنسان نشاطاته فى جمع الثمار والصيد بانواعه سواء صيد الحيوان أو الأسماك واستخدام المتاح فى البيئة من احجار وعظام وأغصان أشجار، وكذلك استخدام عقله الذى ميزه عن باقى الكائنات والمخلوقات الأخرى فى حفظ حياته وتأمينها، والاستفادة من تجاربه، ويمكن تلمس الجهد الإنسانى من خلال المخلفات الحجرية المنتمية لتلك المرحلة من خلال تجاربه فى صناعة وتطور الحجارة أو ما يسمى بالمخلفات الحجرية، ويلاحظ أن المصطلحات المستخدمة لهذه المراحل فى اغلبها مصطلحات أوربية نظرا لسبق الدول الأوربية فى هذه الدراسات المتخصصة، كما أن هذه المصطلحات تتفق مع واقع وجه الشبه الفنى فى الصناعات الحجرية فى كثير من المواقع الحضارية المنتمية بهذه المرحلة وما تلاها من مراحل مثل الحضارة الشيلية وهى نسبة إلى قرية فى فرنسا، وكذلك ما يسمى بفأس اليد الأبيفلية Hand axe"

ولكى نأخذ فكرة عن شكل فأس اليد نسطيع أن نتخيل شكل الكمثرى ولكنها مفرطحة بعض الشئ بحيث تكون لها حافة واضحة حولها وقشرتها الخارجية تحتفظ بالشئ الكثير من الخشونة وعدم الانتظام، وأن طول الاداة كلها من الطرف السميك إلى الطرف الرفيع يبلغ حوالى سبع بوصات، وهى مصنوعة من الصوان(١)، أو الظران وهى مادة صلبة ويمكن تشكيلها وإهتدى إليها الإنسان القديم بعد تجارب على الأرجح:

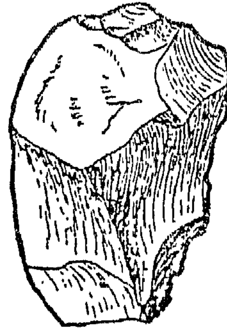
وفى نفس المرحلة العصر الحجرى القديم الأوسط توصل الإنسان إلى الشظايا، المصنوعة أيضا من الصوان والتى تستخدم فى التقطيع أو التقشير والحك، وكان يوجد إلي جانبها بغير شك أدوات أخرى من الحجارة ذات أشكال غير واضحة بحيث أثارت كثيرا من الجدل بين علماء الاثار حول تحديد طبيعتها.

وكان الناس يتبعون فى تشكيل هذه الأدوات أبسط الوسائل الممكنة مثل طرق الشئ المراد تشكيله وتشظيته بصخرة أخرى.

كذلك ظهر ما يسمى بالادوات الحجرية الأشولية Acheulean فأصبح الفأس اليدوى أكثر استواء وأخف وزنا، كما بدأ يميل إلى الشكل البيضاوى، ودرجة أعلي من الاتقان فى الصنعة، والاطراف أكثر استقامة وحدة نتيجة لاستخدام مطارق من العظام أو الخشب فى صنعها وتشكيلها، كذلك ظهرت الأدوات الكلاكتونية (نسبة إلى بلدة كلاكتون فى إنجلترا)(٢)، وهناك ما يسمى بالحضارة الموستيرية نسبة إلى كهف موستيه بفرنسا وفيها اتجه الانسان إلى صناعة أدوات حجرية مشتقة من الفؤوس اليدوية وهى الشظايا تتميز بصغر حجمها وتنوع أشكالها وذلك لكى يتمكن الإنسان من تحقيق أغراضه المختلفة وقد صنعها الانسان بفصلها عن النواة الأصلية لكى تؤدى وظيفة القطع التى يحتاج إليها (٣).

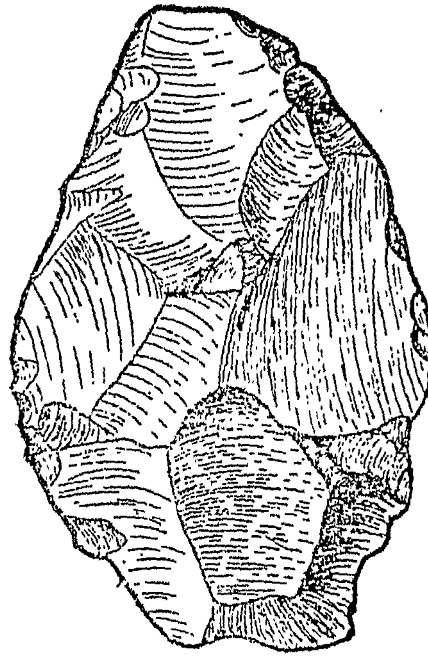


شكل ٣ : فأس يدوية أشولية

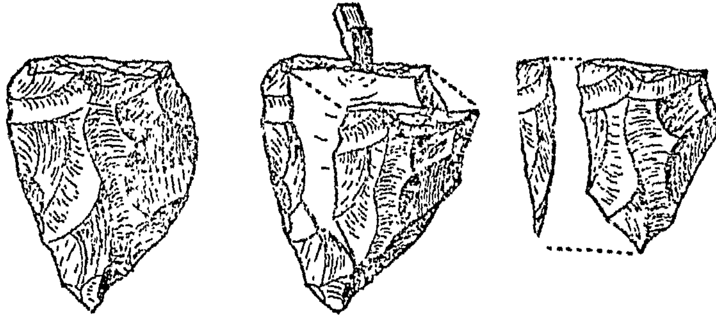


شكل ٤ : مكشط من أحد كهوف بكين

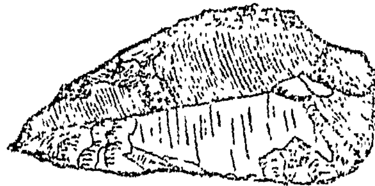
نقلا عن : وليام هاولز ، ما وراء التاريخ



شكل ٥ : فأس يدوية أبيفيلية



شكل ٦ : صنع شظفة بالطريقة الليفالوازية



شكل ٧ : سن موستيرية

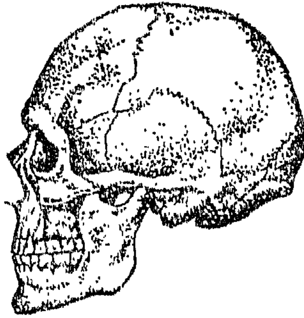
نقلا عن : وليام هاولز ، ما وراء التاريخ

وهكذا أخذت الطرق المختلفة فى صناعة الصوان تتقارب بعضها من بعض لتنتج آلات حجرية متوسطة أو صغيرة، تتفق فى الملامح العامة ولكنها تختلف من مكان لآخر، وبالنسبة للحياة المعيشية فلقد استمر انسان هذه المرحلة يمارس حرفة الجمع ويلتقط كل ما تجود به الطبيعة ويقتات به، وفى نهاية هذا العصر الطويل أى فى المرحلة التى اتفق العلماء على تسميتها بمرحلة العصر الحجرى القديم الأعلى وفيها تقدمت الأدوات الحجرية نتيجة زيادة خبرات الانسان وقوة تجاربه فظهرت الادوات والأسلحة الميكروليثية الدقيقة كالسكاكين والأزاميل والمكاشط وغيرها مما يشير إلى تقدم هذه الصناعات الحجرية، كما توصل الإنسان فى هذه المرحلة لسر ايقاد النار (سواء مصادفة عن طريق احتكاك حجرين معا أو عن طريق صاعقة طبيعية، مما ينتج عن ذلك نتائج فى غاية الأهمية سواء فى توفير نوع من الأمان لانسان هذه المرحلة سواء للمحافظة على حياته أو غذائه بشكل عام، وقد عثر فى بعض كهوف بكين علي عظام الحيوانات جنبا إلي جنب مع بذور الفواكه، كما وجد بقايا فحم مما يشير على أن إنسان بكين كان يستخدم النار بالفعل(٤).

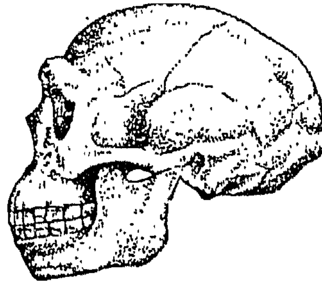
ومن مواقع سورية فى تلك المرحلة التى تشبه مثيلاتها فى جهات العالم الأخرى عدة مواقع فى كهوف عدلون بين صيدا وصور، وفى الكرمل وأم قطفة شمال غرب البحر الميت، والزطية شمال غرب بحيرة طبرية، ورأس شمرا (أوجاريت)، وفى حوض نهر الكلب، وفى كهف بالقرب من طبرية عثر فيه على أدوات حجرية دقيقة وبقايا لأنواع مختلفة من الحيوانات مثل الكركدن والضبع والثعلب والماعز والغزلان، وبقايا إنسانية(٥)، كما عثر على بعض الخربشات أو النقوش لمناظر خطها الإنسان من الطبيعة على جدران هذه الكهوف.



(١) الانسان الحديث



(٢) انسان نيندرتال



شكل ٨ : (٣) انسان بكين -

نقلا عن : رشيد الناضورى : المرجع السابق.

وقد عثر العلماء فى كهوف جبل الكرمل على هياكل عظميه بشرية، كما عثر «رنييه نافييل Rene Neuville" فى كهف يقع فى جنوبى الناصرة عن هياكل بشرية من هذا العصر أيضا، وهى تتشابه مع ما عثر عليه من نماذج موستيرية : ويمكن وضعها بين النوع النياندرتالي (وهو اسم فى وادى الرين) والجنس البشرى الحالى.

وفى الفترة الأخيرة من هذه المرحلة بدأ الجفاف على البلاد، ويقابل هذا الدور فى أوربا الحضارة الأورنياسية (٦).

قام العلماء بالبحث عن الهياكل العظمية الإنسانية، ونتج عن هذه المحاولات العثور على جماجم متفرقة واجزاء من الهيكل العظمى للإنسان منها على سبيل المثال :

إنسان جنوب افريقيا حيث الفكان يتميزان بالضخامة والصلابة، كما كانا يبرزان فى بعض الحالات بروزا شديدا ، كما عثر على جمجمة لما يسمى بانسان جاوة الذى أطلق عليه «كوينبحرفالد» الإنسان القرد أو الإنسان الضخم أو الإنسان العملاق، كذلك تم العثور على ما يسمى إنسان كهوف بكين «إنسان الصين»، وبنظرة إلى الجمجمة نرى أنها تشبه فى أساسها جمجمة إنسان جاوة، وهى شبيهة أيضا من إنسان صولو (التى عثر عليها عند نهر صولو القريب من جاوة). وهناك حفريات عن إنسان رودسيا، إنسان هيدلبرج بالمانيا، وهناك مسميات عن أشباه البشر، الإنسان العاقل، انظر : وليام هولز : ما وراء التاريخ، ترجمة وتقديم د. أحمد أبو زيد ، ص ٣٠-٣٧.

ولا أميل إلى هذه المسميات العديدة عن أصل الإنسان وخاصة بعد أن اثبتت الحفريات إلى حجم الانسان الحالى لا يكاد يختلف عما كان عليه فى أى وقت، كذلك تشير الكتب السماوية إلى خلق الإنسان فى أحسن تقويم، مع مراعاة تأثير البيئة والخبرات الحياتية التى يكتسبها الإنسان من فترة لأخرى.

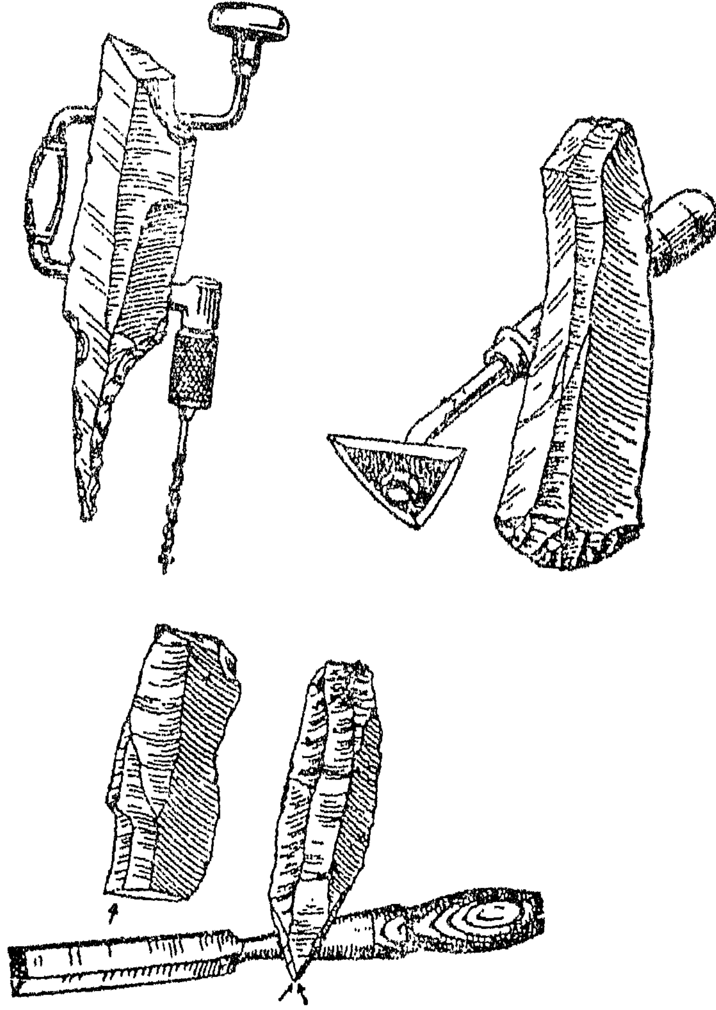
العصر الحجرى الوسيط (الميزوليتى)

هى فترة انتقالية بين المرحلة الطويلة السابقة العصر الحجرى القديم والمرحلة التالية وهى مرحلة الزراعة والاستقرار، وهناك عدد من الباحثين أنكروا أهميته بالنسبة للشرق الأدنى بخاصة، لكن هذا العصر موجود فى سورية بصورة شبه مؤكدة حيث تم العثور على أكثر من موقع حضارى ينتمى إلى هذه المرحلة ومنها الحضارة النطوفية نسبة إلى وادى النطوف شمال غربى القدس فى فلسطين بكهف الشقبة، حيث عثر فى طبقات هذا الموقع على آثار فى غاية الأهمية تمثل تلك النقلة فهى تشمل مرحلة جمع الطعام من ناحية وآثار الصيد من ناحية أخرى، وأدوات حجرية ورؤوس سهام وغيرها من آثار العصر الحجرى القديم الأعلى بالإضافة إلى المناجل والأجران التى تمثل عنصرا حضاريا جديدا يقترب بالانسان إلى انتاج الطعام والاستقرار-، كما أشارت عظام الحيوانات إلى اتفاقها مع الحيوانات المستأنسة أكثر من الحياة البرية لكن هذه النقطة محل خلاف بين العلماء حيث يرى عدد منهم بعدم توصل الحضارة النطوفية إلى مرحلة استئناس الحيوان.

كما اختلف العلماء فى تأريخ هذه الحضارة التى جمعت بين الكهوف فى نواحى جبل الكرمل، ومواقع القرى فى وادى نهر الأردن، واعتماداً على طريقة الكربون المشع تؤرخ بحوالى ١٠,٠٠٠ سنة ق.م.، * لكن هذا التقدير الزمنى ليس نهائيا حيث يتجه البعض إلى تأخير هذا التاريخ

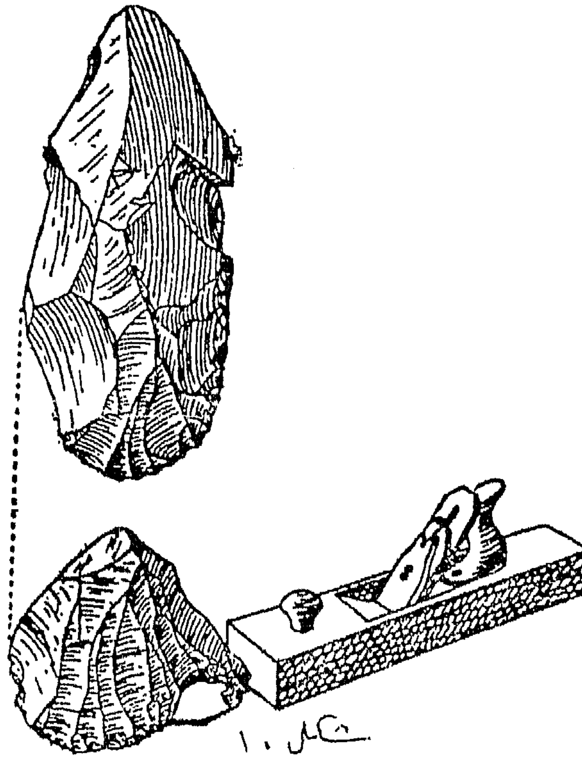
---

* اعتمد العلماء على طرق عدة للتقويم والتأريخ منها : طريقة الكربون المشع ، طريقة التقويم الفلكى، طريقة التوقيت المتتابع، طريقة حلقات جذوع الأشجار، طريقة الطبقات ، طريقة الدراسة المقارنة، الطرق الحديثة فى التقويم.



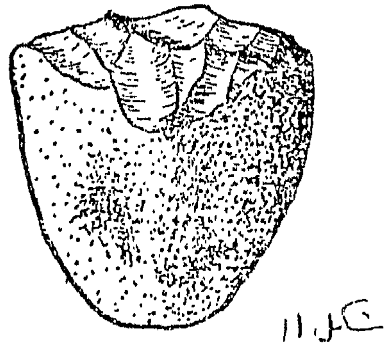
شكل ٩ : يمثل أسلحة حجرية كالأزاميل والمكاشط وغيرها وبجوارها ما يناظرها في الاستخدام الحديث

نقلا عن : رشيد الناضورى : المرجع السابق



منظر لمحكة قديمة وأخرى حديثة

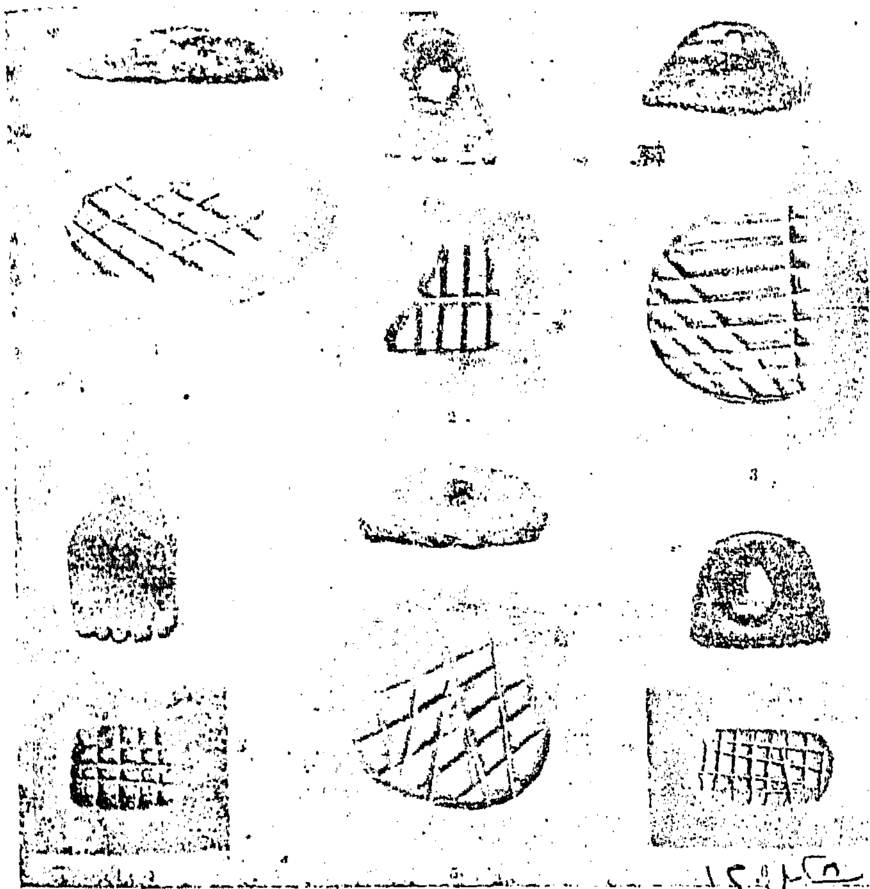
نقلا عن : رشيد الناضورى : المرجع السابق



آلة مصنوعة من حصاة ترجع الى أوائل البليستوسين

آلة مصنوعة من حصاة ترجع إلى أوائل البليستوسين

نقلا عن : وليام هاولز ، ما وراء التاريخ



ستة أختام من العمق أ

نقلا عن : رشيد الناضورى : مدخل فى التحليل الموضوعى

ومن أم مواقعها الأثرية فى منطقة وادى نهر الأردن موقع «عين ملاحة» شمال غرب بحيرة الحولة(٧).

وقد تم العثور على قرى ومنازل تنتمى لهذه الحضارة وكلها أدلة تشير إلى توصلهم للزراعة والاستقرار مع وجود الأدوات الحجرية الدقيقة التى تشير إلى نهاية المرحلة السابقة ووجود بدايات مرحلة الزراعة وما تمثله من أدوات ومنازل وتماثيل وقرى زراعية.

ولعل من المفيد تدوين بعض النقاط على مرحلتى العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الوسيط حيث يلاحظ الباحث طول الدهور والفترات الزمنية التى استغرقتها تلك الفترة واختلاف المدارس بشأن هذه الفترة وتاريخ بدايتها ونهايتها وبصفة خاصةمرحلة العصر الحجرى القديم وعدم وجود تواريخ محددة لبدء كل مرحلة على حدة، كذلك يلاحظ تواضع وضآلة البقايا والمخلفات الأثرية المنتمية لهذه المرحلة من عمر الحضارة الإنسانية إذا ما قورنت بآثار العصر التاريخى، وبرغم بساطة وتواضع هذه المخلفات الأثرية فهى فى غاية الأهمية لمدى جهد وحضارة الإسلاف والاجداد.

كذلك من الملاحظ فى تلك الفترات المبكرة أن الانتقال ميسر من مكان لآخر بحثا عن الرزق ومصادر الحياة وخاصة في حالات تعاقب الجفاف أو عدم صلاحية بعض الأراضى لنوع النشاط الإنسانى المطلوب.

مرحلة العصر الحجرى الحديث: (العصر النيوليثى)

لاشك أن الإنسان فى سورية قد تأثر بالبيئة التى تميزت بوجود أنهار عديدة ومناطق سهلية متعددة فضلا عن أراضى خصبة كانت ذات تأثير هام علي نشاط الإنسان كما كان الحال فى مصر القديمة التى استفادت من وجود نهر النيل منذ أقدم الأزمنة، كما يلاحظ وجود اتصال حضارى بين سورية وجيرانها فى مصر وبلاد الرافدين وبلاد الأناضول، لذا يعتقد الكثير من

العلماء أن الإنسان فى سورية قد بدأ مرحلة العصر الحجرى الحديث بما تعنيه من استقرار وزراعة حوالى الألف السادس ق.م. حيث قام العلماء بالبحث فى سورية عن أقدم مراحل الاستقرار أو بمعنى أصح أقدم القرى، واتجه العلماء فى بحثهم إلى المناطق المتاخمة للانهار أو تجمعات المياه على أساس احتمال نشأة القرى الأولى فيها أو بالقرب منها ومن هذه المناطق منطقة تقع فى شمال سوريا قرب مصب نهر العاصى وهى منطقة العمق التى جمعت بين السهول والاودية والمستنقعات والتلال، وهى من أهم مناطق الاستقرار فى سوريا ويبلغ عدد التلال فيها حوالى مائتى تل ومن أهمها تل عطشانة وتل الشيخ.

ولم يقتصر الإنسان على الاستقرار فى هذه المنطقة فقط بل لقد استقر أيضا فى مواقع أخرى مثل :

مرسين وطرسوس فى قيلقيا، وأيضا فى حماة، ورأس شمرا (أوجاريت)، وقرقميش ـجرابلس) وفى فلسطين جريكو (اريحا).

بالاضافة إلى مراكز استقرار على الساحل السورى ربما كان من أشهرها بيبلوس ـجبيل(٨).

وهى مراكز استقرار قديمة عثر فى معظمها على عديد من الفؤوس اليدوية ومناجل حجرية، كما عثر فيها على اجران ومخازن والعديد من الاوانى الفخارية التى استخدمها الانسان فى خزن الحبوب والغلال والطهى.

عصر الحجر والمعادن : (Chalcolithic)

استمر الانتاج الحضاري وتقدمت الصناعات الحجرية وازدادت خبرة الإنسان في منطقة الشرق الادنى القديم عامة في تلك المرحلة المسماة بعصر الحجر والمعادن «العصر الخالكوليثي» الذي يعتقد العلماء أنه قد بدأ في سورية حوالى ٤٠٠٠ ق.م. ، وكما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح أن أقدم ما استخدمه الانسان من المعادن هو معدن النحاس الذي ترجع ميزته إلى إمكان العثور عليه قرب سطح الأرض مختلطا بمواد يمكن صهرها وفصلها بمجهود يسير وتحت حرارة ليست شديدة، ويمكن أن يكون قد تم التوصل لهذا المعدن في بداية الأمر مصادفة حيث مواد الأفران أو الأكوام التي كانوا يحرقون فخارهم فيها كانت تتضمن قطعاً من أخلاط النحاس أحيانا، فلما تعرضت للحرارة خلص النحاس وظهر بريقة فالتفتت إليه الانظار، واحتمالية ترك النساء قطعا من دهنج الكحل بجوار مواقد الاكواخ وحينما اشتدت نار المواقد ظهرت الرواسب المعدنية البراقة.

ومن هنا بدأ الإنسان في البحث عن هذا المعدن واستخدامه على نطاق ضيق في البداية في شكل مجموعات من الخرز الصغير تستخدم في أغراض الزينة ومثاقب طويلة، ودبابيس لشبك الملابس، ثم اتسع نطاق استخدامه في صناعة الاسلحة الصغيرة كالمدى والسكاكين (٩)

ومن أهم مراكز الحضارة المنتمية لهذه المرحلة : أوجاريت ، تل الغسول شمال البحر الميت، الطبقة حـ بمنطقة العمق، الطبقة ٨ بجريكو «اريحا»، وبيت شان (بيسان)، وبيبلوس.

وازدادت استخدامات معدن النحاس وكثرت الاختام والحلى والاواني المصنوعة من النحاس، كما ظهر في «تل الجديدة» في شمال سورية تماثيل صغيرة من النحاس ويظن أنها أول لون من أنواع التماثيل من معدن النحاس.

مراجع الفصل الأول (الباب الثانى)

١- وليام هاولز ، ما وراء التاريخ ترجمة وتقديم د. أحمد أبو زيد صـ ١٠٢ .

٢- نفس المرجع السابق ، صـ ١٠٤ - ١٠٥.

٣- رشيد الناضورى : مدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى السياسى ، فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا، جـ١، بيروت ، ١٩٦٨، صـ ١٠٣

٤- وليام هاولز : المرجع السابق ، صـ ١٠٩.

٥- محمد ابو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت ، ١٩٨٤، صـ ٢٦٥-٢٦٦.

٦- عبد الحميد زايد : الشرق الخالد، صـ ٢٣١.

٧- رشيد الناضورى : المرجع السابق، صـ ١١٧.

عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـ ٢٣٣.

٨- رشيد الناضورى : المرجع السابق، صـ ١٤٤-١٤٥.

٩- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، صـ ٣٠.

الفصل الثانى

تاريخ سورية القديم

الفصل الثانى

اسم سورية قيل أنه يونانى الأصل (هيرودوت، الجزء الثانى، الفصل الثانى عشر)، وورد فى النصوص العراقية تسمية سورية باسم «امورو» إشارة إلى الغرب، وهى تقابل «مارتو» السومرية، كما ورد فى حوليات «تحوتمس الثالث» اسم «خارو» كاسم عام لسورية وفلسطين، وفى اوائل القرن الرابع عشر ق.م. ظهر فى آداب أوجاريت بشكل «شرين Shryn»، وفى العبرية أطلق على لبنان الشرقى سيريوس Syrus.

وعرفت أحدى المناطق الواقعة شمالى الفرات باسم Suri، واسم سيروسSyrus (سورى) هو رومانى، ومعناه الشخص الذى يتكلم السريانية (الآرامية)، وكانت ولاية سورية الرومانية تمتد من الفرات إلى مصر.

وكانت قديما تشمل المنطقة الواقعة بين جبال طوروس وشبه جزيرة سيناء، وبين البحر المتوسط وبادية الشام، وأطلق العرب عليها اسم الشام أو المنطقة الواقعة على اليسار [١].

وخضعت سورية فى تاريخها القديم لايحاءات البيئة وخصائص الموقع، بسبب التنوع فى تضاريسها وتعاقب الفواصل الجبلية فيها، وتباعد مناطقها الخصبة بعضها عن بعض، مما أدى إلى كثرة التباين بين ميول أهلها، أهل الجبال والصحارى والوديان، وصعوبة اتحادهم فى وحدة سياسية خلال الغالبية العظمى من عصورهم القديمة، وكان لوقوعها بين مصر وبلاد النهرين فكانت من أدوات الوصل بينهما واستفادت منهما [٢]، ولكنها أيضا اصبحت ميدانا للتنافس بين القوى المختلفة من حولها سواء مصر أو العراق أو بلاد خيتا (الحيثيون)، أو العناصر الآرية أو غيرها من العناصر.

وظلت بوادى لبنان من أهم مناطق الجذب والدفع البشريين فى الشرق الأدنى، بفضل موجات الجفاف، ووجود المرتفعات الغنية بأشجار الأرز

والصنوبر، وأمتداد سواحل الشام إمتداداً طويلا على البحر المتوسط، مما كان له أثره في ازدهار عدة مواني طبقت شهرتها آفاق العالم القديم، وأيضا له أثره في توجيه نشاط أهلها وجهة بحرية، وكان له أثره في تشجيع البعض على الهجرة إلي الخارج، ثم كان له أثره في استقبال هجرات كثيرة وفدت عن طريق البحر، هذا بالاضافة للهجرات البرية، التي وفدت في هجرات متتابعة حاملة معها عناصر سامية، الاقليم وعناصر غير سامية، وصلت إلي الاقاليم في فترات قديمة لا يمكن تحديدها بدقة، ومن أهم العناصر السامية في سورية القديمة، الاموريون، الكنعانيون (الفينيقيون)، الآراميون، العبرانيون.

وبالنسبة للعناصر الغير سامية التي وفدت على سورية في فترات مختلفة، وأثرت على تاريخها بدرجات متفاوته مثل الحوريون وهم من العناصر الهندوأوربية ويعتقد وصولهم حوالي منتصف القرن الثامن عشر ق.م.

★ **الساميون :**

نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، حيث تقسم التوارة إلى ابناء نوح (سام، حام، يافث)، وتبعا لهذا التقسيم يعتقد عدد من الباحثين بوجود أصول مشتركة بين الساميين لعل أهمها اللغة، والملامح العامة والبيئة والعقائد.

وبالنسبة للموطن الأصلى لهذه العناصر ، فلقد أختلفت آراء الباحثين حول عدة أماكن فيها:

١- أرض بابل وبلاد النهرين.

٢- أرض آرمينية.

٣- أرض آمورو (بلاد الشام) ومنطقة الفرات.

٤- افريقية «بسبب الارتباط بين السامية والحامية»

٥- الجزيرة العربية

واتفق الكثير من العلماء على ترجيح مجئ العناصر السامية من شبه الجزيرة العربية لأسباب عديدة منها : الكتلة الصحراوية الضخمة وفترات الجفاف ، الهجرات المعروفة ومنها هجرة القرن السابع الميلادى.

والميتانيون * (راجع حديثنا عنهم فى الباب الأول)، والفلسطينيون ** وغيرهم من العناصر.

ولم يكن انتشار هذه العناصر فى سورية بدرجة واحدة، ولم يسيطر أحدها عليها بالكامل، على أنه يمكن أن نرجح أن الأموريين ظلوا يشكلون غالبية السكان (فيما عدا السواحل) من منتصف الالف الثالث ق.م. إلى منتصف الالف الثانى ق.م. تقريبا، بينما سكن الكنعانيون (الفينيقيون) الذين جاءوا مع الاموريين فى هجرة واحدة على السواحل وظل نشاطهم وظل نشاطهم لها حتى منتصف الالف الأول ق.م. تقريبا، ومن منتصف الألف الثانى ق.م. توغلت العناصر الآرامية فى شمال ووسط سورية، وفى نفس

– انظر محاولة تنسيب العرب إلى أصل معين، سواء إلي سام أو إلى غير سام تخرج بدورها عن نطاق التحديد العلمى، راجع :

لطفى عبد الوهاب: العرب فى العصور القديمة، الاسكندرية، ١٩٩٠، صـ ٨٥.

* ميتانى : إلى الغرب من أشور (شمال العراق) تمتد من آرمينيا شرقا وحتى نهر البلخ غربا وتقع أعلى الفرات.

** ظهر البلست (الفلسطينيون) للمرة الأولى فى المصادر المصرية ضمن عناصر شعوب البحر التى خرجت من مواطنها الأصلية المتعددة وهاجمت أماكن عدة، كما هاجمت مصر وشكلت خطرا داهما عليها فى عهد الفرعون «رمسيس الثالث» الذى أنتصر عليهم ومزق جموعهم، أما عن البلست فنزلوا المرتفعات الساحلية الجنوبية وخلعوا اسمهم عليها، واحتفظوا بسر صناعة الحديد والدروع، واحتفظ التاريخ بأسمهم للأرض التى نزلوها وهو اسم فلسطين وأندمجوا مع السكان الساميين الكنعانيين وأصبحوا قومية واحدة، أما عن أصل البلست فطبقا للتوراة فإنهم جاءوا من كفيتو التى يراها البعض كريت، وهناك من أرجع أصلهم إلى منطقة بحر أريحة بسبب ريشة الخوذة التى وجد لها مثيلا فى كريت، وتشابه الفخار الفلسطينى للفخار – الموكينى، كذلك ذهبت بعض الآراء أنهم من أصل اناضولى جنوب غربى آسيا الصغرى، انظر:

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، صـ ٢٤٥.

سوزان عباس : دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان (رسالة دكتوراة)، ١٩٨٧، صـ ٤٧.

Wilson, J. The War against the Peoples of the Sea, ANET, pp.261-

الوقت تقريبا كان العبريون يحاولون دخول جنوب البلاد والتركز حول البحر الميت تقريبا.

ولعل من أول العناصر السامية ذات التأثير على تاريخ سورية وفلسطين في الأزمنة القديمة.

١- الآموريون:

هم أول شعب سامي رئيسي في سورية، والكلمة غير سامية وتعنى الجماعة التي تقيم في الغرب (الغربيين)(٤)، وفدوا في هجرة واحدة مع الكنعانيين حوالى منتصف الالف الثالثة ق.م. وأخذوا يتجولون في شمال سورية قبل أن يستقر بهم الحال في أواسط حوض الفرات وكانت هذه المنطقة تسكنها جماعات سومرية عند وفود الأموريين ثم ما لبث هؤلاء أن أصبحوا يمثلون غالبية السكان، وبعد انتصار سرجون الأول (ملك أكد) على لوجال زاجيرى حوالى سنة ٢٣٧١ ق.م. اجتاح بلاد الأموريين، ولكن هؤلاء نجحوا في تكوين عدد من الدويلات في فلسطين وسوريا وبلاد النهرين، فما أن حل القرن العشرين قبل الميلاد حتى أصبحت منطقة الفرات الأواسط أمورية في سكانها وحضارتها وحكومتها (٥).

وحوالى عام ١٩٠٠ ق.م. أحتل مدينة مارى جماعة من الأموريين يحتمل أنهم جاءوا من منطقة – خليو واتخذوها عاصمة لملكة امتدت على طول الفرات من نهر الخابور حتى قرب مدينة عناة وهى منطقة تشكل ممرا طبيعيا له أهميته من الناحية التجارية ونقل التراث الحضارى وكان من الناحية الغربية يؤدى إلى البحر المتوسط ومن الناحية الشرقية إلى منعرج الفرات، وتكشف سجلات مارى عن الموارد الاقتصادية الوفيرة لمدينة مارى وما حظت به من ثروة طائلة إذ كانت مركزا تجاريا هاما على الفرات الاوسط ومركزا حيويا لتجارة منظمة لمعدن القصدير الذى كان يرد إليها من عيلام أو من

الهضبة الايرانية فى الشرق أو من القوقاز فى الشمال، ومن مارى كانت ترسل مقادير من هذا المعدن إلى سورية فى الغرب، إلى ممالك يامخاد (حلب) وقطنة وخازور فى شمال فلسطين.

كما كانت مارى محطة رئيسية علي طرق القوافل البرية والملاحة النهرية فيما بين الخليج العربى والساحل السورى.

ويعتبر «ياجيدليم» أول ملك آمورى حكم مملكة مارى وكان معاصرا لـ «إيلاكابكابو» والد شمشي أدد الأول ملك آشور وسرعان ما قامت الحرب بين الاثنين تحطمت اثناءها قلعة يا جيد ليم ولكن ابنه «يا خدون ليم» تمكن من أستعادة ملك والده بل وصلت فتوحاته حتى البحر المتوسط (٧).

وقد انتهت حياة «يا خدون ليم» بالقتل على يد خدمه الخصوصيين وأعقبت عهده فترة قصيرة تقدر بحوالى أربع سنوات حكم فيها حكم ابنه «سوموياما» (٨) .

وقد استطاع «اندرية بارو André Parrot" أن يكشف عن تراث حضارة «مارى» حينما قام بحفائره فى تل الحريرى التى تقع على بعد ميل واحد تقريبا من غربى الفرات بالقرب من بلدة أبو كمال وقد وفق للعثور إلى جانب العدد الكبير من المبانى الضخمة بما فيها القصر الملكى الكبير الذى كانت مساحته ما يقرب من سنة أفدنة والذى يحوى حوالى ثلاثمائة حجرة مزينة بالصور الملونة وملحق بها عدد كبير من الحمامات، على أكثر من عشرين ألف لوح من الألواح الطينية نقشت بالخط المسمارى واللغة الأكدية استطاعت أن تميط اللثام عن مرحلة حضارية من أهم المراحل فى هذه العصور، إذا أنها تشير إلى قيام علاقات تجارية وتنظيم إدارى متقدم وكانت تمثل كلها الارشيف الخاص بالملك زمرى - ليم آخر ملوك مارى (١٧٧٩- ١٧٦١ ق.م.) الذى قضى حامورابى على دولته وكان العثور على هذه المجموعة من الوثائق

سببا فى إلقاء الضوء على مختلف ألوان الحياة فى هذا الاقليم فى الالف الثانية قبل الميلاد وعلى العلاقات السياسية بينه وبين جيرانه.

ولعله من المهم أن نشير إلى بعض أسماء البلاد السورية التى وردت فى هذه الألواح فمن خلبو-(حلب) عاصمة مملكة يامخاد الأمورية وكذا جويلة (جبيل - بيلوس) التى كان أميرها ينتين عمو يرجع إلى أصل أمورى، كما ورد ذكر غيرها من البلاد الهامة، كما وردت بها بعض أسماء الآلهة مثل (أمورو) وزوجة عشرتا وحدد اله الرعد والمطر والعاصفه ورشف اله النار الذى انتقلت عبادته إلى مصر ودجان اله الخصب والطعام.

وتشير وثائق مارى وكذلك «نصوص اللعنة» المصرية على أن القرون الأولى من الألف الثانية قبل الميلاد التى شهدت قيام ممالك آمورية فى كثير من المدن العراقية، شهدت أيضا وجود ممالك آمورية فى سوريا وفلسطين ومن أهمها مملكة قرقميش وقطنه وخليو وألالاخ (٩).

وقد شهد مطلع النصف الثانى من الالف الثانى قبل الميلاد تحولا فى النشاط الدولى إلى سورية الوسطى التى كان الأموريون يلعبون الدور الرئيسى فيها، لأن الدولة الحيثية أصبحت من القوة بحيث أخضعت الجزء الشمالى من سورية لسلطانها بعد أن كانت تسيطر عليه مملكة يا مخاد الأمورية التى كانت عاصمتها حلب - وفى تلك الأثناء كانت مصر قد أخذت تبنى إمبراطوريتها فى عهد الدولة الحديثة ووقع جزء من سورية تحت سيطرتها، وهكذا انحصرت بقية الإمارات الأمورية فى سوريا الوسطى وخاصة فى الجزء الشمالى من لبنان والإقليم الداخلى حول دمشق - وظلت هذه الإمارات تتأرجح بين الخضوع للحيثيين أو الولاء لمصر، وظل الحيثيون فى تقدمهم بينما أخذت المستعمرات المصرية تزداد سوءا فى أواخر عهد الاسرة الثامنة عشر وانكمشت الممتلكات المصرية حتى أصبحت قاصرة على الجزء الجنوبى من سوريا وأخذ الحيثيون يسيطرون على شمال سورية

ووسطها إلى أن انتهى نشاط الأموريين منها واقتصر على جنوبها حيث تأرجحت بعض الولايات الأمورية بين الولاء لمصر وبين الولاء للحيثيين كما أن الولايات استقلت لفترات قصيرة ساد الصراع خلالها فيما بينهم إلى إن قضى الأشوريون والبابليون ثم الفرس على كيانهم ودخلوا الإقليم السورى بعد ذلك تحت سيادة الاسكندر، ومن الجدير بالذكر أنهم لم يتركوا وثائق هامة بلغتهم الخاصة بل استعملوا البابلية القديمة ويكاد لا يظهر فى وثائقهم من لغتهم سوى أسماء الملوك والحكام وبعض أسماء الأماكن السورية. ويبدو أن لغتهم كانت اللجهة الكنعانية التى انتشرت فى شرق الإقليم السورى، كما يبدو أن الفينيقية كانت هى الأخرى اللهجة الكنعانية التى انتشرت فى غرب هذا الاقليم (١٠).

٧- الكنعانيون (و الفينيقيون) :

وفدت العناصر الكنعانية فى هجرة واحدة مع الآموريين، واستقروا على الساحل حيث أطلق عليهم اليونان اسم «الفينيقيين»، وقد استعمل المصرى القديم كلمة «فنخو» منذ عهد الدولة القديمة، ورغم أن النصوص الاكدية (السامية) بل والفينيقيين أنفسهم استخدموا لفظ كنعان للدلالة على المكان، ولفظ الكنعانيين للدلالة على أهلها، كما استعملت كلمة كنعان للدلالة على المكان فى الكتاب المقدس (١١).

وقد ذهب الباحثون فى معرفة سبب هذه التسمية إلى القول بأن كنعان بالسامية معناها الأرض المنخفضة، على عكس مرتفعات لبنان المرتفعة فسمى هؤلاء الساميون بالكنعانيين لانفرادهم بسكنى هذا المكان الساحلى الذى يحف بشرق البحر المتوسط.

كذلك اتجه الرأى وجهة آخرى بشأن التسمية فقد ظهر أن فى اللغة الحورية القديمة اسم كناجى ومعناه اللون الارجوانى (الاحمر) وفى اللغة

الاكادية «كناخى» وكلها مسميات تدل على الحمرة الارجوانية، حيث أن هذه الشعوب عرفت منذ القدم بتخصصها فى صناعة الصبغة الارجوانية التى تستخرج من حيوانات بحرية تعيش قرب الساحل، ومن هنا جاءت نسبتهم إلى حمرة اللون (الكنعانى أو الفينيقى) وكلاهما يدل على شعب سامى واحد ينزل بالساحل السورى.

جغرافية البلاد: تقابل فينيقية معظم الاقليم الساحلي من سوريا الحالية، ويحدها جنوبا جبل الكرمل، وشمالا خليج اسوس ثم اقليم مدينة أرادوس وهى أرواد وحوض نهر اليتير (النهر الكبير اليوم) ويحدها من الشرق سلسلة جبال لبنان، ويحدها البحر من الغرب.

وتتكون أرض فينيقية من رواسب جيرية وكانت إلى نهاية العصر الجيولوجى الثالث هضبة تغطيها المياه، وقد أحصى المختصون نحو خمسين نوعا من حيوانات البحر المتحجرة فى أحجار لبنان الجيرية وبعضها من الحيوانات المائية التى تميز العصر المسمى بعصر الكريتاسى، فلما وقع التشقق الذى أحدثه البحر المتوسط غاضت المياه عن الهضبة واستتبع هذا التشقق حدوث خطوط انكسار فى الهضبة نشأت عنها سلسلتا جبال لبنان المتوازيتان : وهى جبال لبنان الغربية وجبال لبنان الشرقية، وحدثت فى مواضع الانكسارات فى الهضبة فورانات بركانية وهذا هو أصل كتل اللافا التى توجد فى حوران، وجنوب دمشق وفى الصفا شرقى دمشق.

ووضع فينيقية الجغرافى هو الذى حدد مصير سكانها فلم يكن لأهل البلاد أن يطمعوا فى العيش على الزراعة لأن السهول الحقيقية لا تمتد إلا فى الشمال قرب مصب نهر اليتير وفى الجنوب قرب عكا. أما فيما عدا ذلك ومع استثناء صيدا وصور وسهلهما (من هاتين المدينتين من المسافة الواقعة بين رأس الابيض إلى نهر اسكليبيوس Asklepios (وهو نهر الأولى اليوم) يتألف السهل المعروف باسم سهل فينيقية) فإننا نرى الجبل ينهض بكل قامته

قريبا من الشاطئ ولا يترك من المسافات القابلة للزراعة ما يكفى السكان ولهذا تعلق مصير فينيقية بجهة البحر(١٢).

وكما هو واضح من جغرافية المدن الفينيقية التى انعكست على الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى لهذه المدن الواقعة على الساحل فى شريط ممتد من الشمال إلى الجنوب: رأس شمرا، أوجاريت، بيبلوس (جبيل)، صيدا، صور ، عكا، وغيرها، فمن الناحية السياسية وقعت هذه المدن (الدويلات)، فى طريق القوى العظمى المتطلعة للسيادة مثل مصر وبلاد العراق ودولة خاتى، صحيح أن المدن الفينيقية استفادت من الناحية الحضارية نتيجة هذا الموقع الممتاز، لكنها برغم قيامها بالدور الحضارى المتميز طوال العصور القديمة إلا أنها لم تستطيع الصمود أمام هذه القوى الكبرى ذات الامكانيات الكبيرة، كذلك نهجت هذه الدويلات للانفصالية والتنافس التجارى بينها وبين المدن القريبة منها، وحتى حينما كانت تلجأ إلى الاتحاد فيما بينها لمواجهة أخطار خارجية، كان هذا الاتحاد أو التحالف لا يستمر طويلا وينتهى بمجرد زوال الخطر.

واهتمت هذه المدن بالأسوار والتحصينات والابراج المرتفعة، وكان لبعضها بالقرب من الساحل حصون وابراج مزدوجة يلجأ إليها السكان عند الضرورة فى حالات الحرب، ولجأ أهل هذه المدن إلى اختيار المواقع المناسبة والطبيعية ليسهل الدفاع عن مدنهم عند الخطر.

وقد كان للبيئة عظيم الأثر على حياة أهل فينيقيا فقد كانوا يحيون حياة اقتصادية تمليها ظروف بلادهم ومواردهم الطبيعية وكانت أهم حرف السكان الزراعة والصيد، ومارسوا العمل بأيديهم واستخدموا الالات، وكانت أهم محاصيلهم القمح والشعير والشوفان والعنب والزيتون والموالح والكروم والفاكهة وغيرها من منتجات البحر المتوسط.

كذلك عمل السكان بالصيد وبرعوا فيه بحكم وقوعهم على الساحل. وصنعوا السفن من خشب الأرز، وكانت الصناعة تحتل مكانا كبيرا وكان لكل حرفة ما يسمى بـ «رب الحرفة» الذي ينظم شؤنها وكان الحرف يتوارثها الأبناء عن الآباء.

أما من الديانة الفينيقية القديمة فمصادرنا عنها نادرة ضئيلة تتمثل فيما ورد من العناصر الاغريقية وهى كتابة تنقصها الدقة والأمانة، كما أنه لا يمكن الاعتماد فى هذه الناحية على ما جاء فى كتابات العهد القديم لأنه متأثر بعداء العبرانيين وكرههم لأهل البلاد، ولحسن الحظ أمدتنا نقوش مدينة أوجاريت عن بعض المعلومات المهمة التى تبين أن العقيدة الفينيقية تقوم فى جوهرها على أساس تقديس قوى الخصب والنماء التى يعتمد عليها المجتمع الزراعى حيث أهمية الامطار والحيوانات الأليفة، مثلها مثل الديانات السامية الأخرى.

الصناعة :

تفوق الفينيقيون فى أربع صناعات.هى :

صناعة الصبغة الارجوانية، صناعة الزجاج وخاصة الملون، صناعة النسيج، صناعة الفخار والمعادن، كما استخدموا النحاس والبرونز بوفرة، وقد اثبتت التحاليل الكيماوية أنهم عرفوا فن صهر الحديد كما خلطوه بمعادن أخرى لجعله أكثر صلابة، وقد قاموا برحلات خارج حدودهم لجلب القصدير للاستعانة به فى صنع البرونز، وتحسين خامة الحديد، كما بحثوا عن الذهب والفضة، وقد استخدمت الفضة علي نطاق واسع فى الصناعة بل استخدمت فى التبادل التجارى بين فينيقيا وغرب آسيا فقامت مقام العملة.

الملاحة والرحلات البحرية :

يبدو أن الفينيقين وهم أهل ملاحة حذقوا علم الفلك وألفوا الإهتداء بالنجوم، وعرفوا جميع مسالك البحر المتوسط، فمثلا يذكر هيرودوت أنهم

استقلوا سفنا فى البحر الأحمر وساروا بها جنوبا بتكليف من ملك مصر نخاو (٦٠٩ - ٥٩٣ ق.م.) ليبحروا حول قارة افريقيا وأنهم أتموا هذا العمل فى أقل من ثلاث سنوات.

وهناك رحلتان تمتا فى وقت واحد تقريبا إحداهما رحلة «هيملكو» التى تحركت من «قادس» فى اسبانيا إلى سواحل أوربا الغربية ووصل فيها إلى سواحل بريطانيا، والثانية هى رحلة «حنون المشهورة التى تحركت من قادس ايضا وتحركت نحو الجنوب على طول الساحل الغربى لإفريقيا(١٣).

كما توسع الفينيقيون فى انشاء المستعمرات فى غرب البحر المتوسط أمثال قرطاجة فى شمال افريقية، وقرطاجنة ومالقة وغيرها فى شبه جزيرة آيبيريا، وكان لهم نفوذ فى كثير من الجزر الموجودة فى البحر المتوسط، مما سبب لهم الصدامات مع اليونان ودولة الرومان على التوالى.

وفضل الفينيقيين على الإنسانية لا يتمثل فقط فى معرفة دروب البحر واختراع الصبغة الارجوانية أو الزجاج الملون أو تقدم فن البناء فحسب وإنما كانوا أول من استعمل الأبجدية الراقية، التى لا نشك فى أنهم استفادوا من كتابات الشعوب الأخرى سواء فى وادى الرافدين حيث الكتابة بالمقاطع المسمارية والصور، وايضا وادى النيل حيث الكتابة بالحروف والمقاطع الساكنة، والمقاطع المكونة من حرفين أو ثلاثة، وهى اشياء لا تفيد مع تطور الزمن والعمليات التجارية التى صارت على نطاق أوسع، ولاشك فى أنهم اقتبسوها من الكتابة المصرية حيث كان الفينيقيون يتعاملون مع أهل سيناء فاقتبسوا لغتهم وطوروها فكان هذا اعظم تبادل ثقافى فى تاريخ الانسانية كان من نتائجه ظهور الابجدية الفينيقية .

وبالنسبة للتاريخ السياسى لهذه المدن فلقد ارتبطت من الناحية

السياسية بالقوى الكبرى ويمكن إيجاز ذلك فى النقاط التالية :

منذ قديم الأزمنة وخلال عصر الدولة القديمة بدأت أقدم الصلات بين مصر والمدن الفينيقية عامة وبيبلوس (جبيل) خاصة، وقد زادت العلاقات والرحلات مع تزايد حاجة مصر للأخشاب اللازمة لبناء المعابد والقصور وأساسات المنازل والمقابر، مقابل المنتجات المصرية، وتم العثور على العديد من الاثار المصرية فى تلك المدن تحمل اسماء مصرية مما يدعم نمو العلاقات الاقتصادية بين مصر وتلك الانحاء.

وبرغم توقف هذه العلاقات التجارية بين مصر وتلك المدن نتيجة الاضطرابات التى سادت عصر الفترة المتوسطة الأولى، فلقد عادت هذه العلاقات إلى الازدهار مرة أخرى مع بداية عصر الدولة الوسطى برضى هذه الدول وبمباركة من مصر التى اهتمت بتحسين العلاقات التجارية مع هذه المدن.

ومرة ثانية تدهورت العلاقات مع حلول عصر الاضطراب الثانى وتعرض مصر للاحتلال الهكسوسى لأول مرة فى تاريخها وبحلول عصر الدولة الحديثة دخلت هذه المدن تحت السيطرة المصرية، حتى فى فترة العمارنة ظل بعض حكام تلك المدن أمثال بيبلوس على اخلاصهم للنفوذ المصرى بالرغم من تحريض دولة خاتى الطامعة فى السيطرة على هذه المدن وضمها إلى النفوذ الحيثى.

ولقد تقلص النفوذ المصرى فى نهاية الأسرة العشرين وهو ما عبرت عنه رحلة «ون آمون» التى توضح مدى ضعف فرعون مصر «رمسيس الحادى عشر» وإلى أى مدى وصل النفوذ المصرى فى آسيا، وتدهور مكانة مصر فى تلك المدن.

كذلك يمكن القول بوجود تأثير حضارى لبلاد الرافدين على سورية

بشكل عـام والمدن الفـينيـقـيـة بشكل خـاص وتراوح هذا الاهـتـمـام منذ قـديم الأزمنة حيث اهتمت نقوش ونصوص ملوك العراق بوصولهم إلى ساحل البحر المتـوسط سـواء للتـجـارة أو للسـيطرة وبرغم المبـالغـة فـهـذه النصـوص تعكس اهتماما بتلك المدن، على أن خضوع تلك المدن لم يحدث إلا فى عهد الاشوريين بعد انهيار الدولة الحيثية، واستمر ذلك باستثناء فترات قليلة حتى خضعوا لسيطرة بابل الكلدانية، كما خضعوا للفرس، وتناوب السيادة عليهم بعد ذلك الاسكندر المقدونى بعد انتصاره على الفرس، ثم الدولة السلوقـيـة والرومـان، حتى جاء الفتح الإسلامى فبدأت معه سورية وتلك المدن عهدا جديداً تحت راية الإسلام.

وإجمالا يمكن الرجوع إلى التاريخ السياسى والحضارى لكل مدينة من هذه المدن الفينيقية*، وذلك للمزيد من التفاصيل السياسية والحضارية.

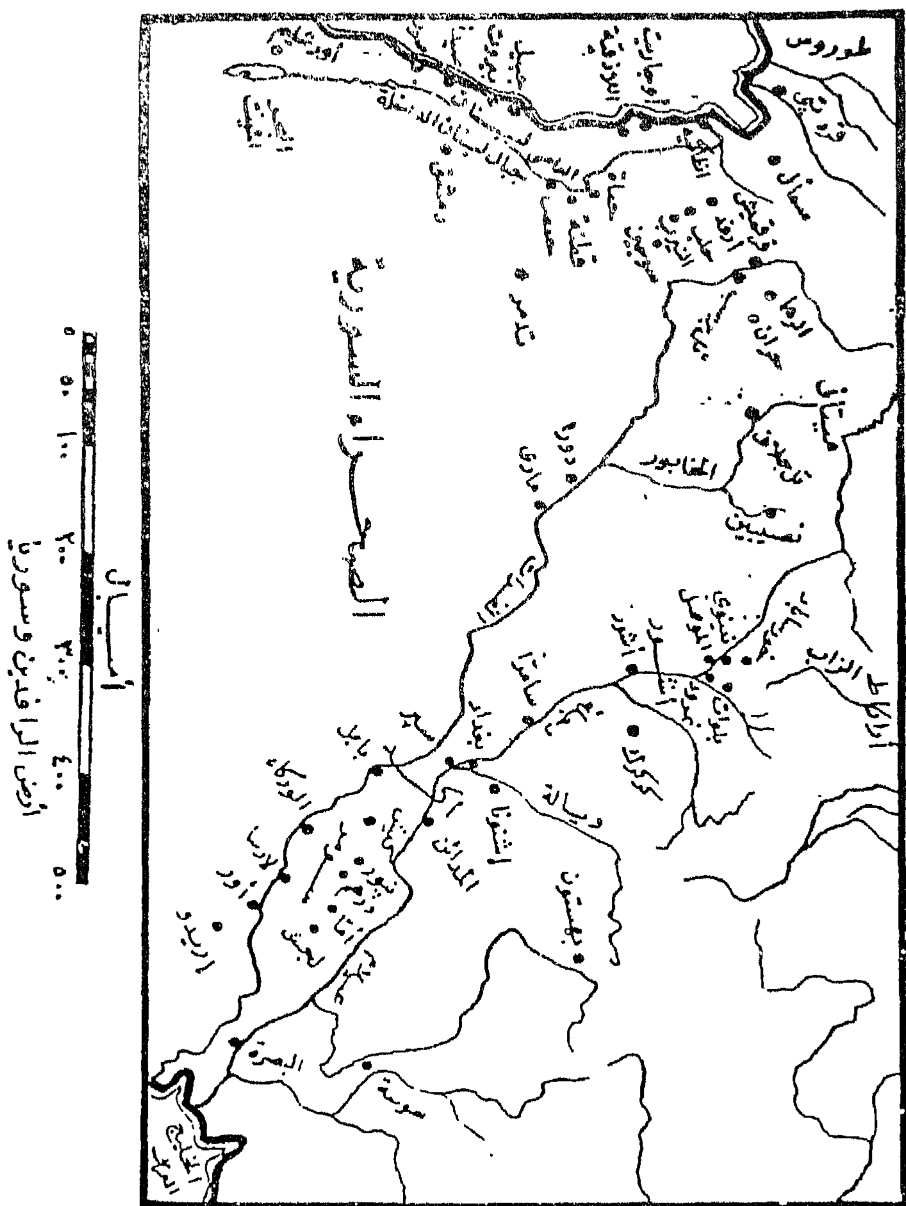
---

* عن التاريخ السياسى والحضارى لكل مدينة انظر :

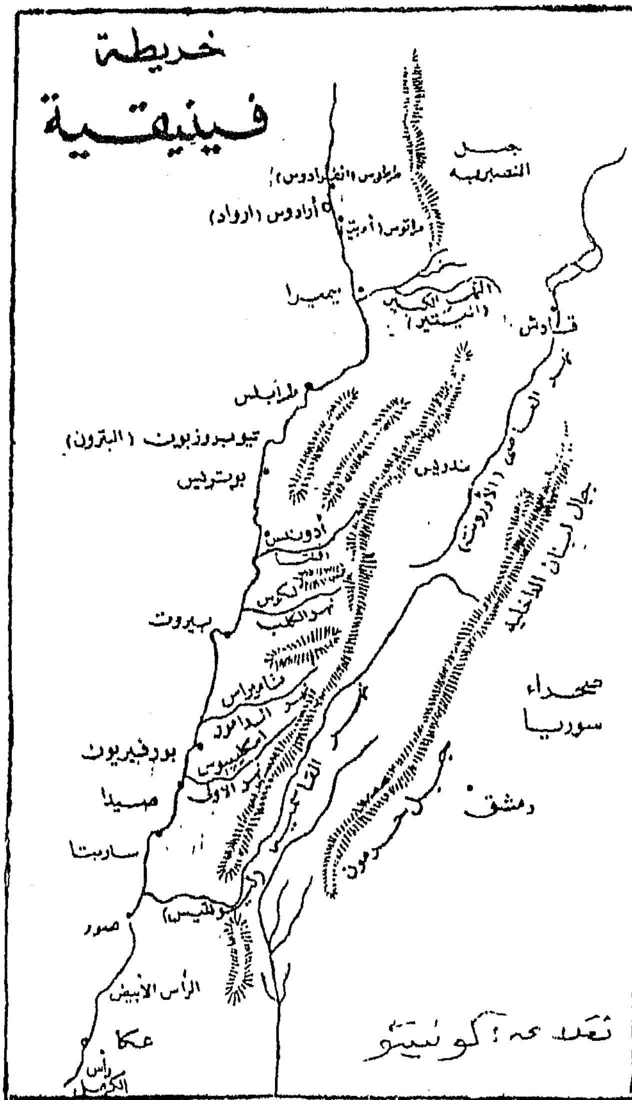
جـ ، كونتينو ، الحضارة الفينيقية

محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية

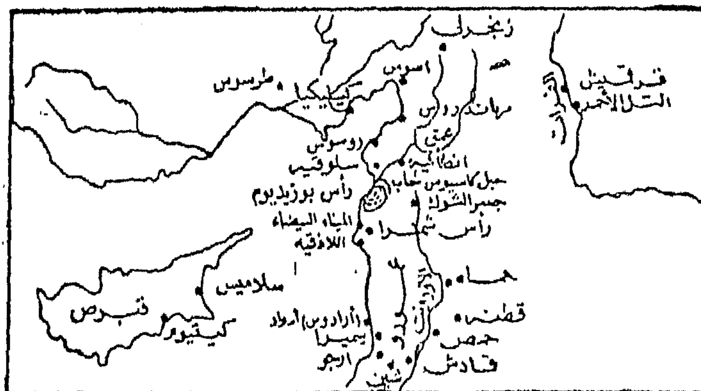
عبد الحميد زايد : الشرق الخالد



نقلا عن : موسكاتي : الحضارات السامية القديمة



انظر الشكل رقم (١) نقلا عن : كونيتنو



(خريطة لرأس شمرا وما حولها) نقلا عن : كونيتنو

الآراميون :

المصادر الآرامية عن تاريخ الأراميين قليلة، وهى طائفة من النقوش كشف اكثرها حديثا، وتنتمي إلى المدن القديمة جوزانا Guzana (وهى اليوم تل حلاف) وسمأل وأرفد وحماة.

والمصادر غير المباشرة أوفر مادة : فهناك أولا نصوص مسمارية تسجل حركات الأراميين وضغطهم على حدود دول الرافدين، ومن جهة أخرى يسجل العهد القديم صلات الأراميين بالشعب العبرى في مراحل تاريخه المختلفة، ويحفظ فى قصصه وسلاسل أنسابه القديمة رواية مأثورة عن قرابة دم أصيلة بين الشعبين، وفترة الملكية خاصة غنية بالمعلومات عن الدول الأرامية التى كان لها دائما دور فى التاريخ السياسى للمملكتين العبريتين.

وأول ظهور كلمة أرام اسما لمنطقة أو دولة كان فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، فى نقش مسمارى للملك الاكدى نرام – سين Nar-am-Sin، ويبدو من سياق النص أن أرام هذه كانت تقع فى الجزء الأعلى من أرض الرافدين، وليس تفسير هذا النقش أكيدا على وجه قاطع، ولكن نجد أرام تذكر من جديد بعد ذلك بقليل فى لوحة من وثائق درهم Drehem التجارية ترجع إلى حوالى ٢٠٠٠ ق.م.، وتشير إلى مدينة أو دولة بالقرب من اشننا Eshnunna على أدنى نهر دجلة (تل الاسمر الآن). وثمة لوحة أخرى من لوحات درهم، ترجع إلى بضع سنوات بعد ذلك، تشتمل على أرام علما لشخص. ونجد هذا العلم مرة أخرى فى نص من نصوص مارى يرجع إلى حوالى ١٧٠٠ ق.م.

هذه أقدم ما لدينا من اشارات إلى الأراميين. ومن الجلى أنها لا تكفى لمعاونتنا على تتبع تاريخهم القديم، ولكنها تكفى لبيان الحاجة إلى تعديل الرأى الذى كان سائدا فى وقت ما من أن ذلك التاريخ يبدأ فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

ولكن الواقع أن معلومتنا أدق فيما يتعلق بالنصف الثانى من الالف الثانى. فهناك نقش للملك الاشورى أرك - دين - ال Arik-den ilu يتحدث عن انتصاراته على جماعات «أخلمو» Akhlamu، ويرد هذا الاسم أيضا فى تاريخ خلفائه من الملوك حتى نصل إلى تجلت- بيلسر الأول، فنجده يعلن أنه هزم الأخلمو - الأراميين الذين جاءوا من الصحراء مغيرين على ضفاف الفرات. وكلمة أخلمو قد يكون معناها «المتحالفين»، وهنا يبدو أن الأراميين كانوا جزءا من هذا التحالف. وبعد تجلت - بيلسر الأول نجد فى المصادر الاشورية عدة اشارات أخرى إلى الأخلمو والأخلمو- الاراميين، ولكن الاسم البسيط «الاراميين» يزداد ورودا ، وأخيرا ينفرد بالاستعمال.

وتتفق النقوش الاشورية التى ذكرناها فى الصورة التى تعطيها عن الاراميين، فهم كغيرهم من الشعوب السامية يظهرون فى التاريخ أولا بدوا تتفق حركاتهم وانتقال البدو الآن فى مواسم معينة من أطراف الصحراء إلى المناطق المستقرة، وفيما يتعلق باتجاه حركاتهم، نجد أن الخطوط الأساسية لتوسعهم قد حددها وجود شعوب سامية وطيدة الاستقرار فى الشرق والغرب: فى أرض الرافدين وكنعان .

وقد بلغ الأراميون اقصى اهميتهم السياسية فى القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد، لاضمحلال الامبراطورية الاشورية خلال تلك الفترة. ففى الشرق غزت القبائل الأرامية الجزء الشمالى من أرض الرافدين، وأسست هناك سلسلة من الدول الصغيرة، أهمها دولة بيت أدينى Bit Adini التى كان مركزها تل برسب (T)، ودولة بيت بخيانى Bit Bakhyani التى كان مركزها جوزانا (تل حلاف). وإلى الجنوب من ذلك، توغلت عدة جماعات من الأراميين فى الجزئين الأوسط والجنوبى من أرض الرافدين، وهنا استولى المغتصب الأرامى أدد - أبل- أدن Adad-apai-iddin على عرش بابل فى أول القرن الحادى عشر. وعلى شواطئ الخليج أنشأت القبائل الكلدانية،

وهى متصلة النسب بالاراميين، عدة دول صغيرة أهمها دولة بيت يكينى Bit Yakini .

وفى الجهة الاخرى للتوسع الأرامى، أى فى الغرب، نشأت فى ذلك الوقت فى كيليكيا دولة سمال، وفى سوريا أسست، حول أرفد وحلب، دولة اتخذت اسم بيت أجوشى Bit Agushi، وفى حماة كشفت حفائر انجهولت (H.) Ingholt طبقة أرامية ترجع إلى حوالى ١٠٠٠ ق.م.، وإلى الجنوب من ذلك قامت دول أخرى على حدود المملكتين العبريتين لدينا عنها أو فى المعلومات بفضل العهد القديم، وكان من أهمها صوبا ودمشق اللتان فتحهما دواد ولكن استعادتا استقلالهما بعد انقسام اسرائيل إلى مملكتين .

ولكن قوة توسع الأراميين، التى تبرز واضحة فى هذه الفترة. لم تصحبها القدرة على تنظيم فتوحاته، بل لم تصحبها عامة القدرة علي تنظيم دولهم نفسها، ولم ينشئ الأراميون أبدا وحدة سياسية فعالة، وكان العامل الرئيسى فى ضعفهم انقسامهم إلى ممالك محلية صغيرة مع كثرة الاجناس المتباينة التى اختلطوا بها. وقد شهدت نهاية القرن العاشر قبل الميلاد نهوض أشور من جديد، وبداية عودتها إلى الفتوح.

وكانت أول خطوة خطتها أشور اجلاء الغزاة عن أرض الرافدين، وقد فعلت ذلك خلال النصف الاول من القرن التاسع على يد أدد – نيرارى adad- Nirari ، وأشور نصربال الثاني، وشلمنصر الثالث، خاصة، وقد قضى أخيرهم عام ٨٥٦ ق.م. على دولة بيت أدينى، آخر معقل لقوة الأراميين فى أرض الرافدين

ويعد هذا وجه شلمنصر اهتمامه إلى سوريا، فنراه بعد سلسلة من الغزوات ينزل عام ٨٤١ ق.م. هزيمة منكرة بحلف من الدول الآرامية، كان قد

أنضم إليه ايضا ملك أسرائيل، ولكن الدول المهزومة لم تفقد استقلالها إلا بعد بضع عشرات من السنين، وإلى هذه الفترة يرجع النقش الذى يسجل فيه كاموKilamuwa، ملك سمال، انتصاراته على جيرانه ورخاء مملكته، كما يرجع اليها النصب الذى أقامه زكر، ملك حماة، لتخليد انتصاره على حلف بقيادة دمشق. وهذان النقشان، رغم ما فيهما من افتخار بالقوة، دليل لاشك فيه على ذلك الخلاف الداخلى المستعصى الذى كان من الاسباب الاساسية فى أزمات هذه الدول الصغيرة.

وفى القرن الثامن قبل الميلاد، عاودت أشور الهجوم، ففى عام ٧٤٠ ق.م. وقعت فى يد تجلات - بيلسر الثالث مدينة أرفد، التى تدل النقوش المكشوفة فى سوجين ، على أنها كانت مركز المعارضة ضد أشور . وبعد هذا جاء دور سمال، حيث اغتصب العرش رجل يدعو عزريا وأخذ يقيم حلفا معاديا لاشور، ولكن تجلت - بيلسر هزم المغتصب وقتله، وأعاد إلى العرش الملك الشرعى بنمو Panamuwa الثانى، الذى سجل ابنه بر - ركب Bar-Rekub هذه الاحدا فى نقشين له. وهكذا ادخلت سمال فى نطاق النفوذ الاشورى. وإن ما وجد في سمال من بقايا أثرية لهلاك بالنار، وانقطاع كل ذكر لها فى مصادرنا، يدلان فيما يبدو على أنها لقيت نهاية فاجعة قبل مرور زمن طويل. وإلى الجنوب من ذلك، أخضعت دمشق وصارت ولاية أشورية عام ٧٣٢ ق.م.، وانتصر سرجون الثانى على حماة بعد محاولة أخيرة منها للثورة.

واستمرت حياة الاراميين السياسية بعض الوقت بعد ذلك فى بابل، حيث أعلنت القبائل الكلدانية الثورة على الاشوريين حينا بعد حين، بل وفقت إلى الوصول إلى الحكم باسم الدولة البابلية المتأخرة. ولكن شهدت نهاية القرن الثامن الانهيار الأخير للكلدانيين فى مراكز نفوذهم السياسى المباشر، وذلك أمام الزحف الاشورى غربا. ولم يقدر للأراميين النهوض أبدا بعد هذا الانهيار. وهكذا انتهى تاريخهم المستقل، وهو جزء تفصيلى لا يكاد يذكر من

الصورة الكبيرة للشرق الادنى القديم، وأخذ شمال سوريا، مركز قوتهم، يقع على التوالى تحت حكم الامبراطوريات الكبرى التى تعاقبت علي الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط. ولكن استمر الاراميون فى الوجود شعبا، كما بقيت لغتهم، والاهمية التاريخية للدول الارامية طفيفة إذا قيست بالاهمية الثقافية الفريدة التى قدر للغة الارامية أن تكتسبها على مر القرون(١٤).

العبرانيون :

وصلوا إلى سورية ضمن العناصر السامية التى وفدت إلى سورية فى نفس الوقت مع العناصر الآرامية تقريبا وسكنوا مع الكنعانيين واختلطوا بهم وتعلموا منهم الزراعة، ولا يوجد من الوثائق والنصوص ما يشير إلى تاريخ العبرانيين سوى نذر يسير أو إشارات عابرة فى كتابات الأقوام الذين احتكوا بهم وما روته التوراة عن تاريخهم؛ ورغم ما يبدو فيها من اضطراب وزيف فإنها تعد أوفى ما كتب عنهم حتى أن المؤرخين يعتبرونها المصدر الرئيسى لتاريخهم ولذا اعتمدوا عليها فى كتابة هذا التاريخ.

وإذا ما أخذنا بما تروية التوراة عنهم نجد أنها تذكر أن هؤلاء العبرانيين أتموا هجرتهم إلى فلسطين على ثلاثة مراحل، أقدمها كانت إلى الصحارى القريبة من شمال بلاد النهرين، ويرجع أنها كانت فى نفس الوقت الذى حدثت فيه تحركات الهكسوس فى شرق البحر المتوسط أى فى القرن الثامن عشر ق.م.، والثانية توافق هجرة الأراميين أى حوالى القرن الرابع عشر ق.م.، والثالثة كانت فى أواخر القرن الثالث عشر ق.م. وفيها خرجوا من مصر إلى جنوب شرق فلسطين بعد جولة ليست بالقصيرة فى شبه جزيرة سيناء.

وحينما وصلت هجرتهم الأولى إلى السورية كان السواد الأعظم فيه من الأموريين والكنعانيين والميتانيين والحيثيين وغيرهم - وقد استطاع هؤلاء العبرانيون أن يختلطوا بهؤلاء جميعا وأن يتعلموا حياة الاستقرار بعد أن كانوا من المتجولين المغامرين، واتخذوا اللغة الكنعانية بدلا من لغتهم الاصلية

كما تأثروا بكثير من مظاهر الحضارة والثقافة الكنعانية ولذا يمكن اعتبارهم ورثة للكنعانيين أو أخلافاً لهم حيث تذكر الأساطير العبرانية أن جدهم الأكبر إبراهيم (أوقبيلتهم الأصلية) أتى من أور الكلدانيين عن طريق حران واستقر مؤقتا قرب حبرون (الخليل) الأمر الذى يعتقد المؤرخون أنه يتفق مع الهجرة الأولى - وأن حفيده يعقوب (ابن اسحق عاش عدة سنوات فى فدان آرام ثم انتقل إلى مصر، ويحتمل أن هذا هو ما يتفق مع هجرتهم الثانية، وحينما وقع الاختيار على يعقوب ليكون صاحب الشأن بينهم غير اسمه إلى اسرائيل كما غير أخوه عيسو اسمه هو الآخر إلى أدوم وسمى ورثته بالأدوميين- ومن أبناء يعقوب كان يوسف الذى وصل إلى مكانة مرموقة فى مصر، وبعد أن عاش أحفاد يعقوب فيها عدة أجيال أخرجوا منها وكان يقودهم موسى، وهذه هى هجرتهم الثالثة التى تعد بداية التاريخ الحقيقى للاسرائيليين.

ولا يعرف تاريخ هذه الهجرة الأخيرة بالضبط رغم أن كلمة اسرائيل وردت على لوح حجرى من عهد مرنبتاح بن رعمسيس الثانى وقد ظل أفرادها يتجولون طويلا فى سيناء حيث قاسوا كثيرا، وتزوج موسى من ابنه كاهن مدين (فى جنوب سيناء) الذى كان يدين بواحدانية يعبد فيها يهوه وهو أحد آلهة العرب الشماليين - ثم اتخذت هذه الجماعة الإسرائيلية مكانا لها فى جنوب شرقى الأردن استعدادا لدخول فلسطين وكان عددها يقدر بحوالى ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ نفس ومرت فى طريقها بدويلات صغيرة فى جنوب وشرق وشمال شرقى البحر الميت - ولم تحاول مهاجمة هذه الدويلات ولكنها حاربت إمارة سيحون الأمورية (فى شرق الأردن) وانتصرت عليها كما انتصرت على إمارة باشان التى كان ملكها عوج بن عنق المشهور فى التوراة على أنه كان من العمالقة - واستولوا على بعض المدن الكنعانية المحصنة فى فلسطين وأحرقوها وقتلوا أهلها حتى الأطفال، كما حدث مع «أريحا»[١٥]، وترى بعض المصادر أن أريحا استعصت عليهم ولم تقع ألا بعد زلزال كان سببا فى

سقوطها، كما أن بعض المدن استعصت عليهم مثل جزر وأورشليم وبيت شان، وهذه الأخيرة لم تسقط فى أيديهم إلا حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م. أو بعد ذلك بقليل.

وبعد أن استقروا فى الجهات التى وصلوا إليها اختلطوا بسكانها ومن بينهم أقرباؤهم الذين كانوا قد فضلوا البقاء فيها من قبل ولم يهاجروا إلى مصر، ثم انتشروا فى أماكن أخرى، وبعدئذ قسموا الجهات التى سيطروا عليها بين إحدى عشرة قبيلة من القبائل الاثنى عشر التى تضمهم - أما القبيلة الباقية وهى قبيلة «لاوى الكهنوتية» فقد تفرغت للشؤون الدينية ووزعت على القبائل الأخرى، وهذا هو ما يعرف بعصر القضاة (١٢٠٠ - ١٠٢٠ق.م.)

وهؤلاء القضاة كانوا أبطالا وحكاما* قادرين قادوا قبائلهم فى حروبهم ضد أعدائهم واشتهر منهم كثيرون من بينهم شمشون الجبار حيث روت عنه الأساطير العبرانية الشئ الكثير فيما يتعلق بحروبه مع الفلسطينيين الذين كانوا أشد أعداء العبرانيين، وهم من شعوب البحر التى جاءت من منطقة إيجة فى أواخر القرن الثالث عشر ووصلوا إلى سواحل سورية الجنوبية واستقروا بها (ومن اسمهم اشتق اسم فلسطين)، وقد حاولوا الدخول إلى مصر فى عهد رعمسيس الثالث ولكنه هزمهم وحال دون توغلهم إليها، ومن مدنهم الخمسة الرئيسية كونوا اتحاداً بزعامة أشدود - وفى حوالى سنة ١٠٥٠ ق.م. حاربوا العبرانيين وانتصروا عليهم وأخذوا منهم تابوت العهد ونقلوه إلى أشدود.

ويبدو أن العبرانيين حينما وجدوا أن جيرانهم كان يحكمهم ملوك طلبوا إلى زعيمهم الدينى «صموئيل» أن يعين عليهم ملكا فاختار «شاؤول» ولكن هذا كان ضعيفا مسنا، ازداد نفوذ الفلسطينيين فى عهده وتسلطوا على دن

---

* من وجهة نظر كتبة التوراة.

داخلية بعبدة مثل بيت شان، وحينما حارب الفلسطينيون العبرانيين انتصروا عليهم وقتلوا ثلاثة من أبناء شاؤول وأصيب هو نفسه بجراح خطيرة ومات.

وتشير التوراة إلى أن داود كان حاملا لدرع شاؤول وأنه اختير ملكا من بعده وهو يعد المؤسس الحقيقي للمملكة العبرانية، فمع أنه بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين إلا أنه نجح فى التخلص من سلطانهم وتمكن من توسيع مملكته إلى حد لم تبلغه فى أى وقت آخر واختار حصن أورشليم ليكون عاصمة له، وفى عهده ظهر الأدب العبرى الذى يعتبر من أرفع الآداب فى نظر بنى إسرائيل ودونت فى عهده الحوادث والحوليات الملكية فى أسلوب حيوى(١٦).

وبفضل أهتمام «داود» بالقوة العسكرية وبصفة أساسية ما سمى بالقوات الخاصة التى شكلت الجزء الرئيسى فى تحمل عبء حروب داود فلقد نجح فى اخضاع أدوم ذات الأهمية الإقتصادية له بما فيها من معادن وتحكم فى الطرق التجارية، كما نجح فى تحقيق انتصارات على مؤاب والمدن الآرامية ومنها دمشق.

الأنقسام بين الشمال والجنوب كان عميق الجذور يعود إلى الحدود القبلية القديمة، فمنذ فترة عصر القضاة ١٢٠٠ - ١٠٢٠ق.م. الأجزاء الشمالية (أفرايم، بنى منسى، بنيامين، زبولون، أشير، نفتالى) شكلوا من أنفسهم اتحاد مميز مستبعدين يهوذا، كما ورث داود هذا الأرث القديم بين سكان الشمال والجنوب، حيث اعترفت إسرائيل بأيشبعل ملكا عليها بعد وفاة طالوت، بينما ظل داود حاكما على يهوذا فى الجنوب لمدة سبع سنوات ونصف، ثم أصبح حاكما على إسرائيل ويهوذا معا، أى الشمال والجنوب معا، الشخصية المزدوجة أثناء حكم داود تظهر بوضوح فى الوثائق المسجلة للدولة وفى أعداد القوات المسلحة سواء من إسرائيل أو يهوذا، ومن المؤكد قيام داود

---

* لاحظ أساءة التوراة لأنبياء الله حتى سليمان عليه السلام.

بجهود كبيرة فى توحيد قبائل الشمال والجنوب وتزويدهم بما يجمع شملهم ويحافظ على رباط الدولة في عهده الذى اقترب من أربعين عاماً [١٧].

الدولة التى ورثها سليمان كانت دولة متحدة تضم جزئين مستقلان من الناحية السياسية (وهما مملكتى إسرائيل ويهوذا) أرتبطا تحت شخص الملك - كما حدث حينما توحدت مصر العليا ومصر السفلى فى دولة واحدة فى الألف الرابعة قبل الميلاد - وعند وفاة داود فإن قرارته وتعليماته كانت محل احترام وتنفيذ فهو من الملوك القادرين على إملاء سلطتهم وإرادتهم على الجميع، كما نجح سليمان بفضل ذلك فى الوصول لعرش إسرائيل.

ولا يمكن مقارنة سليمان مع أبيه من ناحية القدرة العسكرية، ولكن هناك بعض الملامح المميزة لحكمه ومنها :

أولا : ذلك التغيير الهام فى القوة الإسرائيلية حيث أصبحت العجلات الحربية ضرورة، بل هى السلاح الاساسى فى قواته، وفى سفر الملوك أشارات عديدة للعربات والخيول، كذلك استخدمت العربات فى الأغراض السلمية بجانب النواحى الحربية، وحصل سائق العربة على تدريب طويل لعدة سنوات لكى يصبح جندى محترف، وحصل سليمان علي الجياد من قيليقية، والعربات من مصر، كذلك عرفنا بعض التفاصيل عن أسعار العربات والخيول، حيث تتكلف العربة حوالي ٦٠٠ شيكل من الفضة (حوالى ٨,٨ كيلو)، والفرس حوالى ١٥٠ شيكل من الفضة (حوالى ٢,٢ كيلو).

ثانياً : تلك الإنشاءات العديدة التى زودت القصر الملكى بالطعام والمؤن، ومواقع للعجلات الحربية فى مختلف الأماكن وخاصة فى الجزء الشمالى، وكشفت الحفائر فى مجدو عن بقايا تجهيزات الخيل والعربات، وخصص لكل أقليم من الأقاليم حصة من المؤن تزود بها القصر والحاميات شهر من شهور السنة، وجعل على رأس كل أقليم موظف كبير يتولى تنفيذ أوامر سليمان.

ثالثا : الاهتمام بالتجارة لذلك أطلق على سليمان لقب «التاجر المتوج» حيث أخذت منه التجارة أهتماما كبيراً، كما احتكر كثير من الموارد وبصفة خاصة الجياد، وأهتم بطرق التجارة سواء البحرية أو البرية وبالذات طرق القوافل خلال وادى عربة وشرق الأردن المتجهة إلى سورية والمرتبطة بالطريق إلى غزة والطرق المتجهة من مصر إلى سورية.

رابعاً : نشاط معمارى ضخم شمل كثير من المدن، واشارت التوراة إلى التعاون الذى تم بينه وبين حيرام ملك صور (١٨).

ووصلت المملكة العبرانية فى عهد سليمان إلى غاية المجد الحضارى بفضل المشروعات والإنشاءات فى مختلف المجالات مع ملاحظة المبالغة والصورة التى تصف بها التوراة سليمان ومظاهر الترف الشديدة حيث يلاحظ اساءة التوراة لأنبياء الله حتى نبيهم سليمان لم يسلم من المبالغة والتزييف.

وبناء على وصف كتاب سليمان فإنه يبدو معقولا الإنطباع بأن ملكهم ونظامه كان مثل الملوك الفراعنة فى العظمة والأهتمام بالمشروعات، وبالتوسع التجارى حيث أهتم بعلاقاته مع البحر الأحمر، وكما أشارت الملكة «حتشبسوت» إلى رحلتها البحرية إلى بلاد «بونت» فى منتصف القرن الخامس عشر ق.م.، فهناك علاقات تجارية ودبلوماسية بين سليمان وحيرام ملك صور أوضحت لنا المصادر أنها كانت مليئة بالحيوية والمنفعة المتبادلة بينهما، كذلك تتحدث المصادر عن رحلاته التجارية إلى أوفير والعودة محملة بالذهب، مع ملاحظة أن مكان «أوفير» لازال غير معروف، على الرغم من العثور على شقفة وجدت مؤخراً فى «تل كسيلة Tell Qasileh» (حاليا داخل حدود تل آبيب) تعود إلى القرن الثامن ق.م. وفيها نقش : «ذهب أوفير لأجل بيت حورون ٣٠ شيكل»، وقد اختلف كثير من الباحثين بشأن موقع أوفير حيث يعتقد الكثير منهم أن أوفير كانت قريبة من الناحية الجنوبية للبحر

الأحمر سواء من ناحية مناطق جنوب الجزيرة العربية (شبة الجزيرة العربية)، أو فى أرض الصومال، أو ربما أبعد من ذلك [١٩] .

وعلى أية حال فلقد نشطت التجارة وعم الرخاء وعاشت المملكة العبرية فترة من الأزدهار لم تصل إليها من قبل حتى في عهد والده الذى شهد أكثر من محاولة فاشلة للتمرد من أولاده «أبشالوم» و «أودنيا» [٢٠]، وحتى برغم هذا النشاط الملحوظ فلقد أجمعت الوثائق أن كثير من المناطق والمدن الفلسيطينة كانت بعيداً عن السيادة العبرانية وكانت تعترف بالسيادة المصرية، ولجأ سليمان لتقوية علاقاته مع مصر بالزواج من ابنة فرعون مصر، – والمعروف أن هذا الزواج السياسى كان وسيلة لتقوية العلاقات بين الدول فى الشرق الأدنى القديم – وقد أهتمت التوراة بهذا الزواج وجاء ذكره فيما لا يقل عن أربع مرات فى أسفار العهد القديم، التى أشارت أيضا إلى هدية الزواج التى أخذها سليمان نتيجة هذه المصاهرة وهى مدينة «جازر» الكنعانية والتى كانت تابعة لمصر (تل الجازر ٣٠ كم غربى القدس) وهى ذات موقع استراتيجى هام بالنسبة للطرق التجارية فى فلسطين، وقد اختلفت الآراء بشأن الملك المصرى والد زوجة سليمان الذى قدم هذا المهر وهل هو «ساآمون» الذى فتح جازر بعد انتصاره على الفلسطينين وأعطاها لسليمان[٢١]، بينما يرى أستاذى الدكتور عبد العزيز صالح أنه قد يكون «ساآمون أو بوسينس الثانى الذى استحب أن يظهر لسليمان قدرة مصر ويبين له أن تحالفها معه هو تحالف الأقوياء، حيث بعث ببعض جيشه وسيطر على المدينة التى عجز العبرانيون عنها عدة مرات وجعلها بائنة لابنته التى رضى أن يزوجها لسليمان(٢٢)، ويدعم العلاقات السياسية والاقتصادية بين مصر والدولة العبرية.

وبعد وفاة سليمان مباشرة عادت بذور الأنقسام القديمة بين الشمال والجنوب إلى الظهور مرة أخرى وتصف نصوص العهد القديم ذلك بأن رؤساء

القبائل العبرانية قد طلبت من ابنه رحبعام أن يخفف عنهم عبء الضرائب التي كان والده قد سبق وفرضها عليهم مما أثقل كاهلهم، ولكنه رفض مما أدى إلى انقسام القبائل إلى فريقين ورفض إجراءات تنصيبه في «أورشليم»، ولجأت القبائل الشمالية وضمنها إسرائيل إلى تنصيب «يربعام» ملك على الأجزاء الشمالية المسماة إسرائيل (٢٣) ، بينما تولى «رحبعام» يهودا بتأييد من قبيلتي يهوذا وبنيامين، وأشتد الصراع بين المملكتين حتى زوال مملكة إسرائيل في القرن الثامن ق.م.، وبعدها نهاية يهوذا في القرن السادس قبل الميلاد.

مملكة اسرائيل :

كان «عمرى» من أشهر ملوك اسرائيل (ويدل اسمه على أنه كان من أصل عربى أو نبطى»، بنى السامرة وحصنها واتخذها عاصمته الجديدة وبنى فيها قصرا.

وحينما تولى العرش «آحاب» بن عمرى وسع فى قصر أبيه وزخرفه، وقد عرف هذا القصر باسم بيت العاج حيث عثر فيه على أثاث منزل من العاج يبدو أن كثيرا منه كسى بالذهب- وكانت علاقة آحاب بن عمرى مع جيرانه ودية فقد حالف مملكة دمشق فى معركتها ضد آشور وتزوج من ابنة ملك صور وصيدا، وهذه كانت قوية الشخصية فرضت سيطرتها على زوجها كما أرادت فرض عبادة يهوه على إسرائيل.

وبعد فترة وجيزة قام أحد الضباط واسمه ياهو بالثورة وتمكن من الاستئثار بالملك وجعل عبادة يهوه العبادة الوحيدة فى إسرائيل، ولكن هذا الملك لم يكن موفقا فى سياسته الخارجية حيث خضع لشلمناصر الثالث ملك آشور وقدم له الجزية – ولفرط ضعف كل من إسرائيل ويهودا فى ذلك العهد قامت إمارة من الإمارات بالثورة ضد اسرائيل، وفى نفس الوقت ثورة أخرى

ناجحة ضد مملكة يهودا ولكن ما لبثت قوة إسرائيل أن تجددت فى عهد يربعام الثانى وهو ثالث ملك من سلالة ياهو حيث أمكنها أن توسع حدودها الشمالية على حساب الآراميين.

وظلت إسرائيل تنعم بالهدوء إلى أن أعتلى تجلات بلاسر الثالث عرش آشور الذى ما لبث أن أخضع سورية وحولها إلى مقاطعات آشورية وفرض الجزية على إسرائيل التى انكمشت مساحتها حينئذ- وبعد بضعة سنوات رفض هوشع ملك إسرائيل الاستمرار فى دفع الجزية فهاجمه شلمناصر الخامس وريث تجلات بلاسر المذكور وحاصر السامرة ثلاث سنوات ولكنها لم تسقط إلا فى يد خلفه سرجون الثانى الذى سبى أحسن رجال إسرائيل وعددهم ٢٧٠٨٠ ونلقهم إلى ميديا فتلاشت مملكة إسرائيل إلي الأبد (٧٢٠ ق.م.) حيث أن الباقين من الرجال لم يكونوا إلا قسما صغيرا من سكان المملكة يقع فى غرب نهر الأردن، أما المسبيون فقد اندمجوا مع غيرهم فى المناطق التى نقلوا إليها- ولم يكتف سرجون وخلفاؤه بذلك بل نقلوا قبائل من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب محل الإسرائيلين وأسكنوهم فى السامرة وما حولها فامتزج هؤلاء بالسكان(٢٤).

يهوذا :

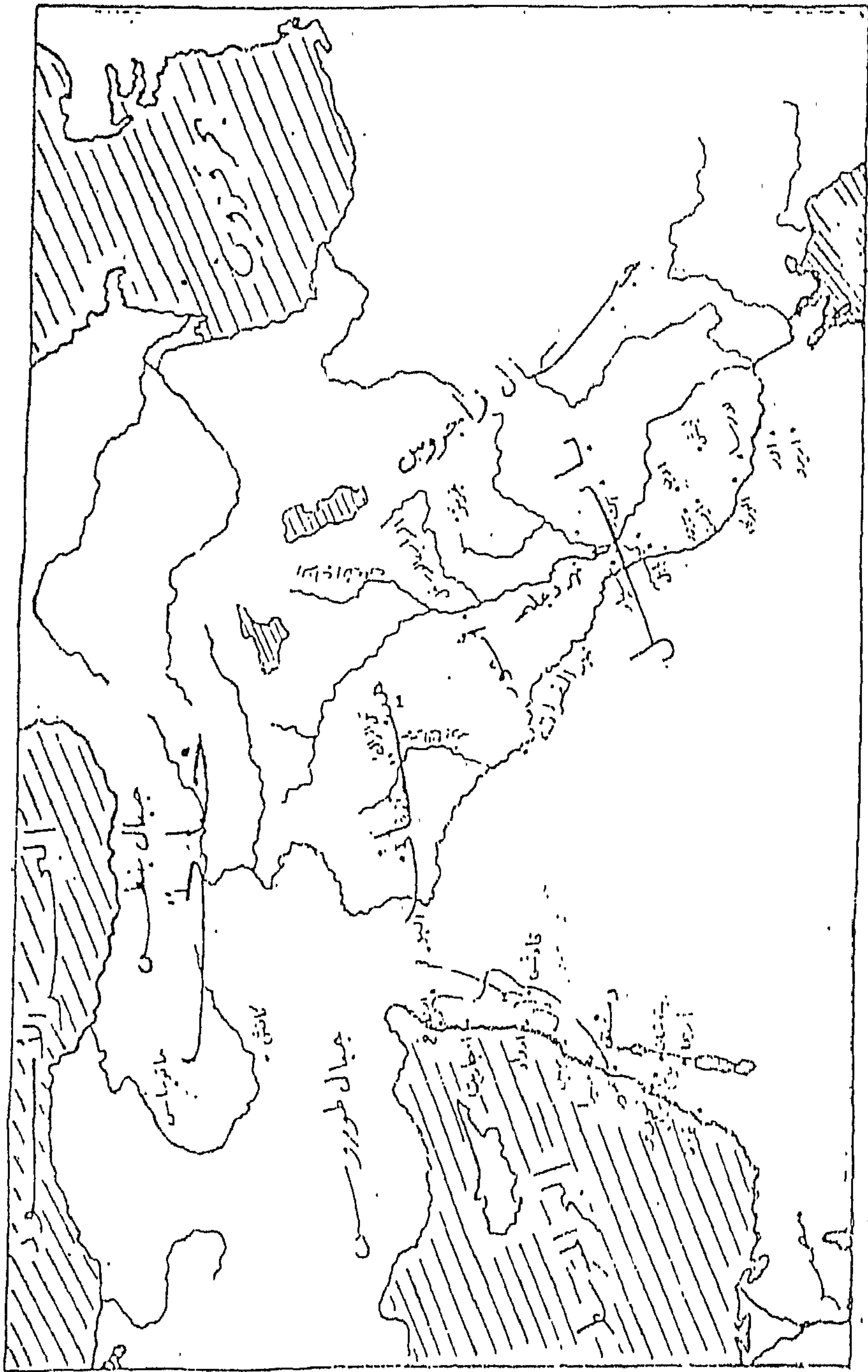
رأينا فى الجزء السابق كيف انتهت دويلة إسرائيل عام ٧٢٠ ق.م.، أما الجزء الباقى من الدولة العبرية الموجود فى الجنوب والمسمى بمملكة يهوذا، والذى قدر له الاستمرار لفترة أطول من الجزء الشمالى بنحو ١٣٤ سنة، فلقد تعرض للضغط المصرى بعد تقسيم الدولة، حيث قام الفرعون المصرى شيشنق الأول (مؤسس الأسرة الثانية والعشرون) بحملة على فلسطين وردت اخبارها على جدران معبد الكرنك، حوالى عام ٩٢٥ ق.م. وقد اختلفت الأسباب حول دوافع مصر من جراء هذه الحملة حيث يرى البعض أنها بسبب مناصرة يربعام المتحالف مع مصر وهو الذى سبق والتجأ إلى مصر فراراً

من بطش سليمان حينما أراد قتله وقبل تنصيبه ملكا على الجزء الشمالى من إسرائيل، بينما يرى بعض الباحثين أن السبب من الحملة هو سبب أقتصادى لإنعاش الخزينة المصرية، وربما كان الدافع هو استعادة هيبة مصر المفقودة فى فلسطين وسورية، وهو ما أميل إليه وأرجحه حيث خرج شيشنق على رأس حملة كبيرة مخترقا الطريق البرى الشمالى حيث وصل غزة، ثم وصلت الحملة إلى الخليل جنوب يهوذا مدمرة لكثير من الحصون والبوابات، وحينما وصلت بالقرب من «أورشليم» عاصمة يهوذا خير «رحبعام» بين الاستسلام ودفع الجزية، فأمتثل للإذعان ودفع جزية كبيرة ذكرتها نصوص العهد القديم بأنها شملت كنوز داود وسليمان وكل ذهب وخزائن أورشليم، بعد ذلك تابع شيشنق السير شمالا محطما تحصينات إسرائيل مما جعل «يربعام» يفر بعيدا عن قوات شيشنق ويدعم الرأى القائل بأن هدف هذه الحملة هو استعادة نفوذ مصر على هذه الانحاء .

ثم نعمت يهوذا بفترة من الاستقرار نتيجة ضعف مصر واقترابها من مرحلة الشيخوخة، ولكنها تعرضت للمضايقات من آشور وخاصة بعد زوال الجزء الشمالى من الدولة العبرية «مملكة إسرائيل»، ولكن بعد أن نجح البابليون وحلفائهم الماذيون من التخلص من آشور وتدمير العاصمة الأشورية نينوى عام ٦١٢ ق.م.، سعت مصر لبسط نفوذها على فلسطين وسورية بعد زوال النفوذ الأشورى، وخوفا من قيام ببابل ببسط نفوذها على هذه المناطق قام الفرعون المصرى «نيكاو الثانى» (الأسرة السادسة والعشرون) بإعداد حملة إلى فلسطين نجحت فى أختراق يهوذا وعزل حاكم أورشليم المسمى «يوشيا» وتبعها بحملة أخرى عين فيها تابعه «يهويا قيم» الذى قام بدفع جزية كبيرة لمصر.

وحينما تولى عرش بابل «نبوخذ نصر الثانى» خلفا لابيه «نابو بولاسر» عاد الطموح البابلى لوراثة سوريا وفلسطين، وفعلا وصل إلى الساحل

اللبنانى، وهاجم «يهوياقيم» وألزمه يدفع الجزية، لكن الأخير عاد ونقض الاتفاق وكون حلفا لمحاربة الملك البابلى «نبوخذ نصر» لكن الهزيمة لحقت به عام ٥٩٧ ق.م. وأمر الملك البابلى بسبى الملك والأسرى اليهود إلى بابل، وعين مكانه «صدقيا» لكن اليهود ثاروا على البابليين وانقسمت «أورشليم» إلى فريقين فريق يرى الولاء لنبوخذ نصر بزعامة النبى «إرميا» والآخر يدعو إلى محاربة بابل والتصدى لها بزعامة «صدقيا» وحينما وصلت هذه الاخبار إلى «نبوخذ نصر» خرج بنفسه وقام بحصار أورشليم. وفى النهاية نجح فى تدميرها عام ٥٨٦ ق.م.، وسبى أهلها وتوزيعهم بين بابل وآشور، وأحرق هيكل سليمان القديم، وقتل «صدقيا» وأولاده، وهو ما أشارت اليه التوراة، معللة تلك النهاية الآليمة بيهوذا نتيجة التمادى فى الظلم والفساد.



خريطة رقم (٣٦) : ممالك الشرق الأدنى القديم (١٤٠٥ ـ ١٣٦٧ ق.م)

الباب الثانى

مراجع الفصل الثانى

١- عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٣٥

٢- سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، بيروت ، ١٩٨٦ ، صـ ١٢٢ . وكذا :

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، جـ١ ، القاهرة، ١٩٦٧، صـ ١٠..

٣- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ، صـ ٢٧٦.

٤- عبد الحميد زايد : المرجع السابق، صـ ٢٣٦.

٥- محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق، صـ ٢٧٧.

٦- محمد عبد اللطيف محمد : سجلات مارى وما تلقيه من أضواء على التاريخ، اسكندرية، ١٩٨٥.

٧- خالد الدسوقي: دراسات في شعوب الشرق القديم، القاهرة، ١٩٨٢، صـ ٢٦ . وكذا : Dossin, G., L'inscription de Fondation de Iahudum

٨- محمد عبد اللطيف : المرجع السابق، صـ ٣٢.

٩- خالد الدسوقي : نفس المرجع السابق، صـ ٢٦-٢٧.

١٠- محمد أبو المحاسن عصفور : نفس المرجع السابق، صـ ٢٧٨.

١١- محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ١٩٨١، صـ ١٤.

١٢- ج. كونتينو : الحضارة الفينيقية، ترجمة د. محمد عبد الهادى شعيرة مرجعة د. طه حسين، القاهرة، ١٩٩٧، صـ ٣٠ - ٣١.

١٣- محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق، صـ ١٢٣- ١٢٥.

١٤- س. موسكاتي : المرجع السابق، صـ ١٧٦ - ١٧٩.

١٥- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، صـ ٢٨٤ - ٢٨٩.

١٦- نفس المرجع السابق.

١٧- Heaton, E.W., Solomon's New Men, London, 1974, p. 41.

١٨- EissFELdt, The Hebrew Kingdom, CAH., Vol. II, Part 2, p. 587.

١٩- Heaton, E.W., Op. cit., p. 28.

٢٠- EissFELdt, op. Cit., p. 588.

٢٠- EissFELdt, op. Cit., p. 588.

٢٢- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، صـ ٢٦٥.

٢٣- Heaton, E.W., op. cit., p. 43, CAH, p. 588.

وكذا

-Kupper J., Northern Mesopatmia and Syia, CAH, II, Part I.1973

Drower, M.S., Ugarit, CAH, II, Part 2A.

الفهارس

الفهرس

الفهارس :

قائمة الاشكال

صفحة

قائمة الخرائط